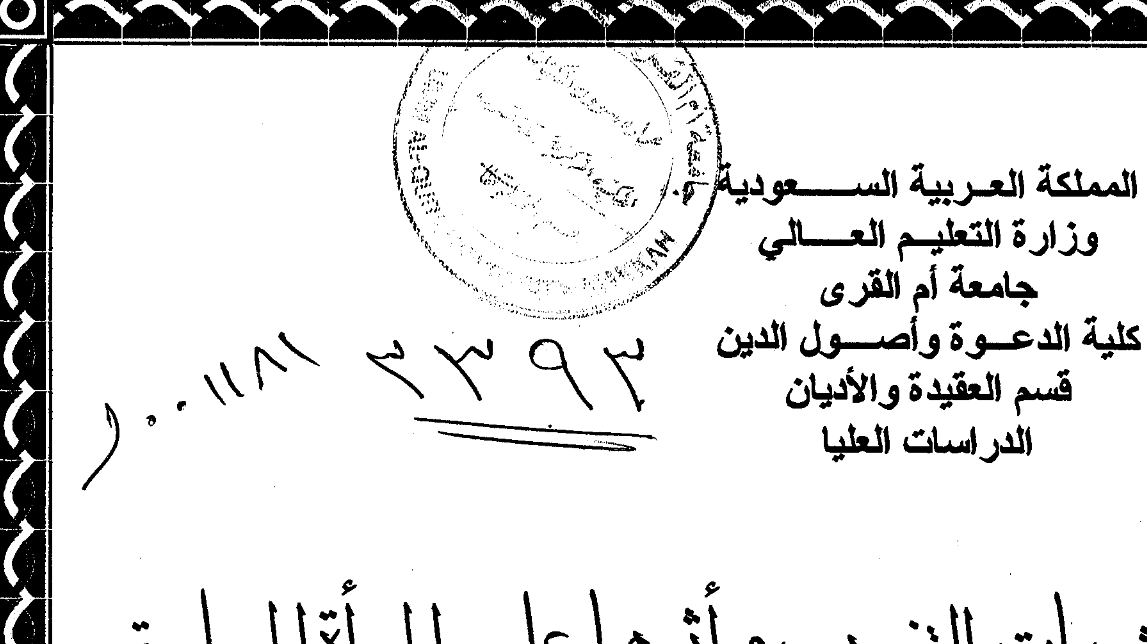


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة والأديان
الدراسات العليا

شبهات التغريب وأثرها على المرأة المسلمة

عرض ونقد



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

مقدمة من الطالبة

حنان بنت عطية الله ضيف الله المعبدي

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

عبدالله حسن بركات

الجزء الأول

١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القـــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : حنان عطية الله ضيف الله العبدي كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيـــدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : العقيـــدة

عنوان الأطروحة : ((شبهات التغريب وأثرها على المرأة المسلمة عرض ونقد))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٤ / ١ / ١٤٢١هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : أ.د. [illegible]	الاسم : علي بن نفيع العلياني	الاسم : د/ محمود مزروعة
التوقيع : [signature]	التوقيع : [signature]	التوقيع : [signature]

يعتمد

رئيس قسم

الاسم : د/ عبدالله بن محمد القرني

التوقيع : [signature]

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة [illegible]

ملخص الرسالة

تتناول هذه الرسالة شبهات التغريب وأثرها على المرأة المسلمة . وتوضح الهجوم السافر من دعاة التغريب على الثوابت التي يركن إليها المسلم من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من خلال عدة شبهات وضحها البحث وتمت مناقشتها من وجهة نظر السلف الصالح وأجيب عن كل الإشكالات التي اشاعوها وقد تضمن البحث التعريف بالتغريب مفهومه واهدافه ووسائله وعلاقته ببعض المذاهب الهدامة كالاستشراق والتنصير والصهيونية .

ثم تم عرض عدد من شبهات التغريب حول المدنية والتقدم وحول الحرية وحقوق المرأة ودعوى تخلف الشريعة الإسلامية عن مواكبة العصر وحول الدعوة إلى تقليد المرأة الغربية .

وقد ظهر لي أنها شبهات خاوية لاتقوى على النقد والمناقشة ومع ذلك نجد أن لها أثاراً سلبية على المرأة المسلمة تتبعتها في ثلاث محاور وهي المطالبة بالمساواة المطلقة مع الرجل ،السفور والاختلاط ،الدعوة إلى تقييد تعدد الزوجات وتقييد الطلاق .

وقد بينت الرسالة الشبهات التي تأثرت بها المرأة المسلمة في كل محور والرد عليها بما جاء في الكتاب والسنة وأقوال العلماء .

وتلخصت نتائج البحث فيما يأتي :

١/ إن المستقبل لهذا الدين مهما تكالب عليه الأعداء وابتعد عنه الأبناء .

٢/ إن دعاة التغريب فريقان : قوم تربوا في أحضان الغرب و انبهروا بما لديهم من تقدم علمي . و قوم مغرضون يدينون لهم بالولاء همهم تدمير الإسلام و هدم قيمه .

٣/ إن استهداف المرأة المسلمة من أعظم و أخصب الطرق التي تحقق أهداف التغريب لذا كان التركيز عليها قوياً .

٤/ أحاط الغرب دعاة التغريب بهالة من التمجيد و التعظيم و بحمايته ورعايته ليقتحموا المجالات المهمة في المجتمع الإسلامي .

٥/ إن تكالب الأعداء لا ينفي مسئولية العالم الإسلامي في نشر التغريب و اخلاء الساحة له .

والله الموفق

الطالبة	المشرف الأستاذ الدكتور	عميد كلية الدعوة
حنان عطية الله المعبدي	عبدالعزيز المرشدي	أ/د محمد نور ولي

قال تعالى

﴿يرفعِ اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العِلمَ درجات﴾

وقال تعالى

﴿وقُل ربِّ زدني علماً﴾

إهـــداء...

إلى

أبي الحبيب

ياسندي من بعد الله...

يامن زرع في نفسي حب العلم وطلبه...

أمي الرؤوم

ياحضن الدفء والحنان

يامن زرعت في عقلي بذور العلم ...لأتمكن منه...

إليكما معاً ...

أهدي... أول قطاف حصادي...

داعية :

" رب اغفر لي ولوالدي رب ارحمهما كما ربياني صغيراً "

....

حنان........

شكر وتقدير

سبحان الله ... والحمد لله ،
﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾[1]
والشكر لله " الظاهر والباطن " له الأسماء الحسنى فأحمده ، والشكره بكل اسم هو له " أحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى " وأشكره بما هو أهل له من الحمد والثناء ، على ما أمدني به من العون في طلب العلم " والصلاة والسلام على معلمنا الأكبر ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، سيدنا محمد الهادي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين ...
ونحن في مقامنا هذا ، أتقدم بالشكر والعرفان لجامعتنا الغراء جامعة أم القرى ، التي احتضنتني بعلمها ورعايتها ...
والشكر والتقدير أتقدم به إلى مشرفي الفاضل سعادة الأستاذ الدكتور / عبدالله حسن بركات ، الذي كان له أكبر الفضل - بعد الله - في إنجاز هذا البحث ، حيث أولاني جل اهتمامه ورعايته ؛ وإرشاداته وتوجيهاته القيمة ،
فأسأل الله أن يجزيه على هذا خير الجزاء ، ويجزل له المثوبة والعطاء ، وينفع به وبعلمه ،
وكذا أتوجه بالشكر إلى مشرفي سعادة الأستاذ الدكتور / عبدالعزيز المرشدي لقبوله الإشراف على الرسالة ، وعلى توجيهاته وآرائه النافعة ، فجزاه الله خير الجزاء على ماقدم ،
وحق علي أن أشكر الأستاذين الفاضلين اللذين تكرما بقبول مناقشة بحثي سعادة الأستاذ الدكتور / علي العلياني
وسعادة الأستاذ الدكتور / محمود مزروعة
وأعدهما أن أعمل - بإذن الله - بإرشاداتهما السديدة ، وملاحظاتهما الرشيدة حول البحث ، فجزاهما الله عني وعن طلاب العلم الخير والمثوبة ،
ولايفوتني أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل يد امتدت إلي بعون ...
وإلى كل فم نطق بكلمة دعاء أو تشجيع ، وأخص بالذكر سعادة الأستاذ الدكتور / أحمد السايح الذي أبدى اهتماماً خاصاً بالرسالة وساعدني في الحصول على بعض المراجع من جمهورية مصر العربية
كما أتقدم بالشكر العميق إلى خالي العزيز إبراهيم الحازمي نظير ماقدم من جهود مشكورة سهلت لي الكثير من الصعوبات التي اعترضتني أثناء هذا البحث أثابهم الله جميعاً خير الثواب ،
أسأل الله العلي أن يكون عملنا في طاعته ورضاه إنه نعم المولى ونعم النصير

الباحثة

(1) سورة الحديد ، آية ٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، نحمده حمد الشاكرين ، ونثني عليه الخير كله ٠ ونصلي ونسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ٠ الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ٠ وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين ٠

وبعد ٠٠٠

فلقد أنزل الله تعالى الإسلام نوراً ، يهدي به من يشاء من عباده ، ومنهجاً يستقي منه المسلمون نظم حياتهم الاعتقادية ، والخلقية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ٠٠

وعلى هذا سارت الأمة الإسلامية قروناً عديدة ، فلم تعرف غير نبيها تقتدي به ، وغير دينها تهتدي به ، وفتحوا بهذا الدين القويم قلوب العباد والبلاد ؛ حتى وصل الإسلام إلى حدود الصين شرقاً ؛ وحدود فرنسا غرباً ٠

وقد صمد الدين الإسلامي أمام اختلاف الشعوب ، والألسنة ، والحضارات ؛ فجمعهم تحت راية واحدة ، وأقام لهم حضارة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً ٠

حدث ذلك كله وأوروبا بأجمعها غارقة في ظلمات الجهل ؛ الذي فرضته الكنيسة عليها ، حتى سميت تلك الفترة بالعصور الوسطى المظلمة ٠ نعم لقد كانت مظلمة أظلمتها الكنيسة بالدين المحرف ،

الذي أجبرت الناس على اعتقاده ، وبالعلم الذي حاربته ، وحالت دون تفتح العقول له .

ولقد شهدت بغداد والأندلس في تلك الفترة الزاهرة حضارة بلغت أشعتها الدول الأوروبية ، فأيقظت العقول من سباتها ، وظلت الحضارة الإسلامية منبعاً فياضاً ؛ يستقي منه الأوربيون العلوم والمعارف حقبة طويلة من الزمن ، ورغم هذا الواقع المضيء إلا أن الصليبية الحاقدة لم تهنأ بوجود هذه الحضارة ، فأظهرت حقيقتها وعداوتها للإسلام وأزالت قناعها المزيف ، ومكرت وزرعت الدسائس ، وحاربت ، ومازالت بها حتى قضت على الدولة الإسلامية في الأندلس . وبذلك انقضى العهد الزاهر لتلك الدولة . ورغم ماقدمته الحضارة الإسلامية للغرب إلا أن الحقد الصليبي المتغلغل في النفوس الغربية ، لم يكتف بمافعل في الأندلس ، بل أرسل حملات صليبية موجهة للعالم الإسلامي في الشرق ليقضي على حضارتهم الإسلامية هناك ولم تستطع هذه الحملات تنفيذ أعراضها ، حيث واجهها المسلمون بكل قوة ، ودحروا جيوش العدو ، فباءت هذه الحملات بالفشل .

من هنا بدأت العقلية الغربية ، تفكر وتتساءل عن سبب القوة والتفوق الذي تميز به المسلمون . وقد أوصلهم هذا التفكير إلى أن قوة المسلمين تكمن في تمسكهم بالعقيدة الإسلامية ، واهتدوا إلى أنه إذا ما أمكن إزالة هذه العقيدة ، أو إضعافها في قلوب أتباعها ، عندئذ فسينجحون بذلك فيما فشل فيه السيف . ومن هنا تطلع الغرب إلى السعي لتحقيق هذا الهدف ، وساعدهم في ذلك أن العالم الإسلامي

في ذلك الوقت كان يعيش فترة الركود والفرقة والانقسام ؛ لذا وجدوا أن الوقت مواتياً لفرض الفكر والإرادة الغربية على العالم الإسلامي خاصة وأن أوروبا كانت قد استعادت حيويتها بفضل التقدم العلمي والنهضة الحديثة التي حققتها . فعمد الغرب إلى فرض سيطرته الفعلية على العالم الإسلامي عن طريق الاستعمار العسكري ؛ الذي ركز على مواطن القوة في العالم الإسلامي كشمال أفريقيا وخاصة مصر ،ودولة الخلافة الإسلامية .

وقد أعدت السياسة الاستعمارية الكثير من الخطط والوسائل ، التي تضمن تحقيق الأهداف الغربية في البلاد الإسلامية المستعمرة في أقصر وقت ممكن ، ولعل أهمها إنشاء التعليم العلماني ، وقيام المحاكم المختلطة . اللذين ساهما في إضعاف جذوة الدين في نفوس المسلمين وضمنا للغرب تحقيق أهدافه حتى بعد خروج الاستعمار الغربي منها .

فقد أنشأ التعليم العلماني جيلاً غزته الأفكار الغربية ؛ وكان هذا الجيل سبباً لمعظم البلاء الذي تعاني منه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر سواء كان ذلك بحسن نية أم بسوء قصد . وتولت أقلامهم المأجورة نشر الأفكار المسمومة ، وبذر بذور الشك في صدور الشباب المسلم سعياً لتدمير الإسلام، وقتل وتشويه مثله وتعاليمه وأخلاقه ، والتشكيك فيها . وقد استطاعت هذه الأقلام إغراق الساحة الفكرية الإسلامية بالشعارات البراقة ، والألفاظ الرنانة ؛ التي تأخذ بمجامع الألباب أمثال الحرية والتقدم والتمدن وحقوق المرأة وغيرها .

ولقد استغل دعاة التغريب عاطفة المرأة فجعلوها هدفهم وركزوا عليها في دعوتهم ؛ لعلمهم أنـها المحضـن الأساسـي لشباب الأمـة ؛ فإذا صلحت ؛ استطاعت أن تخرج جيلاً من الشباب المسلم الواعـي ، الذي يسير وفق منهج الله ، وإذا فسـدت لـم تستطع أن تكـون جيـلاً نافعاً للأمة ؛ بل إنه يكون وبالاً وعليها ، فيزيد من بلائها، شقائها ٠ من هنا وجـه دعـاة التغريـب سمومهم إلـى عقليـة المـرأة المسلمة ، فصوروا لها المرأة الغربية على أنها المثل الأعلـى ، الـذي يجـب أن يحتـذى ، لأنـها تتمتـع بكـامل حقوقـها ، وبحريتـها ، فـلا تعـاني مـن سيطرة تفرض عليها مـن أب أوزوج أو أخ ، بـل تخـرج ، وتسـافر ، وتخالط ، وتعاشر ، بدون رقيب أو حسيب ، لا لوم عليها ولاعتاب ٠ وبالتالي صوروا لها المرأة المسلمة على أنها المرأة المظلومة ، التي لاتتمتع بحق ولاحرية ، المـرأة التـي تعيش تحـت سيطرة الرجـل ، وتكرس حياتها لتلبية رغباته واحتياجاته ٠ المرأة التي خلقت لتحبس في البيت ؛ حتى تدفن في القـبر مستغلين فـي فـرض هـذه الصـورة بعض السلبيات التي كانت تحدث لدى بعـض الأسـر ؛ التـي لاتتمثـل الإسلام ولاتهتدي بهداه ؛ فنشأ عن ذلك جيـل مـن الفتيـات المسـلمات لايعرفـن مـن الإسـلام إلا اسـمه ، ولايدركـن مـن تعاليمــه وقيمــه وأخلاقياتـه إلا الضوابـط ؛ التـي وضعـها ليكفـل لـهن حيـاة كريمــة، **فنظرن إليها على أنـها قيـود تحـد مـن حريتـهن وتقدمـهن ، ومـن ثـم** نظـرن إلــى تعاليمــه بعيـن الإزدراء ، ورأينـها سـبيلاً للتخلـف والرجعية، وفي المقابل توجهن إلى عقلية الغرب ، واعتبرنها جديرة بالاحتذاء وأنها هي التي تحقق لهن الحرية والتقدم والمدنية ٠

هذه النظرة لم تنشأ جزافاً بل بتضافر جهود دعاة التغريب من خلال مناهج التعليم العلمانية ، ووسائل الإعلام المأجورة ، التي تسعى وتحفد في سبيل تحقيق الأهداف التغريبية ٠

ونظراً لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة تتمثل في كونه موضوعاً معاصراً ؛ لازالت آثارة السلبية ممتدة في عقلية المرأة المسلمة ، ومؤثرة على سلوكها ، ونظرتها للحياة ، أردت أن أسهم بقلمي وفكري في هذا الموضوع لعل الله أن يفتح به قلوباً أوصدت أمام الحق ، وعقولاً أغلقت عن نور الهداية والرشاد ٠ فيعود لأمتنا المسلمة كثير من الخير والتقدم ، الذي فقدته بسبب انقياد الكثيرات لعقلية الغرب ٠

والله من وراء القصد ٠

أسباب اختيار موضوع البحث :

١- محاولة الوقوف على العوامل التي أدت إلى وجود التغريب في حياة المرأة المسلمة ، إذ إنه لا انحراف إلا من وراء شبهة أو شهوة ٠ يقول ابن القيم في مدارجه : " ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم ، فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط، تخطفه ، وتعوقه عن المرور عليه "[1] ٠

٢- صد هجمات دعاة التغريب ، وفضح مخططاتهم ، وكشف مؤامراتهم ، وإزالة شبهاتهم ، التي حاولوا بها غزو عقلية المرأة المسلمة ٠

٣- محاولة النهوض بحال المرأة المسلمة ، وتوضيح الأخطار المحدقة بها ؛ لكي تكون على وعي ويقظة لما يحاك ضدها ، ويخطط لها ، وإيجاد كيفية لمقاومة هذا التغريب في خطوة نحو الرجوع إلى كتاب الله والسنة الشريفة ٠

٤- تحصين المرأة المسلمة ضد التيارات الفكرية المعاصرة ، وذلك بتعريفها بمايحمله لها الإسلام من تكريم ؛ وتحقيق الحرية ؛ وإسداء الحقوق ؛ التي تضمن لها السعادة الحقيقية ٠

---

[1] ابن القيم الجوزية ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، (١ : ١٦) ٠

جميع هذه الأسباب جعلتني أختار هذا الموضوع الهام ، وأجعله موضوع بحثي • ومن ثم جاء عنوانه : شبهات التغريب وأثرها على المرأة المسلمة •

منهج البحث :

وقد اتبع في البحث المنهج الآتي :

أولا : اعتمدت في هذا البحث على عرض الشبهة التي أطلقها دعاة التغريب في مبحث ، على أن يأتي الرد عليها في نفس المبحث ، أو في المبحث التالي لها ، حسب منهج الرسالة ليكون لها أبلغ الأثر في إزالة الشبهة •

ثانيا : اعتمدت على كتب اللغة ، والمعاجم اللغوية ، في تحديد المفاهيم اللغوية للشبهات أمثال المدنية ، التقدم ، التخلف ، التقليد ، المساواة ، السفور ، حرصا على توضيح الموضوع بدقة •

ثالثا : التزمت الأمانة العلمية ، حيث كنت أضع علامة التنصيص في بداية الفقرة المنقولة ونهايتها ، ثم أضع لها رقما، يقابله رقم في هامش الصفحة يتم فيه التعريف بالمرجع •

رابعا : حققت الآيات القرآنية ، فذكرت اسم السورة ورقم الآية • وحققت الأحاديث النبوية ، فذكرت اسم المصدر والباب والجزء ورقم الصفحة ، وذكرت درجة الحديث غالبا إذا لم يوجد في البخاري ومسلم • وإذا نقلت نصا من كتب العهد القديم أو الجديد كتبت سفر كذا ، وإصحاح كذا وفقرات كذا • وإذا

نقلت من مرجع منهجي ما ذكرت اسم المؤلف والكتاب والدار والطبعة ورقم الجزء والصفحة .

خامسا : يعد هذا الموضوع من المواضيع الحديثة المعاصرة ، لذا فان الكتابة عنه قد عدمت قديما ، فلامراجع سوى بعض الفقرات التي رجعت فيها إلى كتب التراث الإسلامي ؛ لذا فإن مصادر هذا البحث من كتب التراث الإسلامي قليلة ، أما بالنسبة للمراجع المنهجية الحديثة فهي كثيرة - بحمد الله - وقد اعتمدت عليها كثيرا .

سادسا : ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث - عدا المشهورين منهم - معتمدة في ذلك على كتب التراجم القديمة والحديثة المختصة .

سابعا : رتبت المصادر والمراجع في آخر هذا البحث ترتيبا أبجديا .

هذا وقد جاءت خطة البحث مكونة من مقدمة وبابين احتويا خمسة فصول ، ثم خاتمة .

وقد جاء الحديث في المقدمة عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومنهج البحث ، ثم خطته .

الباب الأول : التغريب وشبهاته .

وقد تضمن فصلين في كل منهما مباحث على النحو الآتي :

الفصل الأول : التغريب .

المبحث الأول : مفهوم التغريب .

المبحث الثاني : أهداف التغريب .

المبحث الثالث : وسائل التغريب .

المبحث الرابع : علاقة التغريب بالمذاهب الهدامة .

الفصل الثاني : شبهات التغريب .

المبحث الأول : شبهاتهم حول المدنية والتقدم .

المبحث الثاني : شبهاتهم حول الحرية وحقوق المرأة .

المبحث الثالث : شبهاتهم حول دعوى تخلف الشريعة الإسلامية عن مواكبة العصر .

المبحث الرابع : شبهاتهم حول الدعوة إلى تقليد المرأة الغربية .

الباب الثاني : آثار هذه الشبهات على المرأة المسلمة .

وقد تضمن ثلاثة فصول في كل منها مباحث على النحو الآتي:

الفصل الأول : النزوع إلى المساواة المطلقة .

المبحث الأول : واقعها عند الغربيين .

الباب الأول :

التغريب وشبهاته

الفصل الأول :

التغريب

الفصل الثاني :

شبهات التغريب

الفصل الأول

التغـــريـــب

المبحــث الأول : مفهوم التغريب .

المبحث الثاني : أهداف التغريب .

المبحث الثالث : وسائل التغريب .

المبحث الرابع : علاقة التغريب بالمذاهب الهدامة .

المبحث الأول
" مفهوم التغريب "

أولاً : مفهوم التغريب اللغوي :

بالنظر في المعاجم اللغوية ، نجد أن مادة التغريب تدور حول معنى البعد والنفي عن البلد ٠

جاء في الصحاح :

" الغُربة : الاغتراب ، تقول منه تغرّب واغترب بمعنى : فهو غريب وغُرُب ٠٠٠

والجمع غُرباء ٠ والغُرباء : الأباعِد ٠٠ والتَّغْريب : النَّفي عن البلد ٠٠ وأغرَبَ الرَّجُلُ : صار غَريباً " ٠[1]

وذكر صاحب تاج العروس :

" الغُرب بالضم : النزوح عن الوطن كالغربة ٠ والاغتراب والتَّغرُب : البعد ، تقول منه : تَغَرَّب واغترب ٠ "[2]

وكتب الفيومي في مصباحه :

" غَرُب الشخص بالضم " غرابة " : بَعُد عن وطنه ، فهو غريب ٠٠ وجمعه غُرَباء ٠ وغَرَّبته أنا تغريباً ، فتغرب ، واغترب، وغرب بنفسه تغريباً - وأغرب ٠٠ دخل في الغربة " ٠[3]

وفي المعجم الوجيز :

" غَرُبَ عن وطنه غُربة : ابتعد عنه ٠ فهو غريب ٠ أغرب في كلامه : أتى بالغريب البعيد عن الفهم ٠٠ (تَغَرّب) : نزح عن

---

[1] إسماعيل الجوهري - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط٢ ، ١٣٩٩هـ، (١ : ١٩١) ٠ وانظر محمد بن أبي بكر الرازي - مختار الصحاح ، ص ٤٧٠ ٠

[2] محمد مرتضى الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة، بيرت - لبنان، ط١ ، ١٣٠٦هـ ، (١ : ٤٠٧) ٠

[3] أحمد محمد الفيومي - المصباح المنير ، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان ، (١: ٤٤٤)٠

الوطن ، استغرب الشيء : عدّه غريباً ..

والغريب : الرجل الذي ليس من القوم ولامن البلد ".[1]

وذكر صاحب اللسان :

" والغُرب : الذهاب والتنحي عن الناس ، وقد غرب عنا ، يغرب غرباً . وغرّب وأغرب ، وغرّبه وأغْربه : نحّاه..

والغربة والغرب : النّوى والبعد ..

والتّغريب : النفي عن البلد.وغَرُبَ:أي بعد ، ويقال : اغرب عني : أي تباعد .. والتّغرُّب : البعد .

والغُربة والغرب : النزوح عن الوطن والاغتراب ...

وغريب : بعيد عن وطنه .. والمُغَرب : المبعد في البلاد ."[2]

بالنظر إلى هذه التعاريف السابقة نجد أن المعنى الذي يتناول موضوعنا هنا - في الجانب اللغوي - هو المعنى الذي يدور حول البعد ، كما سيظهر لنا في المفهوم الاصطلاحي .

ثانياً : مفهوم التغريب الاصطلاحي .

وردت عدة تعريفات للتغريب في المحيط الإسلامي منها ماذكره الدكتور محمد حسين بأنه :

" طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية و الثقافة الغربية ".[3]

وتعرفه الموسوعة الميسرة بأنه :

" تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية يرمي إلى

---

[1] مجمع اللغة العربية - المعجم الوجيز - المركز العربي للثقافة والعلوم ، ص٤٤٧ .

[2] جمال الدين ابن منظور - لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، (١ : ٦٣٨ - ٦٣٩) .

[3] محمد محمد حسين - حصوننا مهددة من داخلها ، دار الرسالة ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، ط١٢ ، ١٤١٣هـ ، ص١١٥ .

صبغ حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي ."[1]

ويرى الأستاذ محمد كشك أن التغريب :

" إقناع الأمة الشرقية أنها متخلفة في جوهرها ، متخلفة في تاريخها وصميم تكوينها . ومن ثم فلابد من انسلاخها تماماً من كل مايربطها بماضيها ، ويميز ذاتها ، واعادة تشكيل المجتمع على الطراز الغربي من ناحية العادات والمظاهر السلوكية "[2] .

أما الأستاذ / أنور الجندي فيعرفه بأنه :

" محاولة لتغيير المفاهيم في العالم الإسلامي ، والفصل بين هذه الأمة وبين ماضيها وقيمها ، والعمل على تحطيم هذه القيم " .[3]

وجاء في الموسوعة العربية العالمية :

" إنه الأخذ بأساليب الحضارة الغربية في كل شيء ، لينتقل المجتمع من المرحلة التقليدية إلى المرحلة التي وصلت إليها المجتمعات الغربية "[4] .

وقد ذكرت الموسوعة للتغريب تعريفين آخرين وهما :

" هجر الذات مالها وماعليها إلى الغريب عنها ، تتلبس به ، وتتقمصه بدافع جهل أو شعور بالدونية " . وبأنه :

" حركة تهدف إلى دمج كل ثقافات العالم في نسق ثقافي واحد "

وهكذا نجد أن التعريف الثاني بعيد عن المفهوم الاصطلاحي المرتبط بموضوع البحث .

---

[1] الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الرياض ، ١٣٩٢هـ ، ص ١٤٥ .

[2] محمد كشك - ودخلت الخيل الأزهر ، ص١٤ .

[3] أنور الجندي - الصحوة الإسلامية ، دار الاعتصام ، ص ٣٧٧ .

[4] مؤسسة اعمال الموسوعة - الموسوعة العربية العالمية ، ط١ ، (٧ : ٤٥) .

لأنه خاص بالتغريب من ناحية الجانب الثقافي فحركة دمج الثقافات التي يهدف إليها الغرب ، حركة تحاول مسخ الثقافة الإسلامية ودمجها في الثقافة الغربية • والواقع أن هذه الحركة حركة ضد تيار الفطرة والنواميس الكونية ، فالاختلاف سنة الله سبحانه في هذا الكون •

وفي كتاب الغزو الفكري للدكتور علي محمود يعرفه بأنه :

" مجموعة من الدراسات والأعمال والثقافات والنظم تُجرى حول المسلمين ، وتُطبق على مجتمعاتهم ، فتؤدي بهم في النهاية إلى أن يتشبعوا بالفكر الغربي والحضارة الغربية المعادية للإسلام ، أو يكونوا تحت تأثير هذه الحضارة ، بحيث تحتويهم ، وتقضي على شخصياتهم وعلى ولائهم لدينهم " [١] •

يرى د منصور الخريجي أن التغريب :

" تعرض الأمة الإسلامية والعربية في عقيدتها ومبادئها وأخلاقها وقيمها وعاداتها وتصوراتها وأفكارها وتراثها وحضارتها ؛ لغزو مركز يستهدف محو الشخصية الإسلامية العربية ؛ وصهرها في بوتقة الغازي الأجنبي " [٢]•

ويعرفه الأستاذ / أنور الجندي في كتابه شبهات التغريب بأنه :

" خلق ـ إنشاء ـ عقلية جديدة ؛ تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه ، ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي

---

[١] علي محمود ـ الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط١ ، ١٣٩٩هـ ، ص١٢٣ •

[٢] منصور الخريجي ، الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ماضيه وحاضره ، دار الصميعي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ـ ط١ ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٢ •

من خلالها ". [1]

أما في كتابه الإسلام في وجة التغريب فيعرفه بأنه :

" حمل العرب والمسلمين على قبول دهنية الغرب والخضوع لنفوذه ، وسلطانه ، وتقبل الاحتواء في بونقته ، بحيث لايجد لنفوذه وسيطرته أي معارضة " . [2]

أما الأستاذ / إسماعيل الكيلاني فنجد أن مفهوم التغريب عنده يتمثل في أنه : " تحويل المسلمين عن دينهم تحويلاً بطيئاً وغير مباشر للحيلولة بينهم وبين مصدر قوتهم " . [3]

ويعرفه د/علي جريشه بأنه : " تغيير قيم الأمة ومثلها ، تغيير ثقافتها وأخلاقها وعقيدتها ، وبعبارة واضحة إبعاد المسلمين عن دينهم " . [4]

من خلال النظر في هذه التعريفات نجد أنها تعددت نتيجة لاهتمام كل عالم بالجانب الذي ينظر إليه و لتعدد المراحل التي قطعها التغريب في واقع الأمة الإسلامية .

فكل كاتب كان تعريفه معبراً عن المرحلة التي عايشها وفهمها من خلال الشوط الذي قطعه منها في وقته .

وتدور هذه التعريفات حول ثلاث مراحل للتغريب ، وهي :

مرحلة التطبيع بالطابع الغربي ، ومرحلة محاولة القضاء على الشخصية الإسلامية ، ومرحلة محاولة إبعاد المسلمين عن دينهم .

وقد بدأت مراحل التغريب بمحاولة دعاة التغريب تصوير

---

[1] أنور الجندي ، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، ١٣٩٨هـ ، ص١٣ .

[2] أنور الجندي ، الإسلام في وجه التغريب ، دار الاعتصام ، ص٤١٨ .

[3] إسماعيل الكيلاني ـ فصل الدين عن الدولة ـ المكتب الإسلامي ، ط١، ١٤٠٠ هـ ، ص٦ .

[4] علي جريشه ، محمد الزيبق ـ أساليب الغزو الفكري في العالم الإسلامي ، دار الاعتصام ، ص٥٦ .

الحضارة الغربية بمظهر التقدم العلمي والرقي الحضاري في جميع الميادين ، مع إبراز أن الأمة الشرقية أمة متخلفة ، ليست ذات تقدم وتحضر • ومحاولة ربط تخلف الأمة الشرقية ماديا بالدين ؛ لتصور وجود تناقض بين الدين والتقدم •

ونتيجة لذلك شعر المسلمون بالنقص والدونية ، ورأوا في الحضارة الغربية الطريق الذي يجب أن يتبع •

وكان حري بالمسلمين أن يتبعوها في الناحية المادية، فيدرسون علومها ، وينتفعون بها ، فالحكمة ضالة المسلم أينما وجدها أخذها •

ثم بدأ تحويل المجتمع الإسلامي تحويلا بطئيا وغير مباشر ، حتى يتم سلخ المجتع من دينه ؛ ومايربطه بماضيه ، ويميز ذاته وشخصيته • فكانت المطالبة بالأخذ بالحضارة الغربية محاولة منهم للقضاء على الشخصية الإسلامية ؛ وتغيير مثلها وقيمها ومبادئها • ثم تطورت مرحلة التغريب حتى وصلت إلى محاولة إبعاد المسلمين عن دينهم •

وكان هذا غرض دعاة التغريب الأسمى ولعل واقع الأمة الإسلامية الحاضر يعبر كثيرا عن هذه المرحلة • فقد أصبحت كثيرمن المجتمعات الإسلامية في الوقت الراهن مبتعدة عن منهج الله عقيدة وسلوكا • وهذا ينطبق على تعريف التغريب بأنه هو : " محاولة إبعاد المسلمين عن دينهم وعقيدتهم " •

ويترجح هذا التعريف كذلك بالنظر إلى المفهوم اللغوي حيث كان التغريب في اللغة البعد والإبعاد •

المبحث الثاني

" أهداف التغريب "

يسعى دعاة التغريب لتحقيق هدف رئيسي ألا وهو هدم الإسلام في نفوس المسلمين ومحاولة إبعادهم عن قيمه ومثله ٠

ذلك لأنهم أدركوا بأن سر قوتهم ووحدتهم يكمن في إسلامهم ٠

وقد ذكر الصواف ذلك بقوله :

" أجمعوا على أن سر نهضتنا إنما يكمن وراء ديننا ، وأن الإسلام هو مبعث وحدتنا وقوتنا وانطلاقنا في الحياة ،ثم أجمعوا أمرهم ودبروا كيدهم ،وقالوا : تعالوا نهدم بنيانهم بهدم إسلامهم ، فنحاربه في نفوسهم ، ونضعفه في قلوبهم ، وننفرهم منه ونبعدهم عنه ، ونشغلهم بمبادئ أخرى " ٠[1]

ولما كانت مواجهة الإسلام غير ممكنة ، فقد صعب عليهم تحقيق هذا الهدف مباشرة ، مماألزمهم تحقيق أهداف صغرى ، تؤدي في النهاية إلى تحقيق هدفهم الأصلي والأهم وهذه الأهداف هي :

١ ـ "تصوير الفكر الغربي والحضارة الغربية بصورة المثل الأعلى السامي ، الذي يقدم المجتمع الإنساني الحر" ٠[2]

---

[1] محمود محمد الصواف ـ المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، دار الاعتصام ، ط٣ ، ص١٧ ٠

[2] الإسلام في وجه التغريب ، ص٢٠٨ ٠

ولعل أول من حاول إظهار تفوق الغرب هو رفاعة الطهطاوي* ، حين ذكر في نهاية كتابه تخليص الإبريز أن تمدن فرنسا حقيقة لاجدل فيها ، وأنه " لاينكر معارفها إلا من لاإنصاف عنده ، ولامعرفة له ".[1]

كماتحدث الطهطاوي عن تفوق فرنسا في كثير من مجالات التقدم العصرية ، مع إيمانه بأن هذا التمدن لابد من نقله إلى دار الإسلام . وقد تابعه في ذلك قاسم أمين ** بقوله " ومن الغريب أن المسلمين في جميع أزمان تمدنهم لم يبلغوا مبلغ الأمة اليونانية ، ولم يتوصلوا إلى ماوصلت إليه " . [2]

ويقول في موضع آخر :

" إننا نذعن بتقدم الغربيين علينا في العلوم والصنائع ، لأننا نرى آثارها محيطة بنا من جميع أطرافنا .. وبالجملة نرى في كل آن وفي كل مكان برهاناً مادياً ، لايمكن معه إلا التسليم بأننا متأخرون عن الغربيين كثيراً ".[3]

هذا التصوير للحضارة الغربية وتقدمها هدف إليه التغريب لإيجاد الشعور بالنقص والدونية والتأخر لدى المسلمين ؛ مع

---

[1] رفاعة الطهطاوي : تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، الهيئة المصرية العام للكتاب ١٩٩٣م ص٩٣ .

[2] قاسم أمين ، المرأة الجديدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة التنوير ، ١٩٩٣م ، ص ١١٠ .

[3] المرجع السابق ، ص ١١٦ .

* رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي عالم مصري ، من أركان نهضة مصر العلمية ، ولد في طهطا عام ١٢١٦هـ أرسلته الحكومة المصرية إماماً للصلاة والوعظ ، فدرس الفرنسية ، تولى رئاسة الترجمة ، ألف وترجم كتباً كثيرة ، منها قلائد المفاخر في غرائب عادات الأوائل والأواخر ، المعادن النافعة ، مبادئ الهندسة ، المرشد الأمين ، توفي بالقاهرة ١٢٩٠ هـ. انظر خير الدين الزركلي / الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٤م ،(٣ : ٢٩) .

** قاسم محمد أمين المصري كاتب باحث . كردي الأصل ، ولد بمصر عام ١٢٧٩هـ ، فنشأ وتعلم بها ،ثم أكمل دراسته في الحقوق بفرنسا توفي بالقاهرة عام ١٣٢٦هـ . له تحرير المرأة ، المرأة الجديدة ، كلمات قاسم أمين . انظر الأعلام ، (٥: ١٨٤) .

الإيحاء بضرورة تقدمنا ، والذي لايمكن أن يتم إلا بنفس الطريق الذي سار عليه الغربيون ، لنكون معهم على قدم المساواة في الحضارة والتقدم ٠

٢ - محاولة " إنشاء عقلية عامة ؛ تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية "٠[1] مما يؤدي إلى الاستهانة بالقيم الإسلامية ؛ وإضعافها في نفوس المسلمين ، والإطاحة بكل ماهو إسلامي ، مما ينشأ عنه " جيل زاهد في الانتماء لدينه ، غيرمتحمس له ، ولاحريص عليه ، يهاب الأديان الأخرى ولايهاب عقيدته ، ويفضل الألسنة الأخرى ويستهين بلغته"٠ [2] ويتخلص من كل مايربطه بدينه ٠

٣ - لجوء دعاة التغريب إلى تدمير الشخصيات الإسلامية، والتشكيك في عظمتها ؛ في الوقت الذي قاموا فيه بتعظيم الشخصيات التي شوهت صورة الإسلام في نفوس أبنائه أمثال الحلاج * وابن الراوندي ** وأبي نواس *** مماساهم في إعطاء انطباع سيء عن الإسلام في نفوس الشباب المسلم " فهناك ثلاث

---

[1] الإسلام في وجه التغريب ، ص ١٣٧ ٠

[2] محمد الغزالي ، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا - مؤسسة الشرق - الأردن ، ط٢، ١٩٨٥م ، ص ٤٧ ٠

* الحلاج : هو الحسين بن منصور بن محمد أبو عبدالله الفارسي ، يظهر مذهب الصوفية ويدعي حلول الألوهية فيه ، تعلم السحر واراهم المخاريق ، أباح العلماء دمه ، فقتل عام ٣٥٩ هـ ٠ انظر محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ، (١٤/ ٣١٣) ٠ أحمد بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار صادر ، بيروت ، (٢ : ١٤٠) ٠ أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (٨ : ١١٢) ٠ أحمد بن علي بن حجر ، لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧١م ، (٢ : ٣١٤) الأعلام ، (٢: ٢٦٠) ٠

** ابن الراوندي : هو أحمدبن يحي بن إسحاق أبو الحسين الزنديق الشهير ، كان من متكلمي المعتزلة ، ثم تزندق ، واشتهر بالإلحاد ، ألف كتباً في الاعتزال والرفض والطعن في الشريعة ، توفي ٢٩٨هـ ٠ انظر لسان الميزان ، (١ : ٣٢٣) ، الأعلام (١ : ٢٦٧) ٠

*** أبو نواس : هو الحسن بن هاني الحكمي ولد بالأهواز ، ونشأ بالبصرة ، شعره في الذروة ، ولكن فسقه ظاهر ، وتهتكه واضح ، أكثر من النظم في المجون ، وغلب عليه اللهو ، انظر لسان الميزان ، (٧ : ١١٥) ٠

رسائل معروفة : فلسفة ابن خلدون* لطه حسين ** ، ومع المتنبي *** لطه حسين ، والأخلاق عند الغزالي **** لزكي مبارك ***** وهي في مجموعها تزويد للاتهامات والشبهات التي أثارها المستشرقون والمبشرون ـ المنصرون ـ ".[1]

أضف إليهم د/ لويس عوض الذي نجده " يتحامل على ابن خلدون ويصوره تلميذاً للفكر اليوناني والروماني ، ويلتمس خيوطاً مهلهلة ، يربط فكره بهذا الاتجاه ، ويرجح بالباطل أن يكون ابن خلدون قد عرف اللاتينية ، لأنه ذكر أسماء مؤرخين أو علماء مفكرين أوربيين ".[2] وهكذا حال دعاة التغريب مع الشخصيات العظيمة في الإسلام ، حيث يسعون لتدميرها ، والتشكيك فيها ،

---

[1] الإسلام في وجه التغريب ، ص١٥٤ .

[2] أنور الجندي ، الصحافة والأقلام المسمومة ، دار الاعتصام ، ص ١٤٧ .

* ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ، أبو زيد ، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ) ، فيلسوف مؤرخ ، عالم اجتماعي ، مولده ونشأته بتونس توفي فجأة في القاهرة ، له عدة مؤلفات منها : المقدمة والعبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و العجم والبربر ، شرح البردة وغيرها . انظر الأعلام ، (٣: ٣٣٠) .وانظر ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ،(٧:**٧٦**) .

** طه بن حسين بن علي بن سلامه . دكتوراه في الأدب من كبار المحاضرين ، ولد في الصعيد المصري ، بدأ حياته في الأزهر ، صم الجامعة المصرية ، وأخذ منها الدكتوراه ، وسافر في بعثة دراسية إلى باريس ، عين محاضراً لكلية الآداب ، ثم عميداً ، فوزيراً للمعارف له عدة مؤلفات منها : في الأدب الجاهلي ، في الشعر الجاهلي ، مستقبل الثقافة في مصر ، الأيام ... ترجمت كثيرمن كتبه إلى عدة لغات توفي بالقاهرة ١٣٩٣هـ ، وكان مولده ١٣٠٧هـ ، انظر الأعلام ، (٣ : ٢٣١) .

*** أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي الأديب الشهير بالمتنبي ، ولد سنة ثلاث وثلاث مئة ، كان من أذكياء عصره ، زعم أنه علوي ، ثم تنبأ ، فافتضح ، وحبس دهراً مات مقتولاً سنة أربع وخمسين وثلاث مئة . انظر سير اعلام النبلاء ، (١٦ : ١٩٩) .

**** محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي .حجة الإسلام ، فيلسوف متصوف ، جمع اشتات العلوم ، وبرز في المنقول والمفهوم . ولد سنة خمسين واربعمائة بطوس وتوفي بها سنة خمس وخمسمائة. انظر الأعلام (٧ : ٢٢) ، عبدالوهاب ابن تقي الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، المطبعة الحسينية المصرية الشهيرة ، إدارة محمد عبداللطيف الخطيب ، (٤ : ١٠١) .

***** زكي عبدالسلام مبارك ، أديب من كبار الكتاب المعاصرين ، امتاز بأسلوب خاص ، وله شعر ، ولد في مصر عام ١٣٠٨هـ وتعلم بالأزهر ، حصل على الدكتوراه من لجامعة المصرية اطلع على الأدب الفرنسي في فرنسا ، اشتغل بالتدريس ، ثم وزيراً للمعارف ، توفي في القاهرة عام ١٣٧٠هـ . له نحو من ثلاثين كتاباً ، منها النثر الفني في القرن الرابع ، البدائع ، التصوف الإسلامي ، ألحان الخلود ... وغيرها . انظر الأعلام ، (٣ : ٤٧) .

٢٣٩٣

رغبة في خلق الشعور بالنقص لدى المسلمين ، وفي المقابل كانوا يعظمون شخصيات كان لها دور كبير في أنها هدمت الإسلام ، وشوهت تاريخه ، رغبة منها في إيجاد تصور خاطيء عن الإسلام في نفوس المسلمين .

٤- إبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه".[١] إذ إن هذه العناصر ستكون العائق المنيع في وجه التغريب ، فكان من الضروري إبعادها عن المراكز المهمة في توجيه المجتمع، والتأثير عليه . مع إدخال عناصر جديدة تربت على موائد الغرب ، واتخذت عقليتهم وطابعهم ، فبرزت هذه العناصر في عدة مجالات مهمة كالسياسة والفكر والتعليم والصحافة ولايخفى مالهذه المجالات من تأثير كبير في تغيير قناعات المجتمع نحو مايريده دعاة التغريب ، مع إحداث آراء وأفكار ، تتفق مع الآراء التي تشبعوا بها .

٥-«تفريغ هذه الأمة من معطياتها وقيمها وعقائدها ، حتى تصبح أمة منصهرة ، تعتنق أسلوب الغرب ، وتذهب عنها ذاتيتها ". [٢] وتزيل تميزها ، وتختفي شخصيتها ، بحيث تتقبل الاحتواء والخضوع ، بذلك تتم " تصفية الشخصية المسلمة وتفريغها من محتواها الديني والعقائدي ... فيصبح الأشخاص أنفسهم مجرد هياكل ممسوخة ، تتسمى بأسماء إسلامية ، ولكنها تعيش واقعا لالون له ،كما أن أثرهم وتأثيرهم في الحياة عديم .. لايملكون القدرة على تسيير أمورهم .. وهم في وضعهم هذا يكونون أقرب

[١] شبهات التغريب ، ص ٣٨١ . وانظر الإسلام في وجه التغريب ، ص ١٣٧ .
[٢] أنور الجندي ــ عقبات في طريق النهضة ، دار الاعتصام ، ص١٠٤ .

إلى التلقي والأخذ ، وأبعد مايكونون عن البذل والفداء والعطاء والإيجابية ".[1]

٦ - " إحلال النظم الغربية والتفكير الغربي في الشرق ".[2] إن من أهداف التغريب تجميد التفكير الإسلامي في الشرق ، ليظل يستمد نظمه وتفكيره من الغرب . هذا الهدف أدى إلى "نقل تصورات الحياة الغربية بمافيها من انحراف وانحلال لتطبق في مجتمعاتنا .. فما كان أصيلا ويقوم على الفكر الإسلامي القويم نبذوه جانبا ، واتخذوا من عادات وتقليد الغرب نبراسا يحتذونه ، ويسيرون في طريقه ".[3] وعن طريق هذه الأهداف استطاع التغريب التأثير في كثيرمن المجتمعات الإسلامية ، فأخذت بالأفكار والنظم الغربية ، وإن كان فيها مايخالف دينها، حتى بلغ الأمر أنه لم يعد هناك فرق بين هذه المجتمعات وتلك.وباستقراء واقع التغريب نجد أنه مع تحقق هذه الأهداف في بعض بلاد الإسلام ، إلا أنها لم تقض على الإسلام ، لأن قوة الإسلام ذاتية ، وهذا ماعترف به علماء الغرب أنفسهم .

يقول لورانس براون* :

" إن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام ، وفي قدرته على التوسع والإخضاع ، وفي حيويته المدهشة ".[4]

---

[1] محمد عبدالعليم مرسي ـ التغريب في التعليم في العالم الإسلامي ، سلسلة من ينابيع الثقافة (١٩)، **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عام ١٤٠٩هـ ، ص٢٨ .**

[2] أنور الجندي ـ اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب ، دار الاعتصام ، ص٣٢١ .

[3] الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ص١٤٩ .

[4] جلال العالم ـ قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله ـ دار الاعتصام ، ص٣٥ .

* لورانس براون له عدة آثار ، منهما في العالم الإسلامي ، الدين في تركيا ، انتشار الإسلام ، إدراك الوحدة في الإسلام و العلم الحديث ، الثقافة الإسلامية .
انظر نجيب العقيقي ، المستشرقون ، دار المعارف ، ط٤ ، (٢ :١٠٠) .

ويقول "انطوني ناتنج * " :

" على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلبة ، تواجهنا عبر المتوسط ". [1]

ويقول باول شميتز : " إن الإسلام قوة حيوية موجودة ، لأنها قائمة على أسس لاتتوفر في غيرها من تيارات القوى العالمية ". [2] هذه القوة الذاتية الحيوية في الإسلام هي التي تمنع اعداءه من القضاء عليه ، مهما تكالبت عليه الهجمات ، وسيظل عزيزاً منيعاً بإذن الله ، لأنه دين الفطرة ، الدين الكامل الذي ختم الله به الرسالات . وصدق الله إذ "**يقول يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوٰهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ** (٨) ". [3]

وقد ساهم في قوة الإسلام ومنعته أمام التغريب أن بعض دعاته كانوا في صراع ذاتي ، استحكم في نفوسهم ، وجعلهم ينقلبون على أنفسهم ، فتفشل جهودهم ، وتذهب ريحهم ، وقد أدرك بعضهم خطأ ماكانوا يدعون إليه ، فتحولت أصواتهم التي طالما هاجمت الإسلام إلى دعوة لنصرته ، ووجدوا أنه لم يبق أمامهم للتكفير عن أخطائهم سوى الانقضاض على حركة التغريب وقد اجتهدوا في نقد التغريب إلا أن رواسب الانبهار لازالت موجودة فأصبحوا يدافعون على خطأ .

---

[1] **محمد مورد ـ المواجهة بين الإسلام والغرب ـ الدار المصرية للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، ص٣٢ .**

[2] المواجهة بين الإسلام والغرب ، ص١٠٢ .

[3] سورة الصف ، آية :(٨) .

* انطوني ناتنج ، ولد عام ١٩١٥م ، وزير انشق على إيدن لاعتدائه على مصر ، وعمل مستشاراً للهيئة التي انتجت فيلم لورانس ، وقد طاف بالشرق مراراً . له إلى أين يتجه الشرق الأوسط ، وتاريخ العرب من قبل النبي حتى اليوم ، (المستشرقون ٢ : ١٤١) .

ومن هؤلاء الدعاة منصور فهمي * ومحمد هيكل** ، وزكي مبارك وغيرهم ٠ وهكذا يبقى للإسلام عزته ، وللصحوة الإسلامية استمرارها بحول الله تعالى ٠

---

* منصور فهمي بن علي فهمي من آل البقلي ، (١٣٠٣ ــ ١٣٧٨ هــ)، دكتور ومفكر مصري،له علم بالفلسفة والتربية والأدب ، تعلم بمصر ، وأرسل إلى باريس ، تدرج في وظائف جامعة القاهرة ، ثم أصبح مديراً لدار الكتب المصرية ، كان كاتب السرللمجمع اللغوي ٠ توفي ودفن بالقاهرة ٠ انظر الأعلام ؛ (٧ : ٣٠٢) ٠

** محمد حسين هيكل (١٣٠٥ ــ ١٣٧٦هــ) ، كاتب صحفي ، مؤرخ من أعضاء المجمع اللغوي ، ومن رجال السياسة بمصر ، أكثر من الكتاب في جريدة الجريدة ، كان من أركان الحزب الدستوري ، أصدر مجلة الفضيلة ، حصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة السربون بفرنسا ، صنف كتباً منها: حياة محمد ، في منزل الوحي ، ثورة الأدب ، توفي بالقاهرة ٠ انظر الأعلام ،(٦ : ١٠٧) ٠

المبحث الثالث
وسائل التغريب

تمهيد :

أعتمد التغريب على عدة وسائل من أهمها دعاة التغريب فقد أعد الغرب الكثيرين ليكونوا دعاة له بشتى الوسائل والأغراض ، واعتمد على المستشرقين - أبناء الغرب نفسه ، الذين نفثوا سمومهم ليهاجموا الدين في قلبه أي في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - في تخريج جيلا من المبتعثين ، ليخدموا أغراضه ، فجعلهم رسلا ودعاة ، ونوع الأخذ بالوسائل فمن العلمانية في التعليم ، التي أراد بها رعاية النشء ، وتربيته على أفكاره ومعتقداته ومناهجه ، واستمرت هذه الرعاية الضارة المضرة لهم حتى سن الشباب ، حيث احتضنهم في بلاده ، وصور لهم الحياة الغربية بالصورة المثلى ٠ حتى اعتنقوا هذه الحياة بكل فسادها ومعتقداتها ، فأعادهم إلى بلادهم ، ليتسلموا مراكز هامة توجه الشعب ، وتفرغ في عقول الناس ماتلقفته من دروس ٠ ولم يقصر دور العلمانية على التعليم بل وجهها إلى الصحافة ، لتسير جنبا إلى جنب مع التعليم في إتمام الهدف ؛ الذي يسعى إليه الغرب في إضعاف الدين في نفوس المسلمين بفضل الدعاة الذين أوكل إليهم مهمة العلمانية ٠

وكانت القومية أيضا من الوسائل التي أخذ بها الغرب ، وهيأ لها الدعاة من المسلمين وغيرهم ، وقد أراد بها أن يعيد عصر الجاهلية والنزعة العنصرية ، التي قضى عليها الإسلام ، فتوحدت بذلك صفوف المسلمين ، وأعزهم الله به ٠

من كل ماسبق يتبين لنا أن الغرب أعدّله دعاة كانوا الجنود

المخلصين ، حيث كان لهم الدور الكبير في نشر التغريب ، ومن ثـم إضعاف الروح الدينية لدى كثير من المسلمين ٠

من خلال هذه الأهمية لدعاة التغريب أعتبره الوسيلة الأولى من وسائل التغريب ٠

أولا : دعـــاة التغريب

المفهوم اللغوي :

من خلال النظر في المعاجم اللغوية نجد أن لكلمة (دعـاة) عـدة معان :

فقد جاء في المعجم الوسيط :

" دعا بالشيء ، دعوا ودعوة ودعاء ۰ ودعوى : طلب إحضاره

تداعى القوم أي : دعا بعضهم بعضا ؛ حتى يجتمعوا ۰۰

الأدعية : الأدعوة يقال : بينهم أدعية يتداعون بها ۰

الداعية : الذي يدعو إلى دين أو فكرة والهاء للمبالغة ۰

والدعاية : الدعوة إلى مذهب ، أو رأي بالكتابة أو بالخطابة" ۰ [١]

وقد جاء في لسان العرب أن :

" الدعاة : قوم يدعون إلى بيعة هـدى أو ضلالـة وأحدهم داع ، ورجل داعية : إذا كان يدعو الناس إلـى بدعـة ؛ أو ديـن ، وأدخلـت الهاء للمبالغة ۰

ويقال لكل من مات : دعي فأجاب ۰

والداعية : صريخ الخيل في الحروب ، لدعائه من يستصرخه ۰

والأدعية : مايتداعون به ، والمداعاة : المحاجاة ۰

يقال : بينهم أدعية يتداعون بها ، وأحجية يتحاجون بها " ۰ [٢]

من هذا نخلص إلـى أن الدعـاة قوم يدعـون إلـى بيعـة هدى أو ضلالة ، وقد تكون هذه الدعوة بالكتابة أو بالخطابة ۰

يعد تأثير الدعاة من أكثر الوسائل شدة وخطرا ، لـذا فقد حـاول

---

[١] إبراهيم مصطفى ، محمد النجار ، حسن الزيات ، المعجم الوسيط ، المكتبة العلميـة ، طـهران ، (١: ٢٨٦)

[٢] لسان العرب ، (١٤ : ٢٥٧ ــ ٢٦٢) ۰

التغريب استغلال هذه الوسيلة في تحقيق أهدافه ، التي يسعى لها ٠
ويكمن خطر هذا الأسلوب في أنه استخدم دعاة من أبناء المسلمين ٠
"وهذا ولاريب أسلوب شديد التأثير ، قوي الفاعلية ، فالأمة ستنكر أي صوت من غير دينها وجنسها ٠٠٠ أما إذا كان صاحب الصوت من جنسها ومن دينها ـ كما يزعم ـ فسيكون له نصيب من القبول" ٠[1]

ولأهمية هذا الأمر حرص المستشرقون على إعداد هؤلاء الدعاة ، بما يحقق أهداف التغريب ٠ فحرصوا كل الحرص على استدراج أبناء المسلمين للعيش بينهم ، والتلقي عنهم ، فخططوا بكل مكر ودهاء على اختيار " صفوة الأذكياء وخيرة الشباب من أبناء المسلمين ، يدرسون الثقافة العصرية.. ويعيشون الانطلاق الأخلاقي والتحلل السلوكي ٠٠ فيرجع معظمهم دعاة متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية ، ونشر قيمها ومفاهيمها وتصوراتها " ٠[2] من هنا كان اهتمام المستشرقين بتوفير مقاعد دراسية في جامعاتهم لابناء العالم الإسلامي ،يبثون من خلالها " مفترياتهم على الإسلام ، وافتعال معارك حول عقائده وآدابه ومختلف أحكامه ، لتعميق المفاهيم التي يريدون فرضها ، وترسيخها في الأذهان وتوسيع دائرة الانتفاع بها " ٠[3] حتى إذا ماعادوا إلى بلادهم ، عادوا مغرمين بالحياة الأوربية ، والحضارة التي شاهدوها ، مؤمنين بقيمها ومفاهيمها ، ومن ثم يعملون بكل جهدهم على نشر هذه الحضارة في محاولة لتغريب العالم الإسلامي ، مستغلين في ذلك المناصب التي يتبوؤنها ، حيث تعتبر مراكز التوجيه في المجتمع

---

[1] أحمد السايح ، تيارات فكرية ، ص ١٣٠ ٠
[2] **محمد الصباغ ، الابتعاث ومخاطره ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٣٩٨ هـ ، ص٣٦ ٠**
[3] أساليب الغزو الفكري ، ص٢٣ ٠

الإسلامي ، التي تؤثر عليه وتوجهه إلى ماتريد " فقد كانت النخبة التي برزت في مجال السياسة والفكر والتعليم والصحافة كلها ، من ذلك الرعيل الذي تشكل حول مناهج التغريب ، وفي معاهد التبشير ".[1] كما استمر اتصال هؤلاء الدعاة بمعلميهم اتصالا مباشرا، حيث اعتمدوا على كتبهم وأبحاثهم ، " واعتقدوا بمقدرتهم العلمية ، وجروا وراءهم ،ينقلونها كما هي ، ومنهم من يفاخر بأخذها عنهم ، ومنهم من يلبسها ثوبا إسلاميا جديدا " .[2] ولاشك أن اهتمام الدول الغربية بالابتعاث خاصة من الشباب النابهين ، دليل على أن لديهم هدفا ورسالة ؛ يحرصون كل الحرص على تنفيذها ، فهم " أعداء ألداء ، فلايمكن أن يكون منهم حرص أن نتعلم ونتقوى، وإنهم أنانيون ماديون ، فلا يمكن أن يكون عندهم مثل هذا الإيثار والتضحية ".[3]

هذه هي الحقيقة التي يجب أن لاتغيب عن أذهاننا ، وإنما كل هذه الجهود هي محاولة إعداد جيل صاعد ، يتبنى أفكارهم ، ويتطبع بتقاليدهم وقيمهم ، ومن ثم يطبقها في مجتمعاته .

وقد يرى البعض :" أن الابتعاث إلى الخارج مفيد وضروري لبلادنا العربية لغرض الدراسة والاطلاع والتدريب في الاختصاصات ؛ التي تحتاجها بلادنا ".[4]

ولكن الواقع يخالف ذلك ، فعلى الرغم من البعثات العديدة للدول

---

[1] أنور الجندي ، سقوط العلمانية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٣هـ ، ص٢٨ .

[2] محمد الناصر ، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ، مكتبة الكوثر ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، ص٣٧٤ .

[3] الابتعاث ومخاطره ، ص٧ .

[4] صادق على حجازي ــ البعثات الخارجية للملكة العربية السعودية ، بدايتها وتطورها واتجاهها ، ثم العقبات الي واجهت وتواجه المبتعث ، نادي مكة الثقافي ، مطابع الصفا ، ١٤٠٣هـ ، ص٦٠ .

الإسلامية عامة والعربية خاصة ؛ فإننا لم نلاحظ مايشفع لاستمرار هذه البعثات ، ذلك أن دراسة المبعوثين توجه بصورة واضحة الوجهة التي تحقق أهداف التغريب ،ولا تقود إلى التطور التقني ؛ الذي يبحث عنه المبتعث من هنا يظهر أن للابتعاث سلبياته التي تفوق إيجابياته ، وأهم هذه السلبيات ، إضعاف الروح الدينية في المبتعث ، وتغيير أفكاره ومفاهيمه ، والذي يساعد على ذلك أن الابتعاث يتم في سن حرجة ، وغالباً ما يكون المبتعث غير متزوج ،ثم إن الوسط الذي يعيش فيه يكون عادة وسطاً يغريه بالفساد والإفساد ، مما ينشأ عنه بالضرورة ، ضعف الوازع الديني ، وزعزعة القيم عند كثير من المبتعثين .

لذلك فإن على الأمة الإسلامية التنبه لهذه المخاطر ، وأن تحمي أبناءها من هذه المزالق ، وذلك عن طريق استقدام الكوادر المؤهلة في الجوانب التقنية التي تحتاجها بلادها ، دون أن تسمح لأبنائها بالابتعاث ، كما يمكن لها أن تتبع سياسة استقطاب الأفكار التي تتبعها الآن الولايات المتحدة الأميريكية ، فمعروف لدى الجميع أن الولايات الأميريكية تمنح الجنسية لكل من يظهر تفوقاً في أي مجال من المجالات بدون قيد أو شرط ، فيصبح عندئذ من رعاياها ، ويصير ارتباطه بها أشد وأوثق " . [1] فلو اتبعت الدول الإسلامية هذه السياسة ، لساهم ذلك في توفير الكوادر المؤهلة ، والاستغناء عن الابتعاث ،كما أن للاستقدام إيجابياته التي تفوق إيجابيات الابتعاث ، حيث نحافظ عند الاستقدام على الوسط الديني للدارس ،

---

[1] محمد علي البار ــ عمل المرأة في الميزان ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط٤ ، ١٤١٢هـ ، ص١٢٦

والاحتفاظ بقيمه وعاداته ، فالأمة النابهة لاتبعث إنما تستقدم ، وهذا ماتنبه له أوائل هذه الأمة ، حيث حافظ الإسلام في تعامله مع الذميين على كرامتهم ، وحفظ حقوقهم ، فبذلك يكون الإسلام قد استقطبهم بحسن معاملته ، ومن ثم استفاد منهم ، حين عملوا على ترجمة كتبهم إلى العربية في شتى الميادين ، فتوفرت المعلومات للمسلمين وبلغتهم ، فأخذوا ماصح عنهم ، ووافق دينهم ، ورفضوا وردوا ماعارضه • ومن هنا نشأت الحضارة الإسلامية العريقة ، وتحقق التقدم الإسلامي • وأمتنا الإسلامية اليوم لن يصلح آخرها إلا ماصلح به أولها •

ومما يؤكد لنا خطر الابتعاث النظر في تأثير المبتعثين على مجتمعاتهم ، والأفكار التي استوردوها معهم ، وزرعوها في التربة الإسلامية •

ولعل بداية الاتصال بالحضارة الغربية كان على يد " رفاعة الطهطاوي " وهو عالم أزهري وشيخ معروف ، تم ابتعاثه إلى فرنسا " إماما يؤم البعثة في الصلاة ويعينهم في مايحتاجون إليه من فتاوي شرعية ".[1]

ولكن ماأن وطأت قدماه أرض فرنسا ، حتى فتن بها ، وأعجب بحياة شعبها غاية الإعجاب ، وهذه أول ثمار الابتعاث وقد ألف كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " يصف ماشاهده فيها،متأسفا لعدم وجود مثيل له في بلاد الإسلام ومما أعجب به مراقصة الرجال للنساء يقول في ذلك :" الرقص عندهم فن من

[1] جمال سلطان ــ جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث ، مركز الدراسات الإسلامية ، برمنجهام ــ بريطانيا ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ص٩ •

الفنون ٠٠ فهو نظير المصارعة في موازنة الأعضاء ، ودفع قوى بعضها إلى بعض ٠٠ بل قد ٠٠ ظهر أن الرقص والمصارعة مرجعهما شيء واحد ، يعرف بالتأمل ، ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس ، وكأنه نوع من العياقة والشلبنة ، لامن الفسق ٠٠ بخلاف الرقص في أرض مصر ، فإنه من خصوصيات النساء ٠٠ أما في باريس فإنه نمط مخصوص ، لايشم منه رائحة العهر أبدا" ٠[1]

كماتحدث عن عاداتهم في الاختلاط والتبرج ، نافيا أن يكون ذلك داعيا إلى الفساد ، وأن مرده إلى التربية الجيدة عندهم ٠ يقول عنه : " إن وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء ، لايأتي من كشفهن أوسترهن ، بل التربية الجيدة ، والخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره ، وعدم التشريك في المحبة " ٠[2] كما كان للمسرح موقع الإعجاب في نفسه ، حيث يعتبره كالمدرسة المفتوحة للعالم والجاهل حيث يرى :

" أن هذه الألعاب هي جد في صورة هزل ، فإن الإنسان يأخذ منها عبرا عجيبة ٠٠ حتى أن الفرنساوية يقولون : أنها تؤدب أخلاق الإنسان وتهذبها ٠٠ ومن العجائب أنهم في اللعب يقولون مسائل من العلوم الغريبة والمسائل المشكلة ، ويتعمقون في ذلك وقت اللعب ٠٠ وبالجملة فالتياترعندهم كالمدرسة العامة ، يتعلم فيها العالم والجاهل " ٠[3] كانت هذه الآراء بداية الاتصال بالحضارة الغربية ،لذلك لم يكن لها تأثير في المجتمعات الإسلامية ٠ ولكن

---

[1] تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، ص٢٠٩ ٠
[2] المرجع السابق ، ص٣٨٣ ٠
[3] المرجع السابق ،ص٢٠٤ ــ٢٠٦ ٠

الإسلامية ؛ والتحول الكامل للحضارة الغربية ؛ ولم يكن الطهطاوي :" يدرك أن نقل هذه الآراء إلى المجتمع المسلم ، يمكن أن تنتهي به إلى النتيجة نفسها نبذ الدين وتسفيه رجاله ؛ والخروج على حدوده ٠٠ ولم يلحظ إلا الجانب البراق الذي يأخذ نظر المحروم "٠ [1] من هنا ندرك أن رفاعة كان بداية الدعوة إلى التغريب ، بحيث حُققت أهدافه التي يسعى إليها من إعلاء للحضارة الغربية ؛ واحتقار كل مقومات الحياة الإسلامية وتقبل الحضارة الغربية والاحتواء ٠

ومن هؤلاء الدعاة :

سعد زغلول :

وهو ابن أحد الفلاحين ، ومن الذين تخرجوا من الأزهر الشريف ، ودرسوا الحقوق ، واحترفوا المحاماة ، وكانت له علاقاته مع رجال تركيا الفتاة " وقد سطع نجمه عندما مثل أول أدواره السياسية ثم عندما أسس حزب الأمة ، الذي أقر اللورد كرومر* تكوينه ، راجياً أن يحد به نفوذ الحزب الوطني ذي النزعة الإسلامية، بقيادة مصطفى كامل ، ثم أسند اللورد لسعد زغلول نظارة المعارف مكافأة له على خدماته " ٠ [2] ولقد كان سعد زغلول أداة طيعة في يد الإنجليز المحتلين ، لذلك تم تنصيبه في المراكز التي يستطيع من خلالها خدمة الاستعمار ، فعندما عين وزيراً للمعارف " تصدى للجمعية العمومية ، حين طالبت ٠٠يجعل التعليم في المدارس الأميرية باللغة العربية ٠ وكان الاحتلال هو الذي أحل

---

[1] محمد محمد حسين ، الإسلام والحضارة الغربية ، دار الرسالة ، ط٩ ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٧ ٠

[2] السيد أحمد فرج ـ المؤامرة على المرأة المسلمة ، دار الوفاء ، ط٤ ، ١٤١٣هـ ، ص٢٠ ٠

* اللورد كرومر المندوب السامي في مصر ، من آثاره مصر الحديثة ، وعباس الثاني خديوي مصر ، انظر (المستشرقون ، ٢ / ٦٧) ٠

للمعارف " تصدى للجمعية العمومية ، حينما طالبت ٠٠ بجعل التعليم في المدارس الأميرية باللغة العربية ٠ وكان الاحتلال هو الذي أحل اللغة الإنجليزية محل العربية في التدريس"٠ [١]

أضف إلى ذلك أنه عندما :" وقف سعد زغلول في مجلس شورى القوانين ، دافع دفاعا مشهورا ٠٠ بمد الأجل لامتياز قناة السويس ـ لصالح المستعمرين ـ مما أهاج عليه الوطنين المصريين حينها"٠ [٢]

كما كان له ضلع هام في مسألة تحرير المرأة التي سعى الاستعمار لتحقيقها سعيا حثيثا ، حيث نقل الحركة النسائية من مرحلة المطالبة بالحقوق إلى مرحلة التنفيذ الفعلي ، حينما " عقد سعد باشا النية على أن يشرك المرأة في كل المجالات العلمية ، التي يضطلع بها الرجل ، فساعد جمعيتهم ٠٠ في نقل الحركة من مرحلة المحاورات إلى حيز التنفيذ "٠ [٣]

كذلك كان من الذين دعوا بفصل الدين عن السياسة ، حيث " أعلن أن الديانات لاصلة لها بالوطنية أو السياسة ،وأنها مقصورة على عبادة الخالق ٠ " [٤]

وقد أشار رشيد رضا إلى تحول سعد زغلول بقوله :

" إن سعد دخل في طور الفرنج في هيئته وأفكاره الاجتماعية والقانونية ، وغلبت النزعة الوطنية عنده على فكرة الجامعة الإسلامية ٠

---

[١] محمد أحمد إسماعيل : عودة الحجاب ، دار طيبة ، ط٣،(١ : ٨٤) ٠
[٢] جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث ، ص٦٩ ٠
[٣] المؤامرة على المرأة المسلمة ، ص٩٩ ٠
[٤] اليقظة الإسلامية ، ص٤٨ ٠

أما العبادات فلانعلم أنه كان يذهب إلى المساجد إلا في الإحتفالات الرسمية ، وأنكر عليه أهل الدين أمورا منها : عمله على تجرئة النساء على السفور المتجاوز للحد الشرعي ، ٠٠ على أنه كان شديد الإعجاب بنفسه ، وعدم المبالاة بخصمه ، بل غلبت عليه في المدة الأخيرة المحاباة السياسية ،فصار يؤثر المتملقين على المتنزهين عن التملق والدهان ، حتى من محبيه الناصحين "٠ [1]

بهذا نجد أن سعد زغلول كان بمثابة الأداة التي يحركها الاستعمار ، وينفذ بها مخططاته ، فهو داعية إلى مايدعو إليه الغرب ، ويصرح به في موالاة عجيبة لأعداء الله ٠ فماهو إلا أداة طيعة في يد الاستعمار يحركها كيف يشاء ٠

ومن دعاة التغريب أيضا د/ طه حسين :

فقد كان واحدا من عملاء الغرب ، الذين استخدمهم في تنفيذ مخططاتهم وترويج آرائهم ، فقد " كان طه حسين في مقدمة الذين أعلنوا الإعجاب والتقدير لمناهج المستشرقين ، ويعتبر حامل لواء الدفاع عنهم وعن أهوائهم ٠٠٠

حتى قال بعضهم : إن طه حسين ليس إلا مستشرق من أصل عربي "٠ [2]

وقد كان طه حسين ممن ابتعث إلى فرنسا ، وتزوج هناك من امرأة فرنسية وكان عمها القسيس الكاثوليكي ، هو الذي شجعها على الزواج منه ٠ وقد كشف فريد شحاته وهو كاتب طه حسين وكان نصرانيا :" أن طه حسين قد تعمد لاعتناق النصرانية في شبابه عند

---

[1] اليقظة الإسلامية ، ص٤٧ ٠

[2] أساليب الغزو الفكري ، ص٢٣ ٠

زواجه من زوجته الفرنسية ، وكان ذلك في كنيسة إحدى القرى الفرنسية ". [1]

ولقد صرح طه حسين بعدة آراء ، كانت مسئولة عن كثير من مظاهر الفساد والانحلال في المجتمع الإسلامي . واعتمد في هذه الآراء على أساتذته من المستشرقين .

ومن ذلك تكذيبه لماجاء في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله .

ودعوته لنقد القرآن الكريم باعتباره كتابا أدبيا يجري عليه مايجري على غيره من الكتب .

"وفي مجال وزارة المعارف مضى طه حسين ، فأشرف على البرامج ، وأحدث فيها آثارا خطيرة . وفي متابعة خطة دنلوب وتأكيدها في الجامعة ، فرض طه حسين تعلم اللغتين اللاتينية واليونانية على طلاب كلية الآداب ، دعما للأدب اليوناني الإباحي الوثني وإذاعة به ". [2]

أضف إلى ذلك : إفساده للسيرة النبوية في كتابه (على هامش السيرة) . فهذا الكتاب كان عملا هداما في مجال الفكر الإسلامي ، إذ اعتمد في هذا الكتاب على إحياء الأساطير والافتراءات حول السيرة النبوية ، وهوبذلك يكون قد " فتح الطريق إلى العمل في مجال التغريب إلى أوسع مدى ، وكانت أعظم الثمرات بعد ذلك هي كتابه {مستقبل الثقافة في مصر } ، وهو من أخطر ماكتب ، تزيدا على العرب والمسلمين وتدميرا لمقومات فكرهم وقيمهم ". [3]

---

[1] العصرانيون ، ص ١٧١ .

[2] اليقظة الإسلامية ، ص٢٧ .

[3] المرجع السابق ، ص١٥٠ .

هذه بعض الآراء التي رددها طه حسين ، وقد جاء ذكرها في البحث تأكيدا لدور دعاة التغريب في نشر أهدافه ، وأن هؤلاء الدعاة كانوا من أهم الأساليب التي أستعان بها التغريب في نشر آرائه ومخططاته ". [1]

أضف إلى ماسبق ذكره من دعاة التغريب ، فهناك عدد كبير منهم أمثال السير أحمد خان ، الذي يدعو إلى السير وراء الحضارة الغربية وتقبل مافيها دون تمحيص أو تدقيق .

ومن رموزهم أيضا جميل معلوف * الذي يدعو إلى تفرنج الشرقيين ، ويرى أن العلمانية هي الطريق الأمثل لتقدم الشرق ومدنيته .

لذا نجده يقول :

" إن فصل الدنيا عن الدين أمر واجب لتقدم الشرق ، وبدونه لايستطيع الشرقي أن يدخل في دائرة المدنية ، ويتمتع بنفس الحرية الحقيقية ". [2]

ومن دعاة التغريب من كان أكثر جرأة وصراحة أمثال سلامة موسي ** ، فقد عرض د/ محمد محمد حسين آراءه المنشورة في

---

[1] للاستزادة انظر عودة الحجاب ، (١ : ١٧٧ ـ ١٨٧) .

[2] يوسف القرضاوي ، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٥، ١٤٠٩هـ ، ص ٤٤ .

* جميل إبراهيم بن نعمان المعلوف ، صحفي لبناني ، ولد في زحلة بيروت عام ١٢٩٦ هـ . أجاد عدة لغات هاجر إلى نيويورك ، قام بتحرير جريدة الأيام ، أصيب بعقله ، فانقطع عن الناس إلى أن توفي عام ١٣٧١هـ . كتب تركيا الجديدة ، وحقوق الإنسان ، تأثير الأزهار في الطبيعة ، وصية فؤاد باشا .. وغيرها . انظر الأعلام ، (٢ : ١٣٧) .

** سلامة موسى القبطي المصري ، (١٣٠٤ ـ ١٣٧٨هـ) كاتب مضطرب الاتجاه والتفكير ، دعا إلى الفرعونية ، شارك في تأسيس حزب اشتراكي ، تعلم بالزقازيق ثم في باريس فلندن ، أصدر مجلة المستقبل ، صنف وترجم مايزيد على ٤٠ كتابا ،منها حرية الفكر وأبطالها في التاريخ ، نظرية التطور وأصل الإنسان ، اليوم والغد ، كتب في مجلات وصحف عديدة إلى أن مات في أحد مستشفيات القاهرة ، كان يناصر بدعة الكتابة بالحرف اللاتيني . انظر الأعلام ، (٣ : ١٠٧) .

كتابة اليوم والغد عرضا مفصلا بين فيه دعوته القائمة على التخلص من الشرق ؛ والالتحاق بالغرب ، فهو يريد أن يكون أدبنا أوروبيا ؛ وثقافتنا أوربية ؛ وتعليمنا أوروبيا ؛ وأن علينا أن نعتاد عادات الأوربيين ، ونلبس لبسهم ونأكل طعامهم ، ونصطنع أساليبهم .. بل إنه يرى أن الرابطة الدينية وقاحة ، وأنه أكبر من أن يعتمد على هذه الرابطة في هذا العصر " . [1]

نخلص من هذا المبحث أن دعاة التغريب وسيلة هامة في تحقيق أهداف التغريب ،يظهر ذلك من خلال آثار هؤلاء الدعاة ، خاصة المبتعثين منهم ، حيث يعتبرون الركيزة الغربية في بلادهم ، يفكرون بعقل الغرب ، وينشرون أفكارهم وقيمهم من خلال مسئوليات التوجيه التي يتولونها ، حتى يبعدوا أمتهم عن دينها ، ويمسخون واقعها ومثلها محققين بذلك أهداف التغريب ، التي يسعى إليها بكل قوة وحماسة ، أما عامة الناس فيقومون بتغريبهم عن طريق البرامج ووسائل الإعلام المنتشرة في البلاد الإسلامية ، حتى يعملوا على تحقيق الانبهار والافتتان بحضارتهم الزائفة ، وطرح الثقة فيما بين أيديهم من الثوابت ؛ التي يركن إليها المسلم ،بذلك يتم تصوير الحضارة الغربية بصورة المثل الأعلى ، والدعوة إلى تقبلها؛ واحتقار العقلية الإسلامية ، كما أنهم ساهموا في تفريغ الأمة من عقيدتها وقيمها وإزالة تميزها ومطالبتهم بإحلال النظم الغربية . كل هذه أهداف التغريب التي سعى دعاته إلى تحقيقها عن طريق بث أفكارهم التي أثرت على بناء المجتمع الإسلامي .

---

[1] انظر محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، دار الرسالة ، ط٩ ، ١٤١٣هـ ، (٢ : ٢٢١ ــ ٢٢٨) .

ثانيا : التشكيك في القرآن الكريم والسنة .

المفهوم اللغوي لكلمة " شك "

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية ؛نجد أن لكلمة الشك عدة معان:

فقد جاء في لسان العرب :

" الشك : نقيض اليقين ، وجمعه شكوك . وشك في الأمر ، يشك شكا ؛ وشككه فيه غيره ..

والشِّكَّة : السلاح ، وشكه بالرمح والسهم : انتظمه .

والشك : اللزوم واللصوق ، ومنه لزوق العضد بالجنب .

والشك: التهذيب. يقال :شك القوم بيوتهم يشكونها شكا : إذا جعلوها على طريقة واحدة ؛ ونظم واحد .

والشكيكة : الفرقة بين الناس .. والشكك : الأدعياء ".[1]

وجاء في المعجم الوسيط :

" (شك) الشيء شكا : لصق بعضه ببعض ، واتصل . وعليه الأمر : التبس .. وشككه : أوقعه في الشك .. والشكاك : الكثير الشك (الشكة) مايحمل أويلبس من السلاح .. والشكوك : أمر يثير الشك .. والشك :التردد بين حكمين لايرجح العقل أحدهما على الآخر "[2]

وفي الصحاح :

" الشك : خلاف اليقين . وقد شَكَكْتُ في كذا وتشككت ، وشككني فيه فلان .

والشك : اللزوم واللصوق .. والشكه : السلاح .. ويقال :

---

[1] لسان العرب ، (١٠ : ٤٥١ ــ ٤٥٣) . وانظر ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، دار الجيل ــ بيروت ، (٣ : ٣١٩) .

[2] المعجم الوسيط ، (١ : ٤٩٢ ــ ٤٩٣) .

رجل شاك السلاح ؛ وشاك في السلاح ؛ وهو اللابس للسلاح التام ٠٠ والشكيكة : الفرقة من الناس ".[1]

نخلص من هذه النصوص إلى أن الدلالة اللغوية المتعلقة بالموضوع هي :

أن الشك نقيض اليقين ؛ والالتباس في الأمر ممايكون له أثره في النفس الإنسانية ، حيث يؤدي إلى التردد بين الأمور ؛ وعدم وضوح الرؤية ٠

لهذا هدف دعاة التغريب إلى زرع الشك في نفوس المسلمين بحقيقة دينهم وعقيدتهم ، ومن ذلك زعزعة اليقين بالنسبة للثوابت ، التي يركن إليها المسلم ، ممايعني إبعادالمسلم عن هدي الله ورسوله، ومن ثم لم يعد أمامه إلا اتباع أهواء النفس ٠ وهذه بغية التغريب التي يسعى إليها ، لهذا كان الحرص على تشكيك المسلمين في القرآن والسنة كوسيلة فعالة تخدم أهداف التغريب وتحققها ٠ ليضعف إيمانهم ، ويقضى بالتالي على وحدتهم ورابطتهم الإسلامية٠

---

[1] الصحاح للجوهري ، (٤ : ١٥٩٤) ٠

أ. التشكيك في القرآن الكريم

إن للقرآن الكريم منزلته ومكانته الخاصة به في قلوب المسلمين، فهو دستور حياتهم ؛ ومنهج دينهم ؛ الذي يسيرون عليه ومن خلال إدراك المستشرقين ودعاة التغريب لأهميته وخطورته عليهم ، عزموا على التشكيك فيه ، بما يحقق لهم الأهداف التي يسعون إليها ، فبدأوا بإثارة الشبهات حول القرآن الكريم ، رغبة في توهين قيمته في قلوب المسلمين .

جاء في دائرة المعارف الإسلامية بقلم شاخت : *

"إن أول مصادر الشرع في الإسلام ؛ وأكثرها قيمة هو الكتاب وليس هناك شك في قطعية ثبوته وتنزهه عن الخطأ ، على الرغم من إمكان سعي الشيطان لتخليطه ، كما أنه ليس من شك أيضاً في انه وصل إلينا من غير تحريف ؛ على الرغم من نسيان الرسول لعدة من آيات الكتاب " . [1]

في هذا النص يشكك المستشرقون في القرآن بأسلوب ماكر خبيث ، فمع اعترافهم بقطعية ثبوته وتنزهه عن الخطأ فهم يشككون في إمكانية تخليط الشيطان له ، فكيف يكون منزهاً عن الخطأ ومن ثم يمكن تخليطه ؟ !

لاشك أن في ذلك تناقضاً ومواربة ، فهم يشككون المسلمين في القرآن بدليل لايمكن أن يظهر لهم وهو ، تخليط الشيطان.حتى يكون

---

[1] نخبة من المستشرقين ــ دائرة المعارف الإسلامية ، يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي ، إبراهيم زكي خورشيد ، عبدالحميد يونس ، مادة أصول ، (٢: ٢٢٦ ــ ٢٦٨) ، شاخت .

* شاخت مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي ، ولد عام ١٩٠٢م ، اشترك في الإشراف على الطبعة الثانية لدائرة المعارف الإسلامية ، له دراسات في علم الكلام ؛ ومؤلفات ودراسات في الفقه الإسلامي ، ودراسات في تاريخ العلوم والفلسفة في الإسلام ، توفي ١٩٦٩م .
عبدالرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، دارالعلم للملايين ، بيروت ، ص ٢٥٢ .

يكون لهم مدخل في ذلك لتحقيق أغراضهم ٠

كما أنهم حاولوا أن يوافقوا المسلمين في أن القرآن غير محرف، ولكنهم شككوا في أن النبي ﷺ قد نسي عدداً من الآيات.كل هذه الشبهات تريد النيل من مصدر الإسلام الأول ، حتى يسهل عليهم تدمير الإسلام في نفوس أبنائه ٠

كذلك فقد شككوا في عظمة القرآن الكريم عن طريق وصفه بالتناقض والاضطراب ٠

إذ يقول شاخت في دائرة المعارف مادة أصول :

" وكان هم المفسرين المتأخرين التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن، والتي تصور لنا تدرج محمد -ﷺ- في نبوته ٠ إما بماعمدوا إليه من التوفيق فيما بينها ، وإما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ماقبلها ، وذلك في الحالات التي يشتد فيها التناقض بين تلك الآيات " ٠ [1]

ويقول جولد تسيهر * :" لايوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً ؛ على أنه نص منزل ؛ أو موحى به ؛ يقدم نصه في أقدم عصور تداوله ؛ مثل هذه الثورة من الاضطراب ؛وعدم الثبات ، كما نجد في نص القرآن "٠[2]

وقد يستشهد بعضهم بآيات يعتقدون أنها تؤيد قولهم ، ومن أمثال هؤلاء القس سويقارت (Swaigart) ، فنراه " في سبيل تبرير

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية ، (٢ : ٢٧٣ ـ ٢٧٤) ٠

[2] السيد أحمد فرج ـ الاستشراق النشأة ، المحتوى ، الذرائع ، دار طويق للنشر بالرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ص ١٢٣ ٠

* اجنتس جولد تسيهر ، ولد عام ١٨٥٠م ٠ في بلاد المجر، من أسرة يهودية ، اتجه إلى الدراسات الشرقية في سن السادسة عشرة ،بلغت أبحاثه ٥٩٢ بحثاً ، توفي عام ١٩٢١ م ٠ انظر موسوعة المستشرقين ، ص ١١٩ ٠

التناقض الصارخ في كل من التوراة والإنجيل تحول إلى القرآن الكريم ، فزعم أن الشيء ذاته يوجد في القرآن الكريم . وأشار إلى لفظ يوم ، الذي يشار في الآية الخامسة من سورة السجدة ، إلى أن طوله ألف سنة ٠٠ ،والذي يشار في الآية الرابعة من سورة المعارج إلى أن طوله خمسون ألف سنة "٠ [1]

من خلال هذا الإستشهاد يظهر الجهل الفاضح لهذا القس في فهم القرآن الكريم ، وأن محاولته إظهار التناقض فيه ، يعود إلى روح العداء والتعصب التي تمكنت منه ومن أمثاله ضد الإسلام ، ذلك أن المقصود باليوم في السورتين ؛ يختلف في كل منهما عن الأخرى " فاليوم في سورة السجدة ، يقصد به نزول الملك وصعوده مسيرة ألف عام ، ولكنه يقطعها في طرفة عين ٠ أما اليوم في سورة المعارج فيقصد به يوم القيامة "٠ [2]

ومن ثم عمد المستشرقون إلى تشكيك أعظم وأخطر ، حيث زعموا أن القرآن الكريم إنما هو من تأليف محمد ﷺ ٠

إذ يقول جورج سيل *

" أما أن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن ؛ والمخترع الرئيسي له ؛ فأمر لايقبل الجدل "٠[3]

فهذا المستشرق حكم ببشرية القرآن من غير دليل ، وإنما

---

[1] حسن باجودة ، رد شبهات القس سويقارت في مناظرته للشيخ أحمد ديدات ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ص ٢١ ٠

[2] انظر ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ، دار الخير ، بيروت ــ دمشق ، ط١ ، ١٤١٠ هـ ، (٣: ٣٠٥) ٠ و(٤: ٤٤٣)

[3] الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ، ص ١٠٢ ، وانظر الموسوعة الميسرة في الأديان ،ص ٤٠ ٠

* جورج سيل ،مستشرق إنجليزي اشتهر بترجمة القرآن إلى اللغةالإنجليزية ،ولد عام ١٦٩٧م ، كان متقنا العبرية والعربية ، تحدث عن تاريخ العرب قبل الإسلام ؛ وعن القرآن الكريم ؛ وعن أهم الفرق الإسلامية في عام ١٧٣٦م ٠ انظر موسوعة المستشرقين ، ص٢٥٠ ٠

ألقى الأمر على عواهنه مثله مثل غيره من المستشرقين ، الذين ليس لديهم مايدللون به على هجومهم على القرآن الكريم سوى التعصب الأعمى ٠ وبهدف تأكيد هذه الشبهة عمدوا إلى ترجمة القرآن الكريم على أساسها ٠ فمثلاً ترجموا قوله تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[1] بـ " سَمِّع ماتعرف " ٠

و" هذه الترجمة تدل على مدى دقة عمل المترجم من المستشرقين ٠٠ إذ نرى فيها بكل وضوح مايعني أن القرآن معروف من النبي ﷺ ٠٠ وإنمايعيد تسميعه قاتلهم الله أنى يؤفكون"٠[2]

إذن فهم اعتمدوا في ترجماتهم على أن القرآن من تأليف محمد ﷺ وأنه غير موحي به إليه من عند الله ٠

ولتأييد فكرتهم بأن القرآن ليس وحياً ، زعموا أن القرآن مستمد من الشعر الجاهلي ، حيث يقول المستشرق بلاشير* " إن الصلة بين القرآن والفصاحة والشعر مبتوته ، وفي سورة الرحمن بصفة خاصة ، فإن الأمر أمر شعر صاف " ٠[3]

وبعد أن نشر المستشرقون بذور الشك ، تلقفها دعاة التغريب لزراعتها في المجتمعات الإسلامية والعقلية الإسلامية ، لتكون لها المساهمة الفعالة في تحقيق أهداف التغريب وقد وجدوا الأرض الخصبة لإنبات هذه البذور لدى بعض المفكرين الإسلاميين وعلى رأسهم د / طه حسين ، الذي اتخذ من فهم العرب للقرآن الكريم ،

---

[1] سورة العلق ، أية (١) ٠

[2] محمد صالح البنداق ــ المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٣هـ ، ص١٢٣ ٠

[3] الاستشراق (النشأة المحتوى ، الذرائع)، ص ١٣٦ ــ ١٣٧ ٠

* ريجي بلاشير ، ولد في١٩٠٠ م في باريس ٠ من كتبه الرئيسية : تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر ترجمة القرآن إلى اللغة الفرنسية ٠ كما لخص أبحاث المستشرقين الذين كتبوا عن حياة محمد ﷺ توفي عام ١٩٧٢م ٠ انظر موسوعة المستشرقين ص ٨٢ ٠

ومناهضتهم له ، ومجادلتهم فيه ، وايمانهم به ، دليلا على أن القرآن دين محلي ، استقاه محمد ﷺ من بيئته المكية . إذ يقول :" ليس من الممكن أن نصدق أن القرآن كان جديدا كله على العرب ، فلو كان كذلك لمافهموه ؛ ولاوعوه ؛ ولاآمن به بعضهم ؛ ولاناهضه ولاجادل فيه بعضهم الآخر .. ولولا ذلك لماكانت له قيمة ولاخطر ، ولماحفل به أحد من أولئك الذين عارضوه ؛ وأيدوه ؛ وضحوا في سبيل تأييده ومعارضته بالأموال والحياة".[1]

وفي مجلة الرسالة كتب د / زكي مبارك مقالا جاء فيه :

"أنت - خطاب للنبي ﷺ - رويت القرآن عن جبريل ، فيما يقول المؤمنون ، وأنشأت القرآن فيما - يقول الملحدون - وهذا القرآن فيه لوم كثير وجه إليك ، فإن كان وحيا من السماء ، فأنت غاية الغايات في أمانة التبليغ . وإن كنت أنت منشيء ذلك الكتاب-كما يتقول الملحدون - فأنت غاية الغايات في أدب النفس ، لأنك سجلت ماآخذت به نفسك في كتاب مجيد .

وأين الذي يدين نفسه بنفسه ، كما صنعت أنت حين رويت القرآن ، أو حين أنشأت القرآن ". [2]

في هذا النص يظهر التذبذب والتشكيك ، فهل القرآن وحي من الله ، أم أنه إنشاء من النبي ﷺ ؟!! وكان الأولى في حق هذا الكاتب وهو الرجل المسلم أن يبين الحق ويجزم به ، ومن ثم يمتدح النبي ﷺ بأنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة . أما أسلوب المدح هذا فهو مرفوض لأنه مبني على التشويش والتشكيك في مصدرية القرآن .

---

[1] طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، دار المعارف ، ط١٦ ، ص٧١ .

[2] مجلة الرسالة ، (٧ : ٥٠٩) ، مقال بعنوان النواحي الإنسانية في الرسول ﷺ ، بقلم د/ زكي مبارك ، ع : ٢٩٧ ، ١٣٥٨/١/٢٢ هـ .

كما أنه ينم عن عقلية متشككة ، لم تؤمن برأي ؛ لتجزم به . وهذا مالايمكن قبوله من رجل مسلم ، يؤمن بأن القرآن وحي منزل من الله تعالى . كذلك فإن لمثل هذه النصوص أثرها على قارئ المقال ، إذ تجعل سموم الشك في مصدرية القرآن تتسلل إلى نفسه في هل هو حقاً وحي أم لا ؟ .

لذا كان من الواجب أن لايكتب المسلم بأسلوب التشكيك هذا ، خاصة إذا تحدث عن مسلمات عقدية لاتقبل الشك ، وإنماتكون كتاباته من منطلقاته وثوابته العقدية ، فيجزم بماجاء عن الله تعالى وعن نبيه ﷺ .

كما أثار المستشرقون شبهة أخرى ،وهي أن النبي ﷺ قد اقتبس القرآن الكريم من العهد القديم ، مستدلين بوجود تشابه بينهما في بعض القصص .

يقول جولد تسيهر :" لقد أفاد محمد ﷺ - من تاريخ العهد القديم ، وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ، ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة ".[1]

ويقول أيضاً : " كما صار رهبان المسيحيين وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه ، وقد كانوا في الواقع أساتذة له " .[2]

وتعد هذه الشبهة من الشبهات القديمة ،التي أظهر القرآن زيغها قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾[3] ومن ثم فإن تشابه القصص يدل على وحدانية المصدر ، ونسبة القرآن الكريم إلى الله عزوجل .

---

[1] جولد تسيهر ــ العقيدة والشريعة في الإسلام ، دار الكتب الحديثة بمصر ، ط٢ ، ص١٥ .
[2] المرجع السابق ، ص٢٠ .
[3] سورة النحل ، آية :(١٠٣) .

وبناء على هذا الإدعاء نجد المستشرقين عندما يترجمون بعض آي من القرآن الكريم يحذفون مايريدون من نصوصه ،مع إبدالها بنصوص من التوراة ، دون إشارة منهم إلى ذلك ٠ كما حصل في سورة يوسف ، حيث ترجمت «فلما سمعت بمكرهن، أرسلت { الآثمة } إليهن { وأعدت إليهن ثمار البرتقال} ، وأعطت كل واحدة منهن سكينا »[1]

من هذه الترجمة نجد حذف قوله تعالى « وأعتدت لهن متكئا»، مع زيادة مابين المعقوفتين ، حيث لم يرد ذكرها في القرآن ، وإنما أضافوها ليوهموا بصحة اقتباس القرآن من التوراة ، ويشككوا المسلمين في قرآنهم ٠

مثل هذه الشبهات وغيرها التي تحاول إثارة الشكوك حول مصدر الدين ، تلقفها دعاةالتغريب لخدمة أهدافهم ؛ وتحقيق أغراضهم ؛ فأخذوا يثيرونها متعمدين الإساءة بالتلميح والتصريح تحت ستار الأدب والعلم ، و من هؤلاء د/طه حسين الذي سبق أن جاء في البحث تعرضه لصحة منشأ القرآن الكريم ودوره بالتشكيك فيه ، وهاهو يشكك أيضا في صحة القصص القرآني بقوله " للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوارة والقرآن لايكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، فضلا عن إثبات هذه القصة "٠[2] فهذا نص صريح بالتشكيك في القصص الواردة في القرآن الكريم ، فإنكار هذه القصة مع ثبوتها في القرآن الكريم ، تكذيب لكلام الله ـ تعالى

---

[1] الاستشراق ،النشأة المحتوى ، الذرائع ، ص ١٢٩ ٠
[2] الاتجاهات الوطنية ، (٢ : ٢٩٩) ٠

الله عمايقولون علوا كبيرا - وبمثل هذا الإنكار تتم زعزعة قيمة القرآن الكريم في نفوس المسلمين من ضعيفي الإيمان.وقد تابعه في هذا الاتجاه د/ محمد أحمد خلف الله في رسالته " الفن القصصي في القرآن الكريم " حيث خرج منها بأن القصة القرآنية هي من باب التمثيل يقول في ذلك :

" فليس يلزم في الأحداث أن تكون وقعت ، وليس يلزم في الأشخاص أن يكونوا قد وجدوا ، وليس يلزم في الحوار أن يكون قد صدر " . [1]

بل إنه تعدى ذلك حين زعم أن القرآن يحتوي على أساطير وأمور خرافية ٠ حيث خرج من فقرة الفن الأسطوري في القصة " بأن القرآن لاينكر أن فيه أساطير ، وإنما ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام "٠[2]

كل هذا الهجوم افتعله دعاة التغريب على القرآن الكريم ليتم لهم من خلاله تحقيق أهداف التغريب ، وبالتالي تدمير الإسلام في نفوس المسلمين ، والتوهين من قيمته ، ومن ثم القضاء الكامل عليه٠ فالقرآن الكريم أساس الإسلام ، فإذا تزعزع الأساس انهدم البناء وهذا مايسعى إليه التغريب فالتشكيك في القرآن أمضى سلاح في إضعاف الإسلام ٠

---

[1] محمد أحمد خلف الله ــ الفن القصصي في القرآن الكريم ، ط٤ ، ١٩٧٢م ، ص ١٥٣ ٠
[2] المرجع السابق ، ص١٨٢ ٠

ب ـ التشكيك في السنة النبوية ٠

وقف دعاة التغريب والمستشرقون من السنة النبوية موقف الهجوم والتجريح والتشكيك في الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ ؛ بهدف تقويض صرحها الشامخ ، وإدخال الشك في قلوب المسلمين من ناحية سنة نبيهم ، ومصدر تشريعهم الثاني ، ومنهج حياتهم ، ليسهل حينئذ تغريب أفكارهم ، وتحقيق أهداف التغريب بإبعاد المسلمين عن دينهم ٠

" ولعل ـ من ـ أشد المستشرقين خطرا،وأوسعهم باعا،وأكثرهم خبثا وإفسادا في هذا الميدان ، هو جولد تسيهر ، فقد كان واسع الاطلاع على المراجع العربية، حتى عد شيخ المستشرقين في الجيل الماضي ، ولاتزال كتبه وبحوثه مرجعا خصبا وهاما للمستشرقين في هذا العصر "٠ [1]

فقد طعن هذا المستشرق في تاريخ تدوين السنة ، فزعم أن معظم الأحاديث المنسوبة للنبي ﷺ إنماهي نتيجة تطورات حدثت في القرنين الأول والثاني ٠ يقول:

" إن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني "٠ [2]

وممن شكك في الأحاديث المنسوبة للنبي ﷺ المستشرق " شاخت " إذ يقول " لاصحة لأي حديث منسوب للنبي ﷺ ، وإن أقدم مابين أيدينا من أحاديث الأحكام لايرجع إلا إلى سنة ١٠٠ هجرية ،

---

[1] مصطفى السباعي ــ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، المكتب الإسلامي ،ط٢ ، ١٣٩٨هــ ، ص ١٨٩ ٠

[2] المرجع السابق ، ص١٩٥ ٠

ليس إلا " .[1]

من النص نجد إنكارا عاما لجميع الأحاديث ، وطرحا للسنة باجمعها ، وهدماللمصدر الثاني من مصادر الإسلام لإضعاف الدين في نفوس المسلمين .

كما أثار المستشرقون وتبعهم دعاة التغريب شبهة أخرى ، هي اهتمام رجال الحديث بنقد السند ، وترك المتن دون نقد أو تمحيص .

يقول المستشرق " جاستون فيت " : *

" وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان ، إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى السند ،ومعرفة الرجال والتقائهم .. إلا أن هؤلاء لم ينتقدوا المتن ،ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصل كماهو عن رسول الله " .[2]

وتابعه في ذلك أحمد أمين ، حين قال :

" وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد .. ولكنهم ، - والحق يقال - عنوا بنقد الإسناد أكثر مماعنوا بنقد المتن .. حتى نرى البخاري نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه - يثبت أحاديث .. غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال " .[3]

وفي هذا القول اتهام صريح بتقصير علماء الحديث في دراسة المتن . وهذا غير صحيح ، بل إن جهود علماء الحديث في هذا

---

[1] العصرانيون ، ص ١١٥ .

[2] محمد عجاج الخطيب ـ السنة قبل التدوين ، دار الفكر ، ط٥ ، ١٤٠١هـ ، ص ٢٥٤ .

[3] أحمد أمين ـ فجر الإسلام،مكتبة النهضة المصرية ، ط١٠ ، ١٩٦٥م ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

* جاستون مستشرق فرنسي ، ولد عام ١٨٨٧م ، تخرج من مدرسة اللغات الشرقية ، ودرس الحقوق ، نال أوسمة عديدة تقديرا لشجاعته وتكريما لعلمه ، له آثار وافرة متنوعة تربو على ٢٢٩ مؤلفا ، في كتب ، أو موزعة على مجموعات علمية ، أو مبثوثة بين مجلات استشراقية ، وصحف ، ويغلب عليها طابع مصر الإسلامية قديمها وحديثها ، توفي عام ١٩٧١م انظر(المستشرقون ، ١ : ٢٧٦) .

الباب معلومة بينة فقد وضع علماء الحديث علامات تميز متن الخبر الموضوع من غيره ٠

علامات الوضع في المتن :

١ ـ ركاكة اللفظ في المروي بحيث يدرك من له إلمام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي ﷺ ولكن المدار في الركة على ركة المعنى ، فحيثما وجدت دلت على الوضع ٠ أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى ، فغير ألفاظه بغير فصيح ٠ نعم إن صرح بأنه من لفظ النبي ﷺ فكاذب ٠

٢ ـ فساد المعنى : كالأحاديث التي يكذبها الحس ، وتبطلها الشواهد الصحيحة ٠

٣ ـ مايناقض نص الكتاب والسنة المتواترة أو الإجماع القطعي.

٤ ـ كل حديث يدعي تواطؤ الصحابة على كتمان أمر ،وعدم نقله ٠

٥ ـ كل حديث يخالف الحقائق التاريخية التي جرت في عصر الرسول ﷺ أو اقترن بقرائن تثبت بطلانه ٠

٦ ـ أن يكون خبرا عن أمر جسيم ، ثم لاينقله إلا واحد ، لأن العادة جارية بتظاهر الأخبار في مثل ذلك ٠

٧ ـ موافقة الحديث لمذهب الراوي ، وهو متعصب مغال في تعصبه، كأن يروي رافضي حديثا في فضائل أهل البيت ٠

٨ ـ اشتمال الحديث على مجازفات ، وإفراط في الثواب العظيم مقابل عمل صغير ٠ [1]

---

[1] انظر السنة قبل التدوين ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٧ ٠

ولعل أكبر رد على هؤلاء تلك المؤلفات العديدة لعلماء الحديث، التي تتحدث عن الأحاديث الموضوعة ومعالجتها ، وبيان علامات وضعها ·فهذا دليل على اعتناء علماء الحديث بنقد المتن · ومن هذه الكتب : اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة · لجلال الدين السيوطي * ، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة · لمحمد بن علي الشوكاني ** ،تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة · لعلي بن عراق الكناني*** الموضوعات لابن الجوزي **** وغيرها ممالايتسع المجال لذكرها هنا ·

يقول ابن دقيق العيد ***** وكثيرا مايحكمون بذلك - أي بالوضع - باعتبار يرجع إلى المروي وألفاظ الحديث ، وحاصله أنها

---

*عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين ، إمام حافظ ؛ مؤرخ أديب ، له نحو ٦٠٠ مصنف · منهاالكتاب الكبير ؛ والرسالة الصغيرة · ولد عام ٨٤٩هـ، نشأ في القاهرة يتيما · لمابلغ الأربعين اعتزل الناس ، فألف أكثر كتبه ، وبقي كذلك إلى أن توفى عام ٩١١هـ · من كتبه الإتقان ، إتمام الدراية لقراء النقاية ، الإكليل ، تفسير الجلالين ، الجامع الصغير ·· وغير ذلك كثير. انظر الأعلام ، (٣ : ٣٠١) ·

** محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني فقيه مجتهد ؛ من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء · ولد بهجرة شوكان عام ١١٧٣ هـ ونشأ بصنعاء ، ولي قضاءها ، ومات حاكما بها · عام ١٢٥٠ هـ ، له ١١٤ مؤلفا ، منها نيل الأوطار ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، إتحاف الأكابر ، الدرر البهية ، فتح القدير ، وإرشاد الفحول ·· وغيرها · انظر الأعلام،(٦ : ٢٩٨) ·

*** علي بن محمد بن علي بن عبدالرحمن بن عراق الكناني (٩٠٧ ــ ٩٦٣ هـ) نور الدين ، فقيه **متصوف ، له نظم ، وفيه قوة على نقد الشعر ولد في دمشق ، ورحل إلى الحجاز** ، **تولى** الإمامة بالمدينة ، **وتوفي فيها ، له (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة) في** الحديث ، أتم تأليفه بمصر سنة ٩٥٤هـ أهداه إلى السلطان سليمان العثماني · انظر الأعلام ، (٥ : ١٢) ·

**** ابن الجوزي هو : عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي الحنبلي ، الواعظ ؛ صاحب التصانيف ؛ الحافظ المفسر ؛ شيخ الإسلام ؛ ولد سنة تسع أو عشر وخمس مئة ، صنف في التفسير المغني ، ثم اختصره في أربع مجلدات ، وسماه زاد المسير · وله تذكرة الأريب ؛ الوجوه والنظائر ، فنون الأفنان في علوم القرآن ·· وغيرها كثير تزيد على ثلاث مئة وأربعين مصنفا · توفي في الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمس مئة · انظر السير ، (٢١ : ٣٦٥) ·

***** ابن دقيق العيد هو : محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح تقي الدين القشيري · قاض من أكابر العلماء بالأصول مجتهد أصله من مصر ، تعلم بدمشق ، ثم مصر ، ولي قضاء الديار المصرية ، إلى أن توفي بها عام ٧٠٢ هـ · له تصانيف إحكام الأحكام ، الإلمام بأحاديث الأحكام ، شرح الأربعين ، أصول الدين · انظر الأعلام ، (٦ : ٢٨٣)·

حصلت لهم بكثرة محاولة ألفاظ النبي ﷺ هيئة نفسانية ؛ وملكة يعرفون بها ؛ مايجوز أن يكون من ألفاظه ومالايجوز، ٠٠٠ فإن معرفة الوضع من قرينة حال المروي ؛ أكثر من قرينة حال الراوي". [1]

من هذا يتبين أن هذه الشبهة قائمة على غير أساس ٠ فللعلماء جهودهم الجبارة في خدمة سنة المصطفى ﷺ ؛ التي لايمكن إخفاؤها أو إنكارها أو النيل منها ٠

ومن دعاة التغريب الذين انتهجوا هذا النهج " **محمود أبو رية** " من ذلك قوله :

" انتهيت إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة ، ذلك أني وجدت أنه لايكاد يوجد في كتب الحديث كلها ماأسموه صحيحا ، أوماجعلوه حسنا ، قد جاء على حقيقة لفظه ؛ ومحكم تركيبه ؛ كمانطق الرسول به ، ووجدت أن الصحيح في اصطلاحهم إن هو إلا معان ممافهمه بعض الرواة ٠ من أجل ذلك جاءت أكثر الأحاديث ؛وليس عليها من ضياء بلاغته إلا شعاع ضئيل ". [2]

هذا كلام واضح البهتان ،ولاأساس له من الصحة ، فهو يصرح ؛ بأنه لايكاد يوجد حديث بلفظ النبي ﷺ ٠ ويتهم الرواة بقولها ؛ ونسبتها إلى النبي ﷺ ، وفي هذا تشكيك في أكثر الأحاديث النبوية ، **ممايعني انهيار السنة النبوية ، فدخول هذا الكلام في العقلية الإسلامية ، وتصديقه مدعاة لترك السنة النبوية ، وترك اتباعها ،** وإبعاد للمسلمين عن مصدر التشريع الثاني ٠

---

[1] محمد بن إسماعيل الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، ١٣٦٦هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، (٢: ٩٤) ٠

[2] العصرانيون ، ص ١٣٨ ٠

وفي هذا تحقيق لهدف التغريب ، فالبعد عن مصدر الدين بعد عن الدين نفسه ، إنه مخطط إجرامي رهيب ،يتم فيه تقويض الإسلام لبنة لبنة ، في نفوس المسلمين الجاهلين بأمور دينهم ،وهذه الوسيلة من أعظم الوسائل المؤثرة في تحقيق أهداف التغريب ٠

نخلص من هذا إلى عدم إنكار المستشرقين ودعاة التغريب لنص الحديث صراحة ، وإنما تحريفهم له عن حقيقته ، أو التشكيك في وصوله إلينا بلفظه الصحيح ٠

كما أنهم عمدوا من خلال التشكيك إلى الطعن والغمز واللمز في مصدرية القرآن الكريم والسنة النبوية ٠

ولاشك أن هذا الأسلوب في التشكيك يعتمد على المواربة والتحريف ،وهومن أنجح أساليب التشكيك ٠ ممايؤدي إلى ضعف قيمة النص في نفوس الناشئة ، يتبعه طرح له ،واتباع لمايقبله الهوى ٠ وهذه هي غاية التغريب التي يسعى إليها ٠

ثالثا : القومية العربية

المفهوم اللغوي للقومية :

من خلال المعاجم اللغوية نجد أن لكلمة " قوم " بلفظها واشتقاقاتها معاني كثيرة منها :

" القوم : القيام :نقيض الجلوس ، قام يقوم قوما وقياما و قومة وقامة ·

والقوم : الجماعة من الرجال والنساء جميعا · وقيل : هو للرجال خاصة دون النساء ·· وقوم كل رجل:شيعته وعشيرته ·

قال ابن الأثير : القوم في الأصل مصدر قام ، ثم غلب على الرجال دون النساء ·

وقال الجوهري : القوم : الرجال دون النساء ، وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع ،لأن قوم كل نبي رجال ونساء ···

وقد يجيء القيام بمعنى : المحافظة والإصلاح ·· وقام عندهم الحق : أي ثبت ، ولم يبرح ·

والقوم : القصد ، وتقاوموا في الحرب أي : قام بعضهم لبعض·· وقيِّم القوم ، الذي يقومهم ويسوس أمرهم " [1]·

بعد هذه المعاني نجد أن المعنى المتعلق بلفظ " القومية " هو : الجماعة من الرجال والنساء معا ·

المفهوم الاصطلاحي للقومية العربية :

القومية العربية :

"مجموعة من الناس الذين يشعرون بروابط طبيعية تجمعهم ، وبميول طبيعية تبلغ من القوة ومن الحقيقة أنها تتيح لهم الحياة

---

[1] لسان العرب ، (١٢ : ٤٩٦ ــ ٥٠٦) · وانظر تاج العروس ، (٩ : ٣٤ ــ ٣٧) ·

المشتركة ، وتجعلها ممكنة ؛ بل مستحبة ٠ وتجعلهم يرضون أن تفرض عليهم العبودية للشعوب الأخرى "٠ [١]

وتعرفها الموسوعة العربية العالمية بأنها :

" مذهب سياسي فكري في العصر الحديث ، نادى بتقوية الشعور القومي العربي من المحيط إلى الخليج ، وتفتقت عن هذا الشعور الجماعي العام هيئات دولية ٠٠ وأحزاب سياسية عربية ، شكلت حركة شعبية على مستوى العالم "٠ [٢]

نشأة القومية العربية :

يرى د / محمد محمد حسين :

أن فكرة القومية العربية بدأت " في منتصف القرن ١٩ ، وشجع عليها أعداء الإسلام حزب الإتحاد والترقي داخل تركيا ، الذي كان أكثره من اليهود " ٠ [٣]

ولكن ظلت هذه القومية خافتة لم تظهر كجهد منظم إلا في عام ١٨٧٥م " حين ألف خمسة شباب من الذين درسوا في الكلية البروتستنتينيه ببيروت جمعية سرية ،وكانوا جميعا نصارى "٠ [٤]

من بدايات هذه النشأة يظهر لنا أنها نتاج يهودي ، ومؤامرة صهيونية صليبية حاقدة ٠

" فإثارة النعرات القومية بين المسلمين مخطط صليبي رهيب ، وهذا المخطط يعمل على إحياء العاطفة القومية ، تلك العاطفة التي قضى عليها الإسلام وأماتها منذ العهد الأول من الرسالة المحمدية

---

[١] مصطفى الرافعي ــ الإسلام انطلاق لاجمود ، منشورات دار مكتبة الحياة ــ بيروت ، ١٩٧٧ م، ص ١١٥ ٠

[٢] الموسوعة العربية العالمية ، (١٨ : ٤١٤) ٠

[٣] الاتجاهات الوطنية ، (٢ : ٩٩) ٠

[٤] الحلول المستوردة ، ص١٤٩ ٠

الخالدة ۰۰۰ إن الإسلام أمات جميع أصناف هذه النعرات والعصبية ، وأحيا أخوة الإسلام " ۰ [1]

دعاة القومية :

نادى للدعوة بهذه القومية عدد من العرب أرادوا الإلتفاف حول الرابطة القومية ، ولعل من أبرز هؤلاء الدعاة ساطع الحصري * ، الذي يعد من " أكبر وأقدم دعاة الفكرة القومية ، إنه فيلسوف الفكرة القومية العربية ، وهو مرجع أساسي بالنسبة لجميع العاملين في حقل الفكرة القومية "۰ [2]

وتقوم دعوته على ضرورة تمسك العرب بمبدأ القومية ، كغاية يدعى إليها ، وعليهم الالتزام بهذه الرابطة ۰ فوق كل الروابط الأخرى ، لأنها أعم وأقوى منها جميعا ، حتى الرابطة الإسلامية يجب أن تتعداها وتتغلب عليها يقول في ذلك :

" إن فكرة القومية العربية صادفت في طريق سيرها وانتشارها عراقيل كثيرة ، وعقبات خطيرة ، وقد تغلبت على الكثير منها ۰۰ وهي على وشك الانتهاء من التغلب على العقبات التي تعترض طريقها باسم الرابطة الشرقية من ناحية ، والرابطة الإسلامية من ناحية أخرى "۰ [3]

---

[1] تيارات فكرية ، ص١٢٠ ۰

[2] صالح العبود ــ فكرة القومية العربية ، دار طيبة للنشر ، ط١ ، ١٤٠١هـ ،ص ٢٣ ۰

[3] المرجع السابق ، ص ٢٥ ۰

* ساطع بن محمد بن هلال الحصري ، أبو خلدون ، كاتب وباحث من علماء التربية ، تترك ،ثم تعرب ، حلبي الأصل ، ولد بصنعاء ، أصدر مجلة بالتركية ، ووضع ١٢ كتابا بالتركية ، عين وزيرا للمعارف بدمشق ، صنف أكثرمن ٥٠ كتابا عربيا ،منها الدفاع عن العروبة ، القومية العربية والدين الإسلامي ، ماهي القومية ؟ ، محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، العروبة أولا ۰۰ وغيرها ، توفي ببغداد عام ١٣٨٨هـ وكان مولده عام ١٣٠٠ هـ ۰ انظر الأعلام ، (٣ : ٧٠) ۰

ويقول أيضا :

" ولكنا إذا لاحظنا أنواع الروابط التي تكون الجماعات السياسية على وجه أخص ، نجد أن أقواها وأفعلها هي نزعة القومية المتولدة من وحدة اللغة والتاريخ ، وهي التي تتغلب على كل ما عداها ، وتستتبعها استتباعا ". [1]

ومن دعاتها أيضا . الأستاذ علي ناصر الدين في كتابه قضية العرب ، حيث يقول فيه :

" العروبة نفسها دين عندنا ، نحن القوميين العرب المؤمنين العرقيين من مسلمين ومسيحيين ، لأنها وجدت قبل الإسلام ؛ وقبل المسيحية في هذه الحياة الدنيا ؛ مع دعوتها إلى أسمى مافي الأديان السماوية من أخلاق ومعاملات وفضائل وحسنات ". [2]

كما دعا إليها الكاتب الأديب المصري " محمود تيمور " * يقول في صراحة :

" لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة ،فإن القومية العربية لهي نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي ، وإن كتاب العرب في أعناقهم أمانة ،هي أن يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة ، يزكونها بأقلامهم ، وينفخون فيها من أرواحهم ". [3]

ومن هؤلاء أيضا الكاتب القومي " عمر الفاخوري " ، في

---

[1] المرجع السابق ، ص٢٧ /٢٨.

[2] أبو الحسن علي الحسني الندوي ــ العرب والإسلام ــ مكتبة المنارة ، ط٢ ، ١٤٠٨هــ ، ص ١٥.

[3] الحلول المستوردة ، ص ١٤٨ .

* محمود بن أحمد بن إسماعيل تيمور ، كاتب قصصي نابغة مصري ولد في القاهرة ، عام ١٣١١ هــ ،تعلم في المدارس المصرية ، وسافر إلى سويسرة ، فأتيحت له دراسة الأدبين الفرنسي والروسي.كان من حملة لواء الفصحى ، أصبح من أعضاء مجمع اللغة العربية . آثاره متنوعة ، منها القصة و المسرحية والبحث.وترجم كثيرا منها إلى لغات مختلفة.من كتبه قال الراوي ، دنيا جديدة ، نداء المجهول .. توفي في سويسرة عام ١٣٩٣هــ ، دفن في القاهرة .
انظر الأعلام،(٧: ١٦٥) .

كتاب له سماه " كيف ينهض العرب " يقول فيه : " لاينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية أو المبدأ العربي ديانة لهم ، يغارون عليها ؛ كما يغار المسلمون على قرآن النبي الكريم ، والمسيحيون ٠٠ على إنجيل المسيح الرحيم ٠٠ ويتعصبون لها تعصب الصليبيين لدعوة بطرس الناسك " ٠ [1]

وفي مقال له يقول الدكتور / محمد أحمد خلف الله :

" إن الساسة اليوم ينادون بالقومية العربية ٠٠ ، وتحقيق الوحدة العربية أقرب منالا من تحقيق الوحدة الإسلامية ، إن مصلحتنا اليوم في تحقيق هذا الهدف القريب ، ثم إن الفكرة العربية أكثر انتشارا ،وأوسع نفوذا من الفكرة الإسلامية "٠ [2]

هذه هي أقوال دعاة القومية العربية ، وهذه هي الصورة التي يريدون الوصول إليها ٠

من خلال هذه الأقوال نجد أن من دعاة القومية من بالغ في تقديس القومية ؛ والتغني بها ؛ وإنكارماعداها ٠ وقد أصبحت في نظرهم ديانة إزاء ديانة ؛ وعقيدة مقابل عقيدة ؛يهدفون من ورائها إلى نقض الإسلام ، وتفتيت مجتمعاته الإسلامية ، وهدم رابطة الدين ؛ التي تربطهم مع غيرهم من المسلمين ٠

" وقد أصبح العرب المسلمون في ذلك فريسة سهلة لدهاء الأقلية غير المسلمة في الشرق ، التي يتوقف مصيرها على انتشار فكرة القومية العربية ، وحلولها محل الدين الإسلامي ، والتي تستطيع أن تصل عن طريقها إلى مراكز الزعامة ؛ والقيادة

---

[1] المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، ص ٥١ ــ ٥٢ ٠

[2] مجلة العربي ــ العدد الأول ٠ جماد أول ١٩٥٩م ، مقال بعنوان القومية العربية كماينبغي أن نفهمها ، ص ٢٤ ٠

والتوجيه في العالم العربي ، وتستطيع أن تفصل بها العرب عن بقية العالم الإسلامي ".[1]

وهؤلاء هم دعاة التغريب ،الذين استخدموا هذا الأسلوب في تحقيق أهداف التغريب ٠ من هدم للإسلام في نفوس المسلمين ، وإبعادهم عن دينهم ، وحل الرابطة التي يقوم عليها الإسلام فيما بينهم ٠ وإبعاد المسلمين عن مراكز التوجيه والتأثير في العالم الإسلامي ٠ وهذه جميعا من أهداف التغريب التي تحققها له القومية

وهناك نوع آخر من دعاة القومية ، هم مقلدون لغيرهم، تابعون لهم في دعوتهم ، وقد ساعدهم على قبول هذه الدعوة والمناداة بها ذلك الانحراف العقدي الذي تعرضوا له من خلال انبهارهم بالحضارة الغربية وتقدمها المادي والعلمي ، أو من خلال دراسةبعضهم في تلك الدول الغربية ، فنادوا بهذه الدعوة ، كردة فعل في نفوس هؤلاء الدعاة لواقع الأمة الإسلامية في ذلك الوقت ، نظرا لماكانت تعاني منه من مشاكل أدت إلى تمزقها ، فحاولوا الربط بين هذه المجتمعات ، بالدعوة إلى القومية العربية٠

أهدافها :

يسعى دعاة القومية إلى عدة أهداف منها :

١ ـ العمل على ضياع الأمة الإسلامية ، لأن القومية " تمهد لضياع هذه الأمة الكريمة وانهيارها ؛ وإفلاسها ، ويتآمر على وجودها وقوتها وتحولها ٠٠ إلى أمة متشككة ضعيفة ، لاعقيدة لها ولاهدف ولارسالة ". [2]

---

[1] العرب الإسلام ، ص ٢٠ ٠

[2] تيارات فكرية ، ص١٢١ ٠

وهذا مايريده لها دعاة القومية أمة ضعيفة ، ضائعة ، متشككة متفرقة ، لاتجمعها رابطة قوية • وهذا ما اعترف به المؤرخ الأوروبي " أرنلِد توينبي " حين قال :

" القومية لاتستطيع أبدا أن توحد الإنسانية ، بل إنها توزعها، وتشتت شملها • ومن أجل ذلك ليس لها مستقبل ، وإنها لاتستطيع إلا أن تدفن الإنسانية في ركامها " • [1]

٢ ـ تفكيك عروة الأمة الإسلامية بالقومية التي :" ترمي إلى الحيلولة دون إستئناف المسلمين حياتهم على أساس الإسلام •• ولاريب أن ذلك كله عملا مرتبا منسقا ، يهدف إلى تفكيك عروة الأمة الإسلامية • أساسا إلى كيانات عنصرية متنافرة ؛ وعناصر متعددة متباعدة ،حتى يمكن ضربها جميعا واحتواؤها " • [2]

فعندما قام الاستعمار بتقسيم العالم الإسلامي إلى دول متفرقة، بذر أول بذرة للدعوة إلى القومية ، فحصلت الفرقة • والتشتت ؛ بعد أن كان العالم الإسلامي أمة واحدة لفترة طويلة من الزمن •

ولما جاء دعاة القومية العربية نادوا برفع راية الرابطة العربية، حتى تظل الدول الإسلامية متباعدة متفرقة • ولماكانت هذه الدعوة قائمة على رابطة زائفة لذا فإنها ، لم تحقق ماكان يريده العرب ، ففرقت ولم تجمع ، وشتتت ولم تلم ، حتى أصبح العالم الإسلامي بأسره فرقا وأحزابا • بل إن هذه الدعوة حالت دون ترابط العالم الإسلامي بالرابطة التي تقوم على الدين الحق ، وتعيد للمسلمين قوتهم ووحدتهم ، كما أنها لم تحقق مانادت به من الوحدة العربية ،

---

[1] فكرة القومية العربية ، ص ٢٧٤ •

[2] عقبات في طريق النهضة ، ص ١٠٣ •

والواقع خير شاهد على تنافر الدول العربية بعضها مع بعض ، فلم تجمعها لغة ٠

٣ - تهدف القومية إلى القضاء على الإسلام ، وذلك بتقويض مجتمعاته القائمة على الروابط الإسلامية ٠

يقول د / زويمر : * " إن مبدأ القومية المحدودة يعد أهم عامل للقضاء على الإسلام ٠ وقد وضعت الأمم المستعمرة هذا المبدأ نصب أعينها "[١] ذلك أن الإسلام قد ارتضى الرابطة الإسلامية ، وفي استبدالها بغيرها من الروابط قضاء على رابطة الإسلام ، ومن ثم قضاء على الإسلام نفسه ٠

نقد القومية العربية :

لدى النظر إلى أهداف القومية يتضح أنها أهداف تخالف مقاصد الإسلام ، ومايدعو إليه ٠

وقد ألف الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - كتاباً نقد فيه القومية العربية ، وبين أنها دعوة باطلة ؛ وخطأ عظيم ؛ وجاهلية نكراء ، وذلك من عدة وجوه منها :

" أولاً : لأنها تفرق بين المسلمين ٠٠ بل تفرق بين العرب أنفسهم، وتقسمهم أحزاباً ٠ فهي تخالف مقاصد الإسلام ٠

قال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[٢]

ثانياً : لأنها من أمر الجاهلية ، فهي تدعو إلى غير الإسلام ، وكل ماخرج عن دعوة الإسلام والقرآن الكريم فهو من الجاهلية ٠

---

[١] الإسلام في وجه التغريب ، ص ١٤٠ ٠

[٢] سورة آل عمران ، آية : (١٠٣) ٠

*صموئيل زويمر : رئيس المنصرين في الشرق الأوسط تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي ، له مصنفات في العلاقات بين المسيحية والإسلام ، أفقدها بتعصبه واعتسافه وتضليله قيمتها العلمية ٠ ولد عام ١٨٦٧م ، وتوفي عام ١٩٥٢م ٠ انظر (المستشرقون ، ٣ : ١٣٨) ٠

ثالثاً : لأنها تؤدي إلى موالاة كفار العرب ٠ وملاحدتهم ؛ واتخاذهم بطانة ،والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين

رابعاً : لأنها تفضي ولابد إلى رفض حكم القرآن لأن القوميين غير المسلمين ، لن يرضوا تحكيم القرآن ، فيوجب ذلك ٠٠ أن يتخذوا أحكاماً وضعية "٠[1]

ومماسبق ذكره يتبين أن القومية العربية رابطة تتنافى مع الدين الإسلامي ؛ الذي يدعو إلى الوحدة الإسلامية ولايمكن للعالم الإسلامي أن ينهض بدون رابطة الدين الحق ٠

يقول ويلغريد سميث * : " تاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل على أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض بالواجب الشاق البناء ٠ ثم يقول : ومالم يكن المثل الأعلى إسلامياً على وجه من الوجوه لن تثمر الجهود البتة "٠ [2]

إذن وجود الروابط ضروري لاستقامة الحياة ، فلاحياة بدون رابطة تقوم عليها ، شريطة أن تكون هذه الرابطة منبثقة من الدين الحق ٠ فمن الخطأ جعلها جنسية أو رابطة دينية قائمة على دين باطل ؛ أو محرف ؛ فإن هذه الروابط لاتستقيم معها الحياة ٠ أما قيام الحياة على الرابطة الإسلامية فهي العروة الوثقى التي تؤدي إلى إستقامتها ، ولانزاع في أن هذه الرابطةألفت بين قلوب المسلمين ،

---

[1] عبدالعزيز بن باز ــ نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٣هـ ، ص١٣ ــ ٥١ باختصار ٠

[2] د/ بركات دويدار ــ الحركة الفكرية ضد الإسلام ، مطبوعات المركز العالمي للتعليم الإسلامي ، ١٤٠٦هـ ، ص٢١١ ــ ٢١٢ ٠

* ويلغريد كانتول سميث ، ولد عام ١٩١٦م في تورنتو بكندا ، تحصل على الماجستير والدكتوراة ، تخرج باللغات الشرقية من جامعة برنستون ، عمل كرئيس رابطة دراسات الشرق الأوسط ومحرر استشاري في صحيفة الدراسات الدينية ، له عدة آثار ودراسات ومقالات ٠ انظر (المستشرقون ، ٣ : ١٨٢) ٠

ووحدتهم ، وأزالت المشاحنة والبغضاء ، فالتحمت العناصر المتفرقة ، واتحدت الجنسيات المتباعدة حتى كون المسلمون قوة لايستهان بها ٠

أما غير هذه الرابطة فلم يكن لها أثر يذكر على مر السنين ، حتى أن القومية العربية لم يكن لها ذلك الأثر الذي يشفع باستمرار الدعوة إليها ، حتى بين العرب أنفسهم ، ومانراه من استمرار هذه الدعوة بين بعض الأوساط ، فماذلك إلا بمساعي دعاة التغريب ، لتستمر هذه الدعوة كوسيلة من وسائل التغريب ، لأنها تحقق أهدافهم التي تتفق مع تيار القومية العربية الذي " مهمته إقصاء الإسلام ، وتفريغ القضية السياسية و الاجتماعية بوجه عام من المحتوى الإسلامي ، وإحلال فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل عقيدته ، واستبدال رابطة أخرى برابطته لعزل الشعوب الإسلامية ٠٠ وبذلك تنقطع الصلات بين الشعوب الإسلامية ، وتضعف روابط الثقافة المشتركة ؛ ولغة القرآن ؛ والقيم الخلقية ؛ ويقضى على الأخوه الإسلامية " [1] من خلال هذه المهمة لتيار القومية العربية يظهر للمتتبع مقاصدها أنها تساهم وبشكل فعال في تحقيق أهداف التغريب ، في محاولة لهدم الإسلام في نفوس المسلمين ؛ ومحاولة لابعادهم عن قيمة ومثله ٠

ومما يجب أن يؤمن به المسلمون والعرب منهم خاصة ؛ أن الإسلام هو سبب عزة العرب ورفعتهم ، لأنهم قبل الإسلام لم يكن لهم كيان أو وجود يذكر بين الشعوب القديمة ٠ فقد قام كيانهم باعتمادهم على الإسلام ، بعد أن كانوا أحزاباً متفرقين ، تمزقهم

---

[1] أساليب الغزو الفكري ، ص ٧٧ ٠

الحروب الطاحنة بينهم ، وأنه : " لايلزم من الاعتراف بفضل العرب ، أن يجعلوا عماداً يتكتل حوله ، ويوالى عليه ، ويعادى ، وإنما ذلك من حق الإسلام الذي أعزهم الله به " .[1]

[1] المرجع السابق ، ص٨٠ .

رابعاً : العلمانية

مفهوم العلمانية ونشأتها :

" العلمانية مصطلح غربي ، يعني إقامة الحياة على غير الدين ، سواء كان ذلك بالنسبة للفرد أو للأمة "٠[1]

يرى الأستاذ / أنور الجندي أن :

" العلمانية ليست قاصرة على فصل الدين عن الدولة ، بل إنها مخطط كامل ، يستهدف إقصاء الدين عن كل ميادين الفكر والحياة" ٠[2]

من هذه التعاريف يتضح أن مفهوم العلمانية مفهوم مغاير لمفهوم العلم ، وأن اشتقاقها منه خطأ فادح ؛ وتزييف للحقائق ؛ ليكون لها القبول بين المجتمعات الإسلامية ٠ فالعلمانية تعني لادينية ٠" ولكن اختيرت كلمة علماني ٠٠ لأنها أقل إثارة من كلمة لاديني" ٠ [3]

وقد نشأت العلمانية نشأة غربية ، نتيجة للوضع الذي كان سائدا آنذاك حيث كانت : " الكنيسة غير مؤهلة لإستيعاب المتغيرات الجديدة ، - التي طرأت على المجتمع الغربي - والتكيف معها فحصل نزاع بين رجال الكنيسة ورجال الحكومة الدينية ، انتهى هذا النزاع إلى فصل سلطة الكنيسة عن الحياة المدنية ونظام الحكم ، حيث كان للدولة مجال ، وللكنيسة مجال "٠[4]

إذن قيام العلمانية في المجتمع الغربي له مايبرره ، أما محاولة

---

[1] العصرانيون ، ص ٤١١ ٠

[2] سقوط العلمانية ، ص ٢٤ ٠

[3] يوسف القرضاوي – الإسلام والعلمانية وجها لوجه – مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤١٢هـ ، ص٥١ ٠

[4] تيارات فكرية ، ص ١٠١ ٠

زرعها داخل المجتمع الإسلامي ؛ فلامبررله • ولكن باعتبار أنها : " المعول الأكبر لهدم القيم الإسلامية ؛ وعزل الفكر الإسلامي عزلاً تاماً " [1] نجد الإلحاح من دعاة التغريب لإقحام هذه الدعوة في المجتمع الإسلامي •

فلاريب أن اعتناق هذه الدعوة ؛ وحصر الإسلام في النواحي الدينية ، وإبعاده عن شئون الحياة الإجتماعية والسياسية في كل هذا تدمير للإسلام كمنهج كامل ؛ يضم جميع نواحي الحياة •

ولعل أبرز من استجاب لهذه الدعوة " كمال أتاتورك "* ، فقام بعلمنة الدولة العثمانية ، بعد أن نزع الخلافة الإسلامية منها • كما قامت دعوات أخرى في بعض المجتمعات الإسلامية ، إلاأنها لم تخرج إلى حيز التنفيذ في تلك البلاد ، ولم تجد قبولا بين شعوبها الإسلامية •

ولم تكن هذه الدعوة قاصرة على أجيال المثقفين ؛ ومن تربى على موائد الغرب ، بل كان ممن دعا إليها أيضا من ينتسب إلى أهل العلم والدين ، كما فعل الشيخ " علي عبدالرزاق " في كتابه " الإسلام وأصول الحكم " قال فيه : " إن محمدا - ﷺ - ماكان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين ، لاتشوبها نزعة ملك •• ولا حكومة ، وأنه - ﷺ - لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم سياسة، •• وماكان ملكا ولامؤسس دولة ولاداعيا إلى ملك " • [2]

وقد اهتم دعاة التغريب بهذا الكتاب ،بل إنه أصبح من المراجع الأساسية لعلم الاجتماع الإسلامي في دراسات الجامعات

---

[1] الإسلام في وجه التغريب ، ص ١٩٩ •

[2] علي عبدالرزاق ، الإسلام وأصول الحكم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٦٤ ـ ٦٥ •

* مصطفى كمال (١٢٩٨ ـ ١٣٥٧هـ) مؤسس الجمهورية التركية وأول رئيس لها • ولد في سالونيك ، وتلقى بها تعلمه العسكري • كون جمعية سرية أطلق عليها أسم الوطن • في عام ١٩٠٨م ، انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي ، التي شاركت في الإطاحة بسلطة الخلافة الإسلامية • تحت قيادته تبنت تركيا نهجا علمانيا غربيا • انظر الموسوعة العربية العالمية ، (١ : ١٠٣ ـ ١٠٤) •

الأمريكية. والعجيب أن تصر بعض الجهات على اعتبار أن هذا الكتاب ، يمثل الرأي الإسلامي ؛ رغم رفض الأزهر لهذا الكتاب و" السبب بسيط .. هو أن أصحاب المصلحة في فرض كتاب الشيخ علي ورواجه ؛ مازالوا يسيطرون على العالم العربي .. ومايمثله الشيخ علي وكتابه هو الطرف الأقوى الحاكم ، ومايمثله الذين يعارضون وعارضوا كتاب الشيخ هم الطرف المقهور ".[1]

هذا الإقحام للعلمانية داخل المجتمع الإسلامي هو مايهدف إليه التغريب ، باعتبارها وسيلة من وسائل التغريب ، التي تساهم في هدم الإسلام في نفوس المسلمين .

أهداف العلمانية :

تسعى العلمانية لتحقيق أهداف عدة منها :

١- "تقديم العقل والمادية والإلحاد ؛وإقامة منهج علماني ، يقايس المسائل المختلفة ".[2] ومن أجل تحقيق هذا الهدف حاول دعاة التغريب التركيز على " الاتجاه إلى العلوم العصرية، باعتبارها الهدف الحضاري ، الذي يوصف بأنه عامل النهضة والتقدم ، بينما تخفي وراءها غرضاً أساسياً ؛ هو عزل الفكر الإسلامي عن قيمه **الأساسية".**[3]

٢- "إبعاد قطاع أصيل من الفكر الإنساني هو جانب

---

[1] محمد جلال كشك ــ جهالات عصر التنوير ــ مكتبة التراث الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، ص٦١ .

[2] سقوط العلمانية ، ص ٢١ .

[3] الإسلام في وجه التغريب ، ص١٩٩ .

الروح ؛ والوحي وعالم الغيب ؛ وكل مايتصل بالدين من أخلاق وعقائد وإيمان بالله " [١] ٠

لذلك نجد إسماعيل مظهر من دعاة العلمانية في مصر ، يدعو إلى "إحلال العقلية الأوروبية العلمانية ويقول: إنني أتوقع ذلك ، وعسى أن يكون قريبا ، لنخرج من ظلمات الإسلام وأسلوبه الغيبي إلى الأسلوب الغربي اليقيني " [٢] ٠

فهو بذلك يعتبر الإسلام من الظلمات بسبب دعوته إلى الإيمان بالغيب ، في حين يعلي شأن الغرب لاعتمادهم على المحسوس ، وإنكار ماهو غيبي ٠

٣- تفتيت الروابط القائمة على أساس الدين ٠ " فالعلمانية ليست إلا مظهرا من مظاهر الدعوات العالمية ؛ التي تروجها الصهيونية في الشرق وفي الغرب ، بقصد محو كل أنواع العصبية دينية كانت أو جنسية ، حتى يتحول العالم إلى قطعان من الهمل ، لاتربطهم رابطة ، فيسهل على القلة اليهودية أن تسوقهم سوق الأغنام " ٠ [٣]

٤- استبعاد الدين وفصله عن كل ميادين الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية ٠ وبذلك يتم " القضاء على الذاتية الإسلامية المتسمة بأخلاقها وإيمانها بالله وصدق الوجهة في التعرف على الحقيقة الأساسية " ٠ [٤]

---

[١] سقوط العلمانية ، ص ٢٠ /٢١

[٢] تيارات فكرية ، ص١٠٨ ــ ١٠٩ ٠

[٣] الإسلام والحضارة الغربية ، ص ١٨١ ٠

[٤] أنور الجندي ، سموم الاستشراق والمستشرقين في الدراسات الإسلامية ، مكتبة التراث الإسلامي ، ص ١٢٠ ٠

" مجالات نشر العلمانية "

اهتم دعاة التغريب بنشر العلمانية في المجتمع المسلم ، لذا عمدوا إلى مجالات لها أهميتها ودورها الفعال في التأثير على الشعوب ، وتتسم بالقرب من الفكر والميدان العام ومن هذه المجالات :

أولا : المجال التعليمي :

لاريب أن ميدان التعليم من أهم الميادين التي تساهم في نشر الآراء وترسيخ المفاهيم ٠

لذا اهتم العلمانيون بالتعليم ؛ وإنشاء المدارس.يقول " جون تكلي" " يجب أن نشجع إنشاء المدارس ، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي ٠ إن كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم ؛ حينما تعلموا اللغة الانكليزية إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمرا صعبا "[1]

ولاريب أن الاهتمام بالنشء من أهم أهداف المدارس العلمانية، وذلك لأن تعليم التلاميذ اللغات الأجنبية في الصغر أثبت وأرسخ في الذهن ، وتجعلهم على اتصال مباشر بالكتب الغربية والفكر الغربي مما يجعل تأثيرها مستمرا عليهم إلى أن يصبحوا رجالا، فالنشء هم أمل المستقبل وعماد الأمة ٠

أضف إلى ذلك أن هذه المرحلة بالنسبة للطالب وهو في هذه السن هي مرحلة التقبل والإستماع ، فهوغير قادر على الرد والتصدي للأفكار التي تطرح عليه ، أو حتى مناقشتها لعدم توفر

---

[1] عمر فروخ ومصطفى خالدي ــ التبشير والاستعمار في البلاد العربية ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ، ١٩٩٥م / ص٨٨ ٠

مقومات المناقشة لديه .

تقول أنا مليجان :

" إن المدرسة أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير الغرب، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما ماقادة لأوطانهم " . [1]

هذه هي أهمية التعليم ، وقد استخدمه دعاة التغريب لتحقيق أهدافهم ، واحتواء المسلم عقليا وثقافيا ، ولإنشاء أجيال مستسلمة ؛ مؤمنة بالغرب ؛ كافرة بالشرق ؛تخضع وتُخضِع أمتها لكل ماهو غربي .من هنا تظهر أهمية التعليم العلماني ومساهمته في تحقيق أهداف التغريب التي لم تقتصر على العناية بالنشء ، بل شملت مراحل التعليم عامة والشباب منها بخاصة لذا ، لجأ دعاة التغريب إلى طريق آخر ؛ يشمل شباب الإسلام . وهو البعثات إلى الدول الغربية ذلك أن " أعدائنا .. أرادوا أن يصوغوا قيادات فكرية ، لاتعطي الإسلام الأهمية الكبرى في الحياة ، ثم وجهوا دراسة المبعوثين الوجهة التي تحقق لهم أهدافهم ، ولاتنتهي بنا إلى التطور التقني المطلوب ". [2]

ولاشك أن لهذه البعثات آثارها الفكرية والسلوكية في نفوس الطلبة المسلمين ، نتيجة للاحتكاك والتعامل المباشر مع الثقافة الغربية، حيث تنتقل الأفكار والقيم والمبادئ والتصورات الثقافية إلى الطالب . لأنه " لايستطيع في الغالب التعبير عن نفسه بسبب ضعفه في اللغة ، وهذا يجعله في موقع المستقبل

---

[1] الإسلام في وجه التغريب ، ص ١٧١ / ١٧٢ .
[2] الابتعاث ومخاطرة ، ص ٢٠ .

والمستمع ، كما أن دوره كطالب في المعهد ؛ واهتمامه بتقييم مدرسيه ؛ ونظرتهم إليه ؛ يشجعه على الميل إلى توجهات فكرية ونفسية معينة ، تلاقي الاستحسان والرضى من مدرسيه " . [1]

أضف إلى ذلك مايجده الطلبة المسلمون من عوامل الفساد والإفساد المتعمد ؛ والتشكيك والإغواء التي يتعرضون لها ، ممايكون له أكبر الأثر في انحرافهم العقدي ؛ وانهيارهم الخلقي

بسبب هذه الآثار المترتبة على الابتعاث ، نجد ازدياد الحرص لدى دعاة التغريب على دفع شباب الإسلام إليه ، حيث تكون الفرصة سانحة أمامهم لتدمير الإسلام في نفوسهم ومحاولة إبعادهم عن قيمة ومثله وعن كل مايمت إلى الإسلام .

بهذا تذوب الشخصية الإسلامية داخل الفكر الغربي والقيم الغربية ، وحين يعود هؤلاء إلى بلادهم ؛ يعودون متحمسين للدعوة إلى التغريب ، وقبول الحضارة الغربية ، ونشر قيمها وأفكارها بين أهلهم ومجتمعهم .

«ولقد وعى الغربيون هذا البعد الخطير في حياة الأمة ، وبالتالي اهتموا بصب مايريدون في عقول .. أبناء الأمة الإسلامية ... بحيث يعودون إلى مجتمعاتهم ، ليمارسوا التأثير الذي يرتضيه الداعون إلى التغريب في مجتمعاتنا " [2]

بهذا يتبين لنا خطورة مجال التعليم حين يستخدم في تحطيم القيم الإسلامية لدى طالب العلم وإذابة شخصيته المسلمة ، و إفقاده الولاء لدينه وعقيدته ، وتكريسه لتحقيق أهداف التغريب .

---

[1] أبرهيم حمد القعيد ـ الطلبة المسلمون في الغرب بين المخاطر والآمال . مكتبة دار السلام ، ط١ ١٤١٥هـ ، ص ٧٧ .

[2] التغريب في التعليم في العالم الإسلامي ، ص٤٧ .

يقول إقبال * :

" إن التعليم - يعني على الطريق الغربية - هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ، ثم يكونها كما يشاء إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرا من أي مادة كيميائية ". [1]

---

[1] الحلول المستوردة ، ص ٢٧ ــ ٢٨ .

• السير محمد أقبال (١٢٨٨ ــ ١٣٥٥هـ) هندي مسلم ، عالم وفيلسوف وشاعر . ولد في مدينة سيالكوت ، اتخذ المحاماة مهنة له . كان يحث على الوحدة السياسية والروحية بين جميع الشعوب الإسلامية . له عدة قصائد منها أسرار النفس ، أغنية الخلود . انتخب رئيسا للهيئة البرلمانية في البنجاب عام ١٩٣٦م .

الموسوعة العربية العالمية ، (٢ : ٤٠١) .

٢ ـ المجال الإعلامي

" العلمانية في التعليم أقدم وأخطر ، والعلمانيـة فـي الإعـلام أعم وأشمل " [١] .

وهذا مالايخفى على ذي بصيرة ، فوسائل الإعلام المختلفـة مـن صحافـة وإذاعـة وتلفـاز وغيرهـا ، مشـاعة فـي المجتمـع الإسـلامي . لذلـك حـاول دعـاة التغريـب الاسـتفادة منـها قـدر الإمكـان ، إذ إنـها " تمثـل القنـوات المباشـرة وغـير المباشـرة للتعبير عن ثقافة المجتمع ومشكلاته وآماله وقيمه " [٢]

ولعل من أعظم وسائل الإعلام إفسادا للمجتمـع الإسـلامي ، وتدميرا لقيم الإسلام ومثله ، " القنـوات الفضائيـة " التـي غـزت معظـم بيـوت المسـلمين ، فـأصبحت تعـرض الفسـاد والميوعـة والانحـلال ، حتـى أصبحـت منـبرا لإشـاعة الفاحشـة ، وانـهيار القيم، وتحطيم الأخلاق ، وخلخلة العقيدة ، لأنـها تعتمـد فـي كـل هـذا علـى " حاسـتين خطـيرتين فـي وقـت واحـد : السـمع والبصر .. ليتخللاهما إلى الفؤاد " [٣].

ولاشك في أن ماتعرضـه هـذه القنـوات مـن برامـج مؤثـرة ، إنما تـهدف بذلك إلى نقل القيم ومظاهر السلوك الاجتماعي ، الذي ترجوه ، وبالصورة التي تنشدها ، ممايؤدي إلـى تبـدلات فكريـة وسلوكية لدى المتلقي . هذه التبدلات تتحقق من خلالـها أهـداف التغريب ، التي يسعى ويخطـط لـها فـإذا تعـود المتلقـي للقنـوات الفضائيـة علـى مشـاهدة هـذه السـلوكيات المخالفـة لديـن الله ،

---

[١] أساليب الغزو الفكري في العالم الإسلامي ،ص ٧٠ .

[٢] الطلبة المسلمون في الغرب ، ص٧٩ .

[٣] على جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، دار الوفاء ، ط٣ ، ١٤١١هـ ، ص١١٢ .

يترسخ في ذهنه أنها الواقع الذي يجب تقبله ، والرضا به ٠ وعلى المدى البعيد يثبت هذا الواقع في عقله ونفسه ويعتبره السلوك الصحيح الذي يجب اتباعه ٠

ثم يأتي دور الصحافة ، ومع أهمية هذا الدور ، إلا أنها لاتتقدم على القنوات الفضائية ، وخاصة في عصرنا الحالي ، الذي تسير فيه وسائل الاتصال المرئية والمسموعة إلى التطور المستمر ، ممايجعلها أسهل تناولا وأشد خطرا على الجميع ٠

وقد اهتم التغريب بالصحافة على إعتبار أنها وسيلة شعبية، تستطيع قلب الموازين ؛ وتزييف الحقائق ؛ وخداع الشعب٠ واعتمادهم على أنها تخلق لديه رأيا عاما ؛ وأفكارا ومبادئ تخدم أغراضه ٠

يقول هاملتون جيب *

" يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفا إلى خلق رأي عام٠ والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة ٠٠ فهي واقعة تحت تأثير الآراء والأساليب الغربية " ٠ [١]

ولاريب أن لكتابات الصحافة تأثيرا على سلوكيات وأخلاق المجتمع " فالكتابات الإباحية من القصص والجنس والجريمة والكرة والمسرح والسينما وإعلاء شخصيات الفنانات وجعلهن مثلا أعلا " [٢] لها تأثير عظيم في إفساد المجتمعات والأفراد

---

[١] الحلول المستوردة ، ص ٣١ ٠

[٢] عقبات في طريق النهضة ، ص ١٧٥ ــ ١٧٦ ٠

* هاملتون جيب (١٨٩٥ ــ ١٩٧١م) من مواليد الإسكندرية في مصر ، وأعلام المستشرقين ، عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ، والمجمع اللغوي في مصر ٠ أصبح أستاذا للغة العربية في جامعة لندن ، ثم أكسفورد ، ثم هارفارد ٠ من آثارة ماهو الإسلام ؟ الآثار الإسلامية ، الاتجاهات الحديثة في الإسلام ٠٠ وغيرها كثير ، انظر (المستشرقون ٢ : ١٢٩ ــ ١٣١) ٠

وهدم القيم ، كما تقوم بعمليات تطبيع للمجتمعات بالمفاهيم الغربية ؛ والسلوكيات المنحرفة .

بل قد تتعدى وسائل الإعلام ذلك " إلى احتقار الحضارة الإسلامية ؛ وتشويهها ؛ والحط من قيمة الفرد الذي ينتمي لتلك الحضارة ". [1]

بعد هذا العرض لوسيلة العلمانية مفهومها ، وأهدافها ومجالات نشرها ، يتضح أنها وسيلة هامة لتحقيق أهداف التغريب ، حيث تسهم في تصوير الحياة الغربية وأسلوبها وقيمها ومثلها على أنها المثل الأعلى وإنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية ، أضف إلى ذلك أنها سعت إلى إبعاد العناصر الإسلامية عن مراكز التوجيه ، وإحلال عناصر متغربة بدلا منها في هذه المراكز ، وإحلال نظم غربية داخل المجتمع الإسلامي.و بتحقيقها لهذه الأهداف أصبحت وسيلة هامة من وسائل التغريب ،تسهم في تفريغ الأمة الإسلامية من قيمها وعقائدها .

---

[1] الطلبة المسلمون في الغرب ، ص ٨٣ .

المبحث الرابع

" علاقة التغريب بالمذاهب الهدامة "

أولاً : الاستشراق

* مفهوم الاستشراق :

اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الاستشراق ، كل بحسب الجانب الذي ركز عليه دراسته ٠

حيث عرفته الموسوعة العربية العالمية بأنه :

"دراسات أكاديمية ، يقوم بها باحثون أجانب من أهل الكتاب خاصة ، حول الإسلام والمسلمين من جميع الجوانب التاريخية والعقدية والفقهية والثقافية والحضارية ؛ وحول حضارة الشرق بصفة عامة "٠ [١]

في حين يرى د / أحمد السايح بأنه :

" محاولة الاحتلال الصليبي الغربي لدراسة العقلية العربية الإسلامية والنفسية العربية الإسلامية " ٠[٢]

أما د / أحمد غراب فيعرفه بأنه :

" دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب "٠ [٣]

وعُرف أيضاً بأنه :"دراسة الإسلام ديناً ؛ ومايتبعه من لغات أهله وتواريخهم ومظاهر حضارتهم "٠[٤]

---

[١] الموسوعة العربية العالمية ، (١ : ٦٧٦) ٠

[٢] تيارات فكرية ، ص ٣٣ ٠

[٣] أحمد غراب ، رؤية إسلامية للاستشراق ، المنتدى الإسلامي ، ط٢ ، ١٤١١هـ ، ص٧ ٠

[٤] قاسم السامرائي ـ الاستشراق بين الموضوعية والإفتعالية ، ، دار الرفاعي ، ط١، ١٤٠٣هـ ،ص١٠٨ ٠

وتعرفه الموسوعة الميسرة :

"هو ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي ، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته ٠ ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي ، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما "[1]

ويتبين من هذه التعاريف أنها لم تذكر أسباب اهتمام المستشرقين بالعلوم الشرقية ،ولاشك أن هذا يعتبر من الأمور المهمة التي يجب أن يشملها التعريف ٠ فالاستشراق قد يهتم بالعلوم الشرقية للتعرف على هذه العلوم والإطلاع عليها ، في حين أن أغلبية المستشرقين يهتمون بدراسة علوم الشرق ،حتى ينفذوا من خلال مايكتبون إلى تحقيق أهدافهم ، وتشكيك المسلمين في دينهم وعقائدهم ٠ بناء على هذا نخلص إلى أن الإستشراق هو الاهتمام بدراسة العلوم الشرقية للدرس أو الدس ٠

أهداف الاستشراق

لاشك أن لهذه الحركة أهدافها التي تصبو إليها ، بل إنها لم تنشأ إلا لتحقيق هذه الأهداف ٠

ومن خلال تحديد مفهوم الاستشراق نجد أن أهدافه تسير في اتجاهين :

أ ـ الدس ٠ وأهدافه في هذا الاتجاه :

١ ـ تفتيت الوحدة الإسلامية وإضعافها باعتبارها من أهم العوائق في وجه الاستشراق ، ويصرح لورانس بذلك في قوله : "

---

[1] الموسوعة الميسرة في الأديان ، ص ٣٣ ٠

إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية ، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، وأمكن أن يصبحوا نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولاتأثير ".[1] من هنا يظهر وبكل جلاء مدى تخوف المستشرقين من وحدة المسلمين وتأثيرهم على العالم.وقد أشار كرومر بأن أوربا لن تسمح بوحدة المسلمين ، وستحول بكل قوتها دون تحقيق ذلك.حين قال : " إني واثق من قوة أوروبا واقتدارها عند الاقتضاء على تلافي هذه الحركة من الجهة المادية ، وإن تكن غير قادرة على ذلك من الوجهة الروحية " .[2]

وقد سعى المستشرقون من أجل تحقيق هذا الهدف إلى إسقاط الخلافة الإسلامية ، ومن ثم تمزيقها إلى دول متعددة ، يصعب توحدها واجتماعها على كلمة واحدة في محاولة : " تصوير الإسلام في صورة التجزئة والضعف والصراع بين المذاهب المختلفة ؛ وتجديد بعث الفرق القديمة؛ حتى لايلتئم جمع المسلمين ".[3]

هذه النصوص تثبت غرضهم الأساسي من عملية الاستشراق ، كما أنها لاتدل على سمو المقصد ، ولاعلى رغبتهم في إسعاد البشرية ، أو نشر العلم ، بقدر ماتدل على أنهم مغرضون ، وأن دراساتهم الأكاديمية هي للدس وتحقيق الأهداف .

٢ ـ الحد من انتشار الإسلام والحيلولة بينه وبين الشعوب الغربية ، ـ ذلك أن قدرة الإسلام الذاتية على الانتشار ؛ أثارت الخوف لدى المستشرقين من دخول الغرب في الدين الإسلامي ، إذا

---

[1] الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص ١٣٨ . وانظر التبشير والاستعمار ، ص ٣٧ .
[2] الإسلام في وجه التغريب ، ص ١٦٤ .
[3] المرجع السابق ، ص٢٩٩ .

قدم لهم بصورته الصحيحة ،وحتى لاتصل لهم صورة الإسلام المشرقة ، التي لايملك الإنسان أمامها إلا الإذعان والتسليم ٠ قاموا ببث سمومهم عن طريق كتابات تمتليء بالتشويه له والتنفير منه ٠ فصوروا الإسلام بأنه دين التخلف والرجعية والتعصب ، وأنه دين لايعرف من حرية الفكر شيئاً ؛ ولالحرية العقيدة معنى ٠ وأنه دين لم ينتشر إلا بحد السيف ، فيقوم على الأشلاء والدماء ٠ إلى غير ذلك من الافتراءات التي نفثتها أقلامهم الحاقدة ٠ ممايولد الكره والحقد على هذا الدين في نفوس الغربيين ، الذين تعرضوا إلى تضليل إعلامي ، فلايعرفوا عن الإسلام إلا مايبلغهم من المستشرقين ، ولايرونه إلا بمنظارهم ٠ وبذلك اعترفت المستشرقة الألمانية آن ماري سيميل بقولها: " إن الخطر الذي يتناقله الغرب كمسلمات يقينية غير قابلة للمناقشة ؛ هو بناء عدائي ضد الإسلام ، ترسبت في النفوس بفضل وسائل الإعلام ؛ وكتابات بعض المستشرقين المتعصبين ٠ ومنذ قرن ونصف والأدب الألماني مستمر في إنتاج كمية ضخمة لاحصرلها عن الأغاني التركية والعربية ٠ وعادات المسلمين هناك ، كوسيلة لتشويه الإسلام ، لدرجة أنها استقرت في الوعي الأوروبي ، الذي مازال يتشدق بها ، ويتشبث بها حتى الآن " ٠[1]

وليتمكنوا من تحقيق هذا الهدف ساهموا في إنتاج صراعات فكرية ومذهبية بين المسلمين ، حتى إذا ماانشغل المسلمون بهذه الصراعات عن الدعوة إلى الإسلام ٠

استغل هؤلاء المستشرقون هذه الصراعات والاندفاعات غير

[1] يوسف الكتاني ، الإسلام والغرب ،مقال بمجلة المنهل ، عدد ٥٥٠ ، صفر ١٤١٩هـ ،ص٢٠ ٠

المحسوبة ،وأظهروها على أنها الصورة الحقيقية للإسلام ظلماً وعدواناً ٠ واتخذوا من هذه الصراعات دليلاً على وهن وفساد الإسلام ، وعدم صلاحيته ٠وكان خطؤهم في ذلك " اعتبارهم أن المسلمين هم الإسلام ، فحكموا على الإسلام من خلال واقع المسلمين ٠ وفرق شاسع بين حال المسلمين وبين الإسلام ٠٠ ومن ثم فإن أخطاء المسلمين في التطبيق ، وبعدهم عن حقائق دينهم ، ينبغي ألا تحمل على الإسلام نفسه ، بل يبقى الإسلام في النهاية هو الحكم على سلامة التطبيق أو عدم سلامته "[1] وهذا التشويه المقصود منهم لصورة الإسلام ، في حد ذاته محاولة تهدف للحيلولة دون تقديمه في صورته وبحقائقه الثابتة التي جاء بها نبي الهدى إلى أهل الغرب ٠ لذلك كانوا يدسون الدسائس ، ويفتعلون الصراعات في المجتمع الإسلامي ، ومن ثم يقدمونها على أنها واقع الإسلام بكتاباتهم المشوهة ، وأحكامهم المزيفة التي بنوها على الحقد والتعصب ٠

هذا العمل يدل على أن دراساتهم وأبحاثهم التي تعطى في مجموعها صفة الدراسات العلمية والأبحاث الأكاديمية ، إنما هي دراسات للدس ،تسعى لتدمير الإسلام ؛ و تصويره في غير حقيقته للحد من انتشاره ؛ وإيقاف مداه ٠

٣ ـ التمهيد للاستعمار:

يعتبر الاستشراق الطريق الممهد الذي يسير عليه الاستعمار في طريقه إلى البلاد التي يحتلها لذا كان من أهم أهدافه تمهيد

[1] سعد الدين السيد صالح ، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، دار الأرقم للطباعة والنشر، الزقازيق ، ط٢ ، ١٤١٣هـ ،ص ١٠٦ ــ ١٠٧ ٠

الطريق لاستعمار العالم الإسلامي ٠

وقد ارتبط الاستشراق بالاستعمار ارتباطاً وثيقاً ، فقد استعان الاستعمار بالمستشرقين ، واستطاع أن يجند طائفة منهم لخدمة أغراضه ، وتحقيق أهدافه ؛ وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين ٠ لذلك " اتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ، ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها ، وإلى موطن الضعف فيغتنموه " ٠[1]

من هنا نجد أن دراسة المستشرقين إنما هي " لمعرفة عقلية المسلمين وأفكارهم ؛ واتجاههم ؛ وأسباب تفوقهم وقوتهم لضرب هذه القوة من جهة ،والاستفادة من علوم المسلمين من جهة ثانية ؛ والتمهيد للاستعمار من جهة ثالثة " ٠[2]

إذن اعتبر الاستعمار المستشرقين الدليل الذي يتعرف من خلاله على عادات الشعوب وأفكارها ولغاتها ، وإثارة الخلافات بينها ذلك أن " المعرفة بالأجناس المحكومة أو الشرقيين ؛ هي التي تجعل حكمهم سهلا ومجديا ٠ فالمعرفة تمنح القوة ، ومزيد من القوة يتطلب مزيدا من المعرفة " ٠ [3] وقد مهد المستشرقون الطريق لهذه المعرفة ٠

يقول المستشرق هانوتو : " وأفضل الطرق لتثبيت ولاية المستعمر الأوروبي على البلاد الإسلامية ، هو تشويه الدين الإسلامي ، وتصويره في نفوس معتقدية بإبراز الخلافات المذهبية ،

---

[1] محمود حمدي زقزوق ـ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ـ كتاب الأمة ، سلسلة فصلية تصدر في قطر ، ط١، ١٤٠٤هـ ، ص٤٨ ٠

[2] احذروا الأساليب الحديثة ، ص٩٩ ٠

[3] الاستشراق والخلفية الفكرية ، ص٤٨ ٠

مع شرح مبادىء الإسلام شرحا يشوهها ، وينحرف بها عن قيمها الأصلية ". [1]

من هنا ندرك مدى العلاقة بين الاستشراق والاستعمار ، وأنها علاقة تلازم . وأكبر دليل على ذلك هو أن الاستشراق "قد نشأ في الدول الكبيرة القوية ذات المطامع في التوسع في الأرض" . [2] كما أن عددا كبيرا من المستشرقين كانت لهم مناصب سياسية كبيرة في بلادهم ، وخاصة في وزارات الخارجية ، التي لها علاقات مع الدول المستعمرة ، بجانب أن عمل المستشرقين يحتاج في العادة إلى تكلفة مالية لايستطيع الأفراد التكفل بها . لذا فلابد من جهة تمولهم، وتمدهم بمايعينهم على عملهم .

كل ذلك يدل على الصلة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار " فالاستعمار يصحبه دائما استشراق ، والتوسع الاستعماري يصحبه دائما التوسع الاستشراقي ". [3]

٤ - **تفريخ دعاة التغريب** ، حيث أن للاستشراق دوره في تشكيل عقلية الدعاة بالطريقة التي يحبها ، وتتمشى مع الفكر الغربي الاستشراقي ،وتساهم في تحقيق مآربهم . وهؤلاء الدعاة " ولدوا في بلادنا هذه ولكن عقولهم وقلوبهم تربت في الغرب ونمت أعوادهم مائلة إليه ، فهم أبدا تبعا لماجاء به " . [4]

وقد أشار سارتر بأن هؤلاء الدعاة إنما هم صنع الصفوة الأوروبية من المستشرقين في قوله :

---

[1] احذروا الأساليب الحديثة ، ص ١٠٤ .
[2] تيارات فكرية ، ص ٢٩ .
[3] رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ٨ .
[4] محمد الغزالي ــ ظلام من الغرب ــ دار الاعتصام ، ط٣ ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٣ .

" شرعت الصفوة الأوربية تصنع فئة من السكان الأصليين ، أخذت تصطفي فتيانا مراهقين ، ترسم على جباههم بالحديد الأحمر مبادئ الثقافة الأوربية ، وتحشو أفواههم بشعارات رنانة ، ثم تردهم إلى ديارهم وقد زيفوا ٠ إن مثل هؤلاء أكاذيب حية لايملكون مايقولون لإخوتهم ، لأنهم يرجعون ماسمعوه " ٠ [١]

إذن فدعاة التغريب إنماهم نتاج المستشرقين ، قاموا بتشكيلهم كما يريدون ، ولقنوهم من المعارف والعلوم مايشاؤون والاستشراق هو الذي دفعهم إلى إلقاء أنفسهم في أحضان الولاء والتبعية الغربية؛ بعد إقناعهم بعجز المسلمين عن الدخول في الحضارة الحديثة ، وهذا ماكشفه " جيب " بقوله : " إن الطلاب الذين يدرسون في أوروبا والولايات المتحدة هم ضحايا هذا الاستشراق ، الذي يسود الجامعات هناك.وبما أن الاستشراق يعلمهم فيما يعلمهم ؛ أن العقل العربي يتميز بالدونية عند مقارنته بتفوق العقل الأوروبي ، وبسمات ثابتة ، جامدة ،متخلفة ، خالدة ، تتناقض مع الحضارة الحديثة ٠ فإن معنى هذا أن المثقف العربي ٠٠ يصبح مقتنعا بعجز العربي عن دخول الحضارة الحديثة واستيعابها " [٢]

من هنا نجد أن دعاة التغريب إنماهم صناعة المستشرقين ، **ليقوموا بعملهم داخل المجتمعات الإسلامية ، حيث نلاحظ أن كل** مايلقيه دعاة التغريب من أفكار ، إنماهي ترديد لمايزعمه المستشرقون ، حيث يتبنون أفكارهم ، ويدافعون عنها بكل إصرار ، ويتفننون في الدعوة إليها بكل وسيلة وطريقة ٠ ويشهد لذلك ماورد

---

[١] سعد جمعة ــ الله أو الدمار ــ المختار الإسلامي ، ط٣ ، ١٣٩٦ هــ ،ص ١٢١ ٠

[٢] الإسلام في وجه التغريب ، ص ١٣٢ ، ١٣٣

في أثناء البحث من أن معظم دعاة التغريب في الوطـن الإسـلامي ؛ قد ابتعثـوا إلـى دول شـتى فـي الغـرب الأوربـي ، وعـادوا بعقـول مشوشـة ، يخلطـون بيـن الحـق والبـاطل ، ويـهتفون بمـالايعرفون، فأصبحوا أبواقا للغرب في بلاد المسلمين [1]

ب ـ للدرس

يهدف بعض المستشرقين في دراستهم لعلوم الشرق إلى أهـداف علمية خالصة ، تقوم على البحـث وإظـهار الحقـائق ، حيـث جـاءت أبحاثهم أقـرب إلـى الحـق وإلـى المنـهج العلمـي السـليم مـن أبحـاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين • ويعتبر هؤلاء قلة ، لايكاد عددهم يذكر بجانب المتعصبين منهم •

ويعرفهم د / عبدالله الطرازي بأنـهم : " القلـة •• الذيـن يميلون إلى خدمة العلم والتاريخ والحق ، ولايتعصبون للدين • فـهم الذين اعترفوا بالإسـلام بعـد أن بحثـوا بحثـا دقيقـا فـي تعاليمـه •• وفهموا رأي الإسلام •• بقدر مأوتوا به من العلـم والفـهم ، فأيدتـها عقولهم ، واستساغتها أفكارهم •• ذلك لأن الحق كلما بحث حوله ، وحقق تحقيقا في شـئونه ، يـزداد ظـهورا أمـام البـاحثين ، وتتجلـى حقيقته عند المحققين وفي النتيجة يجلب عقولـهم نحـو الشـهادة لـه ، ويجبر ضمائرهم لتقديره وإجلاله ".[2]

إذن لو أن أي باحث نظر في الإسـلام بنظـر خـال مـن التعصـب والـهوى ؛ لماوسعه إلا أن يعتنقـه ، أو يشـيد بـه ، وقـد حـدث ذلـك

---

[1] انظر تراجم هؤلاء في الصفحات : ٨ ، ١٠٦ ، ١٤١ ، ٤٧ ، ٤٨ •

[2] عبدالله بشر الطرازي ـ نبي الإسلام في مرآة بعض المستشرقين المنصفين ـ بحث مقـدم ضمـن البحوث المقدمة للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين ، التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الـهند وقد جمعت البحوث تحت عنوان الإسلام والمستشرقون ، عالم المعرفة للنشر ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٩٩ •

لبعض المستشرقين . فممن أشاد بالإسلام " تولستوى " في قوله : " لاريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين .. ويكفيه فخرا. أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق.. وأنه فتح طريق الرقي والتقدم ، وهذا عمل عظيم لايفوز به إلا شخص أولي قوة وحكمة وعلم ، ورجل مثله جدير بالإحترام و الإجلال " . [1]

كما أشاد كارليل * بالنبي ﷺ في كتابه الأبطال بقوله:" لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر ؛ أن يصغي إلى مايظن. من أن دين الإسلام كذب ؛ وأن محمدا خداع مزور ، وآن لنا أن نحارب مايشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ؛ مازالت السراج المنير " . [2]

فهذه النصوص تدل على التجرد والانصاف والاعتدال ،ولكن لابد من التنبه لهؤلاء الكتاب ، ذلك أن بعضهم رغم مايدعيه من الموضوعية في البحث ؛ والتجرد من العصبية ؛ إلا إن كتاباته تحمل الصورة المشوهة والشبهات الباطلة . حتى كارليل هذا فإن كتاباته المتعددة "التي تتسم بالإنصاف والاتزان تحمل في طياتها الشبه والنظريات الفاسدة الباطلة ، فهو هجوم في صورة مسالمة ، وتعصب في ثوب إنصاف ". [3]

وهناك أيضا " أرنولدتوينبي " وهو " إنجليزي له أخطاء فيما

---

[1] أساليب الغزو الفكري ، ص٢٩ .

[2] توماس كارليل ــ الأبطال ، دار الكاتب العربي ، ترجمة محمد السباعي ، ص ٥٨ .

[3] د/محمد المالكي ــ الستشرقون بين الإنصاف والعصبية ، بحث ضمن البحوث المقدمة للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين ، ص١٧٤ .

* توماس كارليل (١٧٩٥ م ــ ١٨٨١ م) ، آثاره الأبطال ١٨٤٠م.وقد عقد فيه فصلا عن النبي ﷺ، والثورة الفرنسية . انظر (المستشرقون ، ٢ : ٥٣) .

كتب عن الإسلام والرسول في كتابه العالمي دراسة في التاريخ ، وخطؤه هنا شديد الخطورة لأن الكتاب يعتبر أحسن دراسة موضوعية للتاريخ في العصر الحديث في نظر كثيرمن الناس ، وخاصة الشرقيين والعرب منهم بوجه أخص ".[1]

وكذلك المستشرق " غوستاف لوبون " الذي وصف بالإنصاف للإسلام وأن كتابه حضارة العرب كان: "أعظم كتاب ألفه الغربيون في إنصاف الإسلام وحضارته " [2].

نجد أن الواقع الذي أثبته د/أحمد غراب يخالف ذلك ، إذ أثبت أن له أهداف تلتقي كلها حول عدم إنصاف الإسلام ، وأهمها إنكاره أن الإسلام رسالة عالمية ، وإنكار أن العامل الأول في قيام الحضارة الإسلامية ، وتأثيرها في العالم ؛ هو الإسلام نفسه ،

والزعم بأن العامل الأول في قيامها وتأثيرها هو عامل العرق أو الجنس ، وتشجيع النزعة القومية عند العرب ، وهدم ماتبقى من وحدة الأمة الإسلامية كما وضح موقف هذا المستشرق من القرآن الكريم والرسول ﷺ القائم على التشويه والافتراءات الساقطة."[3]

وبعد هذا أيوصف هذا المستشرق بالإنصاف والاعتدال ؟! من هنا يتضح لنا صعوبة التجرد التام لدى المستشرقين من أهوائهم ، حتى وإن حاولوا التحرر من التعصب والهوى باسم البحث العلمي ،

يقول الأستاذ " نورمان دانيل " :

"على رغم المحاولات الجدية المخلصة ؛ التي بذلها بعض

---

[1] محمد البهي ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، دار الفكر ، ط٦ ، ١٩٧٣م ، ص٥٣٩ ،

[2] مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ ، ص ٦١ ،

[3] انظر رؤية إسلامية للاستشراق بتصرف واختصار ، ص ١٢٧ ــ ١٣٨ ،

الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين من الإسلام ، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا منها تجردا تاما • كما يتوهمون • وهؤلاء المستشرقون الذين ادركوا هذه اليقظة الفكرية كلها ؛ يعترفون بالانحراف العلمي الظاهر ، الذي وقع فيه كثير من زملائهم ومغالطاتهم السافرة ، إلا أن بعضهم يصرح بالإنكار عليهم في جرأة ووضوح ، وبعضهم يحاول الاعتذار عنهم بقدر الإمكان ، لأن ساحتهم في الحقيقة واحدة "•[1]

من هنا فالواجب علينا أخذ الحيطة والحذر ، حتى في كتابات من وصف بالاعتدال والاتزان ، لأنهم قد تخلوا عن أسلوبهم في الهجوم السافر والتشويه الصريح ، واتخذوا أسلوبا يعتمد على مدح الإسلام والرسول ﷺ ، ثم يتعمدون التركيز على الخلافات والفتن والفرق الدينية ، التي تثير الشكوك ، فينفذ سهمهم لعدم الحذر منهم بسبب وصفهم بالإنصاف والاعتدال والبحث العلمي وغيرها من الشعارات التي قد ينخدع بها البعض •

الاستشراق اليهودي :

اهتم اليهود بالاستشراق كوسيلة لتحقيق أهدافهم الرامية إلى تقويض المجتمعات الإسلامية والسيطرة عليها ، وذلك بالقضاء على الوحدة الإسلامية وتمزيقها فكريا وجغرافيا فقد " ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة ، ليكيدوا للإسلام والمسلمين • وقد وجدوا في مجال الاستشراق بابا ينفثون منه سمومهم ضد الإسلام والمسلمين • فدخلوا في هذا المجال مستخفين تحت رداء

---

[1] المستشرقون بين الإنصاف والعصبية ، ص ١٦٨ •

العلم ". [1]

ويرى الأستاذ البهي :

" أن هؤلاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية . وهي محاولة إضعاف الإسلام ؛ والتشكيك في قيمته بإثبات فضل اليهودية على الإسلام ؛ بادعاء أن اليهودية في نظرهم ؛ هي مصدر الإسلام الأول . ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولا ثم دولة ثانيا ". [2]

ويتابعه د /أحمد سمايلوفيتش بقوله :"وليس أدل على خطورة الاتجاه العقدي للاستشراق من بروزه لدى المستشرقين اليهود ، الذين يركزون كل جهودهم-سوى عدد قليل منهم-على هذه الناحية - العقدية-.. ، لرغبتهم في تحطيم الإسلام ومساعدتهم للصهيونية هذه الظاهرة تبدو بارزة تماما ، وخاصة في البحوث التي تتناول الإسلام والمسلمين عامة والعرب خاصة " . [3]

من هنا يظهر أن هؤلاء الصهاينة قد اتخذوا من الاستشراق وسيلة هامة للوصول إلى أهدافهم في تحقيق التشكيك في العقيدة الإسلامية وبنائها على الديانة اليهودية .

يقول اليهودي برنارد لويس * : " من الواضح أن النبي كان واقعا تحت التأثيرات اليهودية والنصرانية ، وأن أفكار التوحيد والوحدانية بالذات والوحي وكثيرا من العناصر الإنجيلية الموجودة

---

[1] الاستشراق والخلفية الفكرية ، ص ٥٠ .

[2] الفكر الإسلامي الحديث ، ص ٥٣٤ .

[3] أحمد سمايلوفيتش ـ فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر .ص٩٤ .

* برنارد لويس ، ولد في لندن عام ١٩١٦م ، أستاذ الدراسات الخاصةبالشرق الأدنى في جامعة برنستون . حصل على الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية بالقدس عام ١٩٧٤م . من آثاره أصول الإسماعيلية ، العرب في التاريخ ، الإسلام في التاريخ، العرب وإسرائل وفلسطين .. وغيرها كثير . أنظر (المستشرقون ، ٢ : ١٤٣ ـ ١٤٥) .

في القرآن تثبت ذلك ". [1]

كمايقول جولد تسهير في ذلك :

" فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية ، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها ، التي تأثربها تأثرا عميقا " . [2]

كما يهدف اليهود من خلال هذه الوسيلة لمعرفة المسلمين معرفة أدق ، ليتمكنوا من مواجهتهم .

يصرح جبرائيل باير بأن :

"بعض الإسرائيلين يتابعون دراساتهم للغة العربية والثقافة العربية ، ليعرفوا العدو معرفة أدق ". [3]

كما أن ظاهرة الاستشراق اليهودي .

" تعني أن اليهود يصرون على تسليح أنفسهم بفهم واضح للعرب من خلال أدبهم وثقافتهم وفكرهم . وذلك قبل مواجهتهم في الميادين العسكرية أو الاقتصادية ... إلخ ". [4]

بهذا تظهر أهمية الاستشراق في تحقيق أهداف الصهيونية ، وخاصة تلك المحاولات التي : " ترمي إلى تزييف التاريخ الإسلامي والعربي القديم ، وذلك بالسيطرة على دوائر المعارف العالمية". [5] بالإضافة إلى محاولاتهم في تحريف الكتب الدينية والتاريخية ، عمدوا إلى القرآن الكريم محاولين تحريفه فقد : "طبعت في عامي ١٣٨٠هـ و ١٣٨٨ هـ نسخا مزورة من

---

[1] عبداللطيف الطيباوي ـ المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ترجمة قاسم السامرائي ، ١٤١١هـ ، ص٩٩ .

[2] العقيدة والشريعة ، ص ١٢ .

[3] فلسفة الاستشراق ، ص ١٥٢ ، هـ ١ .

[4] المرجع السابق ص ١٥٢ .

[5] الإسلام في وجه التغريب ، ص ٣٢٨ .

المصحف الشريف ، أسقطت منها بعض الألفاظ ؛ أو بعض الآيات ؛ وأحيانا سورة بحذافيرها ؛ أو تناولت بعض الألفاظ بالتحريف ".[1]

وتظهر خطورة هذا الاتجاه في السنوات الأخيرة بسبب سيطرة الصهيونية على مؤتمرات الاستشراق ، وفرض آرائها . وقد أشار أحد الباحثين في المؤتمر الذي عقد في كمبردج عام ١٩٥٥م إلى هذه الظاهرة الخطيرة.فقال : " إن الاستشراق أخذ ينحط ، فقد انبث فيه يهود مغرضون ، .. جاءوا لبث الدعاية الرخيصة ، وقد كثر الأعضاء اليهود الذين ..يحملون في قلوبهم التعصب الإسرائيلي المنافي لأخلاق العلماء ".[2]

من هنا يتضح أن الصهيونية جندت الاستشراق لخدمة أهدافها ، فعن طريقه يتم تمزيق الوحدة الإسلامية ، ومن ثم السيطرة على فلسطين كخطوة أولى للسيطرة العالمية .

---

[1] أساليب الغزو الفكري ، ص١٧٥ .

[2] الإسلام في وجه التغريب ، ص ٣٢٤ .

وسائل الاستشراق

اهتم الاستشراق بأن يظهر في صورة البحث العلمي ، وأدعى لبحثه الموضوعية والطابع العلمي الأكاديمي ،لذا اعتمد في وسائله على الجوانب العلمية ٠ **ومن هذه الوسائل :**

١ ـ التأليف :

يعد التأليف من أهم الوسائل التي اعتمد عليها المستشرقون في نشر أفكارهم ؛ وبث معتقداتهم خدمة للأهداف التي يسعون لتحقيقها

ولاننكر أن جهود البعض منهم ؛ وإسهاماتهم العلمية ـ رغم أهدافهم ـ ساهمت في إخراج المعاجم والموسوعات القيمة ، وتأليف الكتب العلمية العديدة ، التي استفاد منها المسلمون ٠

من ذلك : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٠ الذي أخرجه جماعة من المستشرقين بإشراف ونسنك * ويحتوي على الكتب الستة المشهورة [١]، وموطأ مالك ** ، ومسند الإمام أحمد *** ومسند الدارمي **** وقد وضع في سبعة مجلدات ٠ ومنها

---

[١] وهي صحيحي البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ٠

* ونسنك ، أ ٠ ج ٠ (١٨٨٢ ــ ١٩٣٩م) ، اتقن اللغات السامية ، تخصص في أديان الشرق ، عني بالحديث ،وسعى إلى وضع المعجم من أمهات مصنفاته ، فانضم إليه لفيف من المستشرقين ، تولى تحرير دائرة المعارف الإسلامية ، له عدة آثار منها موقف الرسول من يهود المدينة ،محمد **واليهود وغيرها ، انظر (المستشرقون ، ٢ : ٣١٩ ـ ٣٢٠) ٠**

** **الإمام مالك بن أنس بن مالك المدني ،شيخ الإسلام ، حجة الأمة ،إمام دار الهجرة ، ولد سنة** ثلاثة وتسعين ،طلب العلم وهو حدث ، تأهل للفتيا وله إحدى وعشرون سنة ، توفى سنة تسعة وسبعين ومئة ٠ انظر سير أعلام النبلاء ، (٨ : ٤٨) ٠

*** أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني البغدادي ، أحد الأئمة الأعلام ، شيخ الإسلام ولد سنة أربعة وستين ومئة ، طلب العلم ،بلغ عدد شيوخه مئتين وثمانين ونيف ، جمع المعرفة بالحديث والفقه والورع والزهد ، ابتلى بمحنة خلق القرآن فصبر ٠ مات سنة إحدى وأربعين ومئتين ٠ انظر سير أعلام النبلاء ، (١١ : ١٧٧)٠

**** عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي السمرقندي ، الحافظ الإمام ، أحد الأئمة الأعلام ٠ جمع العلم والفضل من الحفاظ المتقنين ، أظهر السنة ، ودعا إليها ، صنف المسند والتفسير والجامع ٠ ولد سنة إحدى وثمانين ومئة ، مات في سنة خمس وخمسين ومئتين ٠ وهو ابن خمس وسبعين سنة ٠ انظر سير أعلام النبلاء ، (١٢ : ٢٢٤) ٠

مفتاح كنوز السنة لونسنك أيضا ، قام بنشره للعربية أ/ محمد فؤاد عبدالباقي • ولقد ألفهما المستشرقون لتسهيل الرجوع للأحاديث النبوية لخدمة أغراضهم ؛ لالخدمة الإسلام • كذلك كانت لهم جهودهم في تحقيق المخطوطات وحفظها وفهرستها والعناية بها •

ولكن هذه الجهود كانت مسخرة لتحقيق أهدافهم الخبيثة ضد الإسلام ، مما أدى إلى امتلاء هذه الكتب بالمطاعن والافتراءات، التي تعبرعن روح التعصب لدى المستشرقين، وبينت افتقادهم للقواعد العلمية ، التي يقوم عليها البحث ، وخاصة أثناء تأليفهم عن المواضيع التي تتعلق بالإسلام •

ومن أهم هذه المؤلفات وأعظمها خطرا دائرة المعارف الإسلامية ، لماتحمله من سموم فكرية ؛ وشبهات باطلة ضد الإسلام• وقد صدرت هذه الدائرة بلغات عدة كالإنجليزية ، والألمانية ، والفرنسية • ثم ترجمت إلى العديد من اللغات الحية كاللغةالعربية والفارسية • وقد عظم أمرها حينما أصبحت هذه الدائرة مرجعا للكثيرين من الباحثين على مافيها من بطلان وتزييف ؛ يهدف إلى تشويه الإسلام • ومن هذه السموم التي تمتلىء بها هذه الدائرة ماجاء في مادة " زينب بنتجحش " من اتهام النبي ﷺ بالشهوانية والهوى تقول الكاتبة:" وفي الرابع من الهجرة رأى النبي - ﷺ - **زينبا - رضي الله عنها - وكان قد استدعى زيدا - رضي الله عنه - إلى بيته ،فأعجب بها وأحبها ، وطلقها زيد - رضي الله عنه - ليتزوج منها النبي - ﷺ - وقد نزل الوحي بمابدد شكوك النبي - ﷺ -** •• وقد حاول المحدثون من كتاب السير المسلمين ،

والمفسرون إظهار هذا الحادث في ثوب لائق ". [1]

ومنها ماجاء في مادة السحر عن العلاقة بينه وبين الدين يقول كاتب المادة :

"إذا عرضنا لتلك المسألة المختلف عليها من مسائل الأدب الشعبي ، ألاوهي العلاقة بين السحر والدين ،نجد أن حكم الإسلام في ذلك يتفق وقول ماريت : الدين والسحر صورتان لظاهرة اجتماعية أصلهما واحد ولاينفصمان". [2]

كماتمتليء هذه الدائرة بمايقدح في القرآن الكريم والسنة النبوية ،كالقول بوجود التناقض في القرآن والتشكيك فيه ، والتقليل من أهمية السنة النبوية ، والزعم أنها من وضع المحدثين ، الذين نسبوها إلى النبي ﷺ وغيرها من الافتراءات ؛ التي تهدف إلى فقد الثقة فيهما عند المسلم . في الوقت الذي يصورله أن المدنية والتقدم والحضارة في كل ماهو غربي ،ممايؤدي إلى وقوع المسلم في التقليد الأعمى للغرب . وهو المراد .

مثل هذه الأكاذيب وغيرها كثير مما تنضح به دائرة المعارف ، لذا توجهت جهود بعض أبناء المسلمين إلى دراسة وتمحيص هذه الدائرة ، وبيان زيفها ؛ وكشف شبهاتها . ومن هذه الجهود المشكورة رسالة علمية ؛ تقدم بها أ/خالد بن عبدالله القاسم لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى ، وتحمل عنوان (العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية عرض ونقد) وقد أشارت الرسالة إلى الافتراءات الباطلة المتعلقة بالناحية العقدية ؛ مع الرد

[1] دائرة المعارف الإسلامية ، (١١ : ٢٨ ــ ٢٩) فكا .
[2] دائرة المعارف الإسلامية ، (١١ : ٣٠٣) ماكدونالد .

عليها ردا علميا معتمدا على الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم ، وذلك في أبواب التوحيد والنبوة والمغيبات ٠

وهناك أيضا رسالة أخرى ؛ تقدم بها أ / حميد خالد الحميد لنيل درجة الدكتوراة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وهي بعنوان (الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الإسلامية دراسة تحليلية نقدية) ٠ بالإضافة إلى هذه الدائرة نجد المؤلفات العديدة لكل مستشرق ، إذ قلما نجد مستشرقا إلا وله العديد من المؤلفات ، التي تخدم أهدافه ٠ حتى قيل : "إنه بلغ مجموع ما ألفوه عن الشرق حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاب "٠ [1]

ومن الكتب التي تطعن في الإسلام وتشوه صورته " كتاب حياة محمد للسير وليم مور * ، والإسلام للفرد جيوم ** ، مصادر الإسلام لتسدل "٠ [2]

وهكذا نلحظ اهتمام المستشرقين بمجال التأليف ، وذلك لمايعطيه من ثمار تتمثل في تشويه الإسلام والتنفير منه ، وخلخلة إيمان المسلم وتشكيكه في الثوابت التي يركن إليها من كتا ب الله وسنة نبيه ﷺ .

٢ ـ إصدار المجلات :

حرص الاستشراق على إصدار مجلات خاصة به ، تسهم في تحقيق أهدافه منها :

---

[1] الموسوعة الميسرة للأديان ، ص ٣٨ ٠

[2] احذروا الأساليب الحديثة ، ص ١٠٩ ، وانظر عن بعض المستشرقين المتعصبين ومؤلفاتهم الموسوعة الميسرة للأديان ،ص ٣٥ ــ ٣٦ ٠

* السير وليم مور : اسكتلند ي، ولد عام ١٨١٩م ، له عدة آثار منها : سيرة النبي ﷺ والتاريخ الإسلامي ، حوليات الخلافة ، له عدة مقالات عن شعراء العرب ٠ انظر (المستشرقون ، ٢ : ٥٩)٠

** الفرد جيوم : ولد عام ١٨٨٨م ،تخرج من جامعة أكسفورد ، عمل في فرنسا ومصر، له عدة آثار منها : تراث الإسلام ، أثر اليهودية في الإسلام ، اليهود والعرب ، توفي عام ١٩٦٢م ٠ انظر (المستشرقون ، ٢ :١١٧) ٠

- مجلة ينـابيع الشـرق ، أصدرهـا هامربرجشـتال * في فيينا من ١٨٠٩-١٨١٨م ٠
- مجلة الإسلام في باريس عام ١٨٩٥م ، ثم خلفتـها عام ١٩٠٦م مجلة العالم الإسلامي ٠ وقد تحولـت بعـد ذلـك إلى مجلة الدراسات الإسلامية ٠
- مجلة الإسلام الألمانية ، عام ١٩١٠م ٠
- مجلة العالم الإسلامي التي اصدرها زويمـر ، عام ١٩١١م في بريطانيا ، ويغلب عليها الطابع التنصـيري السافر ٠
- مجلـة شـئون الشـرق الأوسـط ٠ ومجلـة الشـرق الأو سط : وطابعها طابع الاستشراق السياسي ٠
- مجلة الجمعية الآسيوية الملكيـة فـي لنـدن ، والتـي تصدر من قبل جمعية تشجيع الدراسات الشرقية ٠ [١]

٣ ـ الجمعيات

استفاد المستشرقون من الجمعيـات اسـتفادة عظيمـة ، حيث قاموا فيها بإلقاء المحاضرات العلمية ، التـي سـاهمت فـي نشـر أفكارهم ومبادئهم ومن أهمها :

- الجمعية الأسيوية الفرنسـية : تأسسـت فـي بـاريس

---

[١] انظر الموسوعة الميسرة للأديان ،ص ٣٩ ٠ الفكر الإسلامي الحديث ، ص ٥٣٦ ٠ الغزو الثقـافي للأمة الإسلامية ،ص ١٠٠ ٠

* هامر برجشتال : مستشرق نمساوي ، ولد في جراتس عام ١٧٧٤م، تعلم بعض اللغات الشـرقية ٠ له عدة مؤلفات ؛ زادت على مائة مجلد في ميدان التاريخ السياسي والتحقيقات والترجمـات ، ونظـم الأشعار ، توفي عام ١٨٥٦م في فيينا ٠ انظر موسوعة المستشرقين ، ص ٤٢٥ ٠

عـام ١٨٢٢م ٠ ومـن أهـم أهدافـها تـأليف الكتـب اللغويـة ، والحصول علـى المخطوطـات وترجمتـها ، وجمـع الحقـائق عن الشرق ٠

- الجمعية الآسيوية الملكية البريطانيـة أنشئت عـام ١٨٢٣م فـي لنـدن وتضـم لجنـة للمراسـلة مهمتـها جمـع المعلومات والتحقيقات والبحوث المتعلقة بالشرق ٠
- الجمعية الشرقية الأميريكية : أنشئت سنة ١٨٤٢م ومن أهم أهدافها دراسـة اللغـات الأفريقيـة والآسـيوية وكـل مايتعلق بالشرق ٠
- معـهد الشـرق الأوسـط ، ولـه صبغـة اسـتراتيجية وأمنية واضحة ومعلنة ، وليس مجرد دراسات أكاديمية ٠
- رابطة الدراسات الشرق أوسطية ٠ [١]

٤ ـ عقد المؤتمرات :

أهتم المستشرقون بعقد المؤتمرات الخاصة بهم لمحاربة الإسلام ٠ وكان أول مؤتمر لهم عام ١٨٧٣م عقد في باريس ، وتتابعت مؤتمراتهم بعد ذلك مرة كل سنتين أو ثلاث سنوات أو أربع ٠ وتضم هذه المؤتمرات مئات العلماء من أعلام المستشرقين ٠ فمثلاً في مؤتمر أكسفورد اجتمع ٩٠٠ عالم يمثلون ٢٥ دولة و٨٥ جامعة و ٦٩ جمعية علمية ٠ ومازالت هذه المؤتمرات تعقد حتى الآن ، هذا عدا الندوات واللقاءات الخاصة بكل دولة من الدول مثل مؤتمر المستشرقين الألمان ، الذي عقد في مدينة درسدن بألمانيا عام ١٨٤٩م ٠ ومؤتمر المستشرقين السوفيت (لييننجراد ١٩٣٥ ـ

[١] انظر رؤية إسلامية للإستشراق ، ص ٤٤ ــ ٤٦ باختصار ٠

١٩٣٧م) ، ومؤتمر القانون المقارن (باريس ١٩٥١م) إلى غيرها من المؤتمرات ٠ [1]

من كل ماسبق يظهر أن الوسائل التي استخدمها الاستشراق كلها تدور حول الكتابة والتأليف والبحوث والندوات لتتسق مع ادعائهم بأن غرضهم البحث العلمي الأكاديمي ٠

[1] انظر (المستشرقون ، ٣ : ٣٦٥ ـ ٣٧٠) ، الموسوعة الميسرة في الإديان ، ص ٣٨ ٠

ثانيا : التنصير

تمهيد :

لقد درج عدد كبير من الكتاب على استخدام مصطلح التبشير عوضا عن التنصير ، حتى شاع وانتشر .

ومصطلح التبشير يحمل معنى البشارة والفرح . يقال :" بشر بالخير فرح به ، وتبشر : فرح وتهلل ، والبشارة : الخبر السار لايعلمه المخبر به ، والبشرى : مايبشر به " . [1]

وباستقراء واقع التنصير نجد أن كلمة التبشير بمفهومها تجافي الحقيقة والواقع ، إذ أن نشاطه يستهدف تحويل المسلمين عن عقيدتهم باستغلال ظروفهم السيئة كالفقر والجوع والمرض والجهل . وهذه الطريقة فيها من الجبر مايتنافي مع معنى البشارة .

فواقع النصرانية لايحوي معنى البشارة ؛ بقدر مايحوي معنى التنصير .

لذا فإن مصطلح التنصير أولى من حيث مطابقة الخبر والواقع لهذا المصطلح . كذلك فإن " تعبير التبشير أطلق على حركة نشر النصرانية قبل الإسلام ، على اعتبار أن دعاة المسيحية كانوا يحملون للشعوب الوثنية بشارة الإنجيل ، وقد انتهى دور هذه البشارة . .بمبعث رسول الله ﷺ وظهور الإسلام ، فأصبحت الرسالة المحمدية منذئذ هي البشرى للناس أجمعين" . [2]

---

[1] المعجم الوسيط ، (١ : ٥٧ ــ ٥٨)

[2] ممدوح حسين ــ مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ، دار عمار ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، ص ٦ .

كما أن استخدام مصطلح التبشير إقرار به ، وتمكين لاستخدام اللفظ ،وقد كان نشاطه يسمى " عند المسلمين تنصير ، وأصحابه نصارى ٠ ولم يتخل المسلمون عن هذه المصطلحات إلا في العصر الحديث ، عندما داهمت الأمة غزوات استعمارية وفكرية ، أشيعت مصطلحاتها بين المسلمين" [1] وعلى هذا فالأصل هو التنصير، ولذا فإذا ورد في النقل لفظ التبشير يترك كما هو ، وإن كان يقصد منه التنصير حقيقة ٠

مفهوم التنصير :

ذكر الباحثون للتنصير عدة مفاهيم حسب المنظور الشخصي لكل منهم فقد عرفته الموسوعة الميسرة بأنه :

"حركة دينية سياسية استعمارية ،بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية " ٠ [2]

أما الموسوعة العربية العالمية فترى أنه :

"مصطلح يقصد به قيام مجموعة من النصارى بنشر النصرانية بين الناس في جميع أنحاء العالم بطريقة تنظيمية ؛ وبوسائل عدة ، حتى يعتنقها الكثيرون ، ويرغبوا عن دينهم الأصلي "٠ [3]

ويعرفه د / سعد الدين الصالح بأنه :

" الدعوة إلى النصرانية ، ومحاولة دفع الناس إلى الدخول

---

[1] علي النملة ــ التنصير في الأدبيات العربية ــ أشرفت على طباعته ونشره إدارة الثقافة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٥هــ ، ص ٢٤ ٠

[2] الموسوعة الميسرة في الأديان ،ص ١٥٩ ٠

[3] الموسوعة العربية العالمية،(٧ : ٢٤١) ٠

فيها بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة ".[1] -

ويرى الأستاذ منصور الخريجي أنه :

" قيام الغرب المسيحي بدس أفراد ، وتأسيس جمعيات ؛ يكون غرضها الدعوة إلى النصرانية المسيحية بين المسلمين وفي سائر أنحاء العالم ؛ والعمل على انتزاع العقيدة الصحيحة من قلوب المسلمين ؛ ومن ثم صبغ المجتمع بصبغة غربية بحتة في المعتقد والفكر والأخلاق ".[2]

يتضح من خلال هذه التعاريف أنها تجمع على أن التنصير :هو دفع الناس إلى الدخول في النصرانية .

أهداف التنصير

يهدف التنصير من خلال الحملات التي يقوم بها إلى عدة أهداف يسعى لتحقيقها منها :

١ ـ تفتيت الوحدة الإسلامية :

يعتبر المنصرون الوحدة الإسلامية الخطر الذي يحدق بهم، و العائق الذي يمنعهم من نشر النصرانية . لذا عمدوا إلى تفتيت هذه الوحدة بكل وسيلة استطاعوها ؛ مع تكثيف الجهود لنشر النصرانية في البلاد الإسلامية .

يقول القس سيمون *:" إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية ، وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية . والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة .

---

[1] احذروا الأساليب الحديثة ، ص ٤١ .

[2] الغزو الثقافي للأمة الأسلامية ، ص ٦٨ .

* سيمون أو كلي ولد في اكسترا عام ١٦٧٨م درس العربية ، عين راعيا لسوافسي ؛ ثم رئيسا لقساوستها . له عدة آثار ، منها : تاريخ اليهود المعاصرين في جميع أنحاء العالم ، تاريخ الإسلام ، مات معلولا في صحته عام ١٧٢٠م . انظر : (المستشرقون ، ٢ : ٤٦) .

من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية " . [1]

وكتب " أورسبي جو " وهو وزير سابق للمستعمرات وثيقة قال فيها : " إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية - يقصد إنجلترا - أن تحذره وتحاربه ...

إن سياستنا تهدف دائما وأبدا إلى منع الوحدة الإسلامية ؛ أو التضامن الإسلامي ، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك ". [2]

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف عمل التنصير على تشجيع القوميات القديمة في كل بلد ، وإثارة النعرات التي قضى الإسلام عليها .

يقول الأستاذ أنور الجندي في حديثه عن أهداف التنصير أن منها : " القضاء على .. فكرة الوحدة الإسلامية ، وذلك بخلق تيار قوي من الإقليميات ؛ وإقامتها على أساس التاريخ القديم ، والحيلولة دون قيام الوحدة العربية؛بحسبانها عاملا هاما من عوامل قيام الرابطة الإسلامية "[3]

في هذا النص تأكيد على أهمية الروابط التاريخية. وهذا خطأ مقصود يراد به زرع أول بذرة من بذور التفرقة بين المسلمين ، وينتج عن ذلك تفتيت الوحدة الإسلامية .

والحقيقة أنه لاالواقع ولاالتاريخ يثبت وجود وحدة قائمة

---

[1] قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام ، ص ٥٤ .

[2] عبدالودود شلبي ، حقائق ووثائق دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ـ الدمام ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

[3] الإسلام في وجه التغريب ، ص ٢٥٥ .

علـى أسـاس اللغـة أو الأرض أو العـادات ، وإنمـا قـامت باسـم الدين ٠ فلا رابطة بين المسلمين في القديم و الحديـث إلا رابطـة الدين الحق ٠

وماقولـهم هـذا إلا ليتم فصـل الـدول المـراد تنصيرهـا عـن غيرها من دول العالم الإسلامي ، فيفتك بها التنصير ٠

ويتحدث د / ممدوح حسين عن هذا الهدف بقوله :

" واتبعت - أي حركة التنصير - فـي هجومـها هـذا أسـاليب مختلفة ،مثل سياسة فرق تسد لحل عـرى التماسـك والـترابط ؛ ٠٠ ونفـخ روح الخـلاف والشـحناء ٠٠ أو قطـع الروابـط بيـن قطر ومصـادر رفـده بدمـاء جديـدة متواصلـة ، تبعـث فيـه روح التجديد والتطوير والابتكار ليتقوقع علـى نفسـه ٠٠ فيسـقط فـي هوة الجمـود والتخلـف ٠٠ وبالتـالي يصبـح فريسـة سـهلة لـهذه الحركة ،فلايجد أبناؤه أمامهم إلا ماتقدمه هي لهم من دين وفكر وثقافة وحضارة "٠ [1]

بهذا تكون حركة التنصير قـد حققـت الـهدف الأعظـم لـها ، وهو تحويل المسلمين عن دينهم ٠

لذا كان تفتيت الوحدة الأسـلامية مـن أهـم مـاحرصت علـى تنفيذه ٠

٢ - الحيلولة دون انتشار الإسلام :

إن قدرة الإسلام علـى التوسـع والإخضـاع كـانت سـببا فـي زرع الخوف منه ٠ والخوف على الشعوب النصرانية أن تعتنقه ، وأن تذوب ديانتها في الإسلام ، فتفقـد وجودهـا وهويتـها ، لـذا

---

[1] مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ، ص ٧١ ٠

عمل المنصرون وبكل جهدهم في تحقيق هذا الهدف ، واتخذوا لذلك عدة أساليب منها :تشويه صورة الإسلام ؛ وإظهاره بمظهر منفر يمنع من انتشاره ٠ من ذلك قول المنصر كولي : " برز في الشرق عدو جديد قام على أشد أنواع التعصب لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ٠ وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ، ويسمح لأتباعه بالفجور والسلب ، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات ٠ ولكن انظر هاهي النصرانية تضع بسيف شارل * سدا في وجه سير الإسلام المنتصر " ٠ [١]

ومن ضمن الاتهامات الموجهة للإسلام زعمهم بأن :"تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح"٠ [٢]

ومن ذلك وصف الإسلام بالإرهاب أو الأصولية الإسلامية ،حتى أصبحت هذه المفردات كلمات ذات مدلول واحد ٠ وحتى يومنا هذا يحمل الإسلام تبعات كل مايحدث من جرائم وتفجيرات ٠ فعندما تم تفجير السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا ، نسب الأمر إلى المسلمين ، ممالجعل الرئيس الأمريكي بيل كلينتون ينتهز الفرصة ، ليضرب دولتين مسلمتين لم يثبت ضلوعهما في هذه القضية ٠

---

[١] الفكر الإسلامي الحديث ، ص ٥٢٨ ٠

[٢] التبشير والاستعمار ، ص٤١ ٠

* شارل مارتل (٦٨٨ــ ٧٤١ م) حكم الفرنجة الميروفنجين من عام ٧١٩م إلى ٧٤١م ، وفي ٧٣٢م كون لنفسه جيشا ، بأن أعطى قواته أرضا ؛ كان قد استولىعليها من الكنيسة ٠ وهو الذي أوقف التقدم الإسلامي ، وعاق انتشار الإسلام في أوروبا ٠ انظر الموسوعة العربية العالمية ، (١٤ :١٦) ٠

ويصرح بعد ذلك " لقد بدأنا حربنا ضد الإرهاب ٠٠ وعلينا الاستعداد لحرب طويلة ٠

أما وزيرة الخارجية مادلين أو لبرايت فقد قالت : على الأمريكيين أن يعدوا أنفسهم للحرب ضد الإرهاب ، إنها حرب القرن القادم "٠ [1]

مثل هذه الافتراءات تثير البغض والحقد تجاه الإسلام ، ممايىنفر من اعتناقه ، أو حتى السماع عنه بغرض الإطلاع عليه

ولم تكن هذه الافتراءات وقفا على المنصرين ، بل كان لليهود دورهم في ذلك ؛ بسبب سيطرتهم على الإعلام الغربي ٠

وهاهو هو رابين " يعد نفسه في مواجهة الإسلام ،يقول في مؤتمر لاتحاد المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة :

" إن مقاومتنا ضد الإرهابيين المسلمين القتلة مقصود منها أيضا إيقاظ العالم ؛ الذي يرقد في سبات عميق على حقيقة أن هذا خطر جاد وحقيقي يهدد السلام العالمي !! والآن نقف نحن الإسرائليين في خط النار الأول ضد الإسلام الأصولي ، ونحن نطالب كل الدول وكل الشعوب أن يكرسوا انتباههم إلى الخطر الضخم الكامن في الأصولية الإسلامية "٠ [2]

ولم يقتصر تشويه الإسلام في عيون الغربيين على النواحي السياسية والعسكرية ، بل وصل بهم الأمر إلى استغلال الإعلانات التجارية لتعميق هذا البغض ، وتشويه الصورة ٠

" ففي إحدى القنوات التلفزيونية الأمريكية تم الإعلان عن

---

[1] مجلة البيان ، مقال بعنوان حرب القرن القادم ماوراء افتعال علاقة بين الإسلام والإرهاب ، السنة الثالثة عشرة ، ع ١٣٠ ، جماد الآخرة ١٤١٩هـ ، ص ٠٥

[2] المرجع السابق ، ص ٦،٧ ٠

أحد أنواع المنظفات ، الذي يبدأ بصوت المعلن قائلا : إن هذا الصابون ينظف أي شيء حتى العربي ٠ ثم يظهر شخص في زي عربي متسخ ، وتحاول إحدى الفتيات تنظيفه بالمنظف الجديد ، وينتهي الإعلان بقول الفتاة : لقد بذلنا كل مافي وسعنا ، ويظهر المعلن مرة أخرى ليقول : إن تقارير المختبرات أثبتت أن عدم نظافة العربي ، لايرجع إلى عدم وجود المنظفات ، ولكن لأن العربي ؛ لايمكن أن يصبح نظيفا أبدا ٠ وفي إعلان آخر عن وسيلة لحماية النساء من المعتدين ، تسير فتاة باطمئنان ، ثم يفاجئها رجل يرتدي الزي العربي ، ليهجم عليها بخنجر في يديه ، فتستخدم الفتاة مادة مخدرة ترشها في وجهه ، ليسقط مغشيا عليه ، ولاتنسى الفتاة قبل أن تمضي أن تبصق على العربي "٠ [1]

والسؤال الآن :

ماالانطباع الذي ينشأ تجاه المسلمين عند مشاهدي مثل هذه الإعلانات ؟؟ ٠

كذلك استغل المنصرون وسائل الإعلام الحديثة كالإنترنت في تشويه الإسلام لكل من يطلع على مواقعهم ٠

فعلى سبيل المثال هناك موقع يحمل عنوان " الإسلام مفضوح على مستوى العالم " ٠ وقد صمم هذا الموقع بصورة كئيبة ؛ تخدم الغرض الذي يسعى لتحقيقه ٠ وتحتوي عناوين الموضوعات التي تضمنها الموقع على أباطيل لاحصر لها عن

[1] باسم خفاجي ، الإعلام الغربي وتشويه حقائق الصراع ، مجلة البيان ، السنة ١٣ ، ع ١٢٦ ، صفر ، ١٤١٩ هـ ، ص ٦٣ ٠

الإسلام ، حيث تصور المسلمين في صورة قتلة وإرهابيين، كما تحوي أكاذيب عن النبي ﷺ ، بل وعن الذات الإلهية ، منها موضوع يحمل عنوان " ليس الله رحيما " ، ويوجد في يسار الشاشة صورة لسيف يتحرك ،كمايتضمن ذكرا للمذابح في الجزائر ،

وتنتهي الصفحة الرئيسية في الموقع بتعليق جاء فيه : إن الإسلام كئيب للغاية ،ولذلك فإننا أضفنا في نهاية هذه الصفحة زرا لتضغط عليه ، وتتخلص من هذهالأخبار السيئة ،

وهناك موقع آخر يقول صاحبه :" لماذا الإسلام بهذا التعصب ؟ ولماذا يضطهد المسلمون بقسوة ، هؤلاء الذين يتركون الإسلام ؟ الجواب : هو أن الإسلام بعكس الأديان الأخرى ، لايسمح بالحوار المفتوح ،

لماذا يقوم الإسلام بخنق كل محاولة للمناظرة والحوار المفتوح ؟ إن الإجابة الوحيدة المحتملة ، هي أن لديهم أشياء يخفونها ، ويخافون أنه إن تم معرفتها ، فإن ذلك سيؤدي إلى الانهيار التام للنظام الإسلامي "[1]

إن هذه الافتراءات تمثل سدا منيعا في وجه الغربيين ، وخاصة الطامحين منهم في البحث عن الدين الحق ، الراغبين منهم في سد الفراغ الروحي الذي يجعل حياتهم قلقة كئيبة ،

ومن الأساليب التي اتبعها المنصرون أيضا في هذا المجال زرع الخلافات وبذور الفرقة بين المسلمين أنفسهم ؛ وإشغالهم

---

[1] ميرا الديب ، الحرب الإلكترونية ضد الإسلام ، مجلة المجتمع السنة ٢٩ ، ع ١٣٠٩ ، من ٢٧ ربيع أول ــ ٣ ربيع الآخر ١٤١٩ هـ ، ص ٢٦ ،

بأمورهم الداخلية عن عرض دينهم ، وإظهاره بصورة صحيحة تساهم في انتشاره ، ودخول الشعوب النصرانية فيه ، ومن ثم تستغل هذه الخلافات والصراعات الفكرية في إظهار صورة غير صحيحة لمفهوم الإسلام وخصائصه ، فيجعلونها دليلا على ضعف الإسلام ؛ وعدم صلاحه للتطبيق أو الاعتناق ٠

٣ ـ السيطرة على العالم الإسلامي :

يعتبر المنصرون الدين الإسلامي العقبة الرئيسية ؛ التي يصطدمون بها ، لأنه دين كامل عقيدة وشريعة ، ولديه القدرة الذاتية على الانتشار ٠ وقد اعترف زويمر بذلك في قوله :" لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي ، الذي اقتحم قارتي آسيا وأفريقية الواسعتين ، وبث في مائتي مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده " ٠ [١]

هذه القوة الذاتية التي اعترف بها المنصرون ، أثارت مخاوفهم على دينهم وشعوبهم ، لذلك سعوا لتنصير العالم الإسلامي ، وبذلوا في ذلك جهودا جبارة . يقول المنصر "روبرماكس " :

" لن يتوقف سعينا نحو تنصير المسلمين ، حتى يرتفع الصليب في مكة ، ويقام قداس الأحد في المدينة "٠ [٢]

وجاء على لسان زويمر :" إن تنصير العالم الإسلامي ليس مجرد عبارة نتبادلها بسهولة ، بل هو هدف عميق نسخر له

---

[١] كرم شلبي ــ الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب ، مكتبة التراث الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ص١٨ ٠

[٢] حقائق ووثائق ، ص ١٦ ٠

حياتنا ". [1]

فالحرب بينهم وبين الإسلام حربا دينية شعواء ، استنفروا فيها كل قواهم وأساليبهم ، لأنهم لايريدون للإسلام مكانة تذكر بين الديانات السماوية الأخرى ، ولأنه لوطبق المسلمون شرع الله ؛ لم يكن لهؤلاء المنصرين وجود أو تأثير . ولكن الله خذلهم . فالواقع يثبت عجزهم في تحويل الشعوب المسلمة إلى شعوب نصرانية، وقد اعترفوا بهذا العجز .

يقول أحد أقطاب المؤتمر التنصيري الذي عقد عام ١٣٤٦هـ بفلسطين :" لقد برهن التاريخ من أبعد أزمنته على أن المسلم لايمكن أن يكون نصرانيا مطلقا ، والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة النصرانية على استحالة ذلك "[2]

لذلك توجه هدفهم إلى إخراج المسلم عن دينه وعقيدته ، وتركه مضطربا بدون عقيدة يدين بها، ويسترشد بهديها يقول شيخ المنصرين زويمر ، بعدما عجز عن تحقيق أمنيته بتنصير المسلمين :

" إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ، ليست إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن هذا هداية لهم وتكريم ، وإنمامهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله ".[3]

---

[1] فيفان سيمسي ـ مستويات وأشكال ومواقع البرامج التدريبية ، بحث من البحوث المقدمة لمؤتمر التبشير المنعقد في الولايات المتحدة الأميريكية عام ١٩٧٨ م ، بعنوان التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، ص ٦٥٨.

[2] إبراهيم عكاشه ـ ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ـ مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، نشر وطباعة إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ، ١٤٠٧هـ ، ص٣٨ .

[3] احذروا الأساليب الحديثة ، ص ٥٩ .

وقد عمدوا لتحقيق هذه المهمة إلى إفساد العقائد الإسلامية وتوهين قيم الإسلام ومفاهيمه في نفوس المسلمين ٠

يقول إثين :

إن " إلقاء بذور الشك في نفوسهم - أي المسلمين - تفسد عقائدهم الإسلامية من حيث لايشعرون ، وإن لم يتنصرمنهم أحد ، فإنهم يصيرون لامسلمين ولامسيحيين "٠ [1]

ويقول شاتليه مؤكدا على ذلك :

" إن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائما للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية "٠ [2]

بذلك تتم السيطرة على العالم الإسلامي ، وتتوسع جهود المنصرين في نشر النصرانية بينهم ، وتحويلهم إلى مسخ آدمية، لاتحمل من الإسلام إلا اسمه في حين يكون غربيا في سلوكه وعاداته وتقاليده ، بعدما عجزوا عن تنصيره يقول شاتليه :" إن سير العالم الإسلامي تدرج نحو انحلال أفكاره الدينية وزوالها ، وذلك أمر طبيعي ممكن التحقيق ، أما فرض تدرج المسلمين إلى اعتناق المسيحية فخارج عن حد الإمكان " [3]

ولعل السبب في ذلك "يعود إلى أن الإسلام حصن معتنقيه بفكر سمابهم إلى الأعالي ،وأكسبهم على بساطته مناعة قوية ، لم تتمكن الحجج التي يقدمها المنصرون من اختراقها ، ولم

---

[1] الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ، ص ٨٠ ٠

[2] أ ٠ ل شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي ـــ المطبعة السلفية ، ترجمة محب الدين الخطيب ، ط٤ ، ١٣٩٨هـــ ص ٩ ٠

[3] المرجع السابق ، ص ٩ ٠

تستطع الارتقاء إلى مستوى الفكر الإسلامي ٠ أو الصمود أمامه ، بالرغم من سياسة التجهيل بهذا الدين ، وتجميد هذا الفكر المنبثق عنه ٠٠ وبالتالي انقضى هذا العصر أيضا ، دون أن تفلح ٠٠ في تحقيق ماتصبو إليه في بلاد المسلمين ، وبقي الإسلام قويا عزيزا ، رايته في مشارق الأرض ومغاربها ، بالرغم من الوضع السياسي المتردي للمسلمين في العصر الحديث ومايعانيه معظمهم من فقر وتخلف حضاري "٠ [١]

---

[١] مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ، ص ٨٤ ٠

وسائل التنصير

حرص المنصرون أشد الحرص على تحقيق أهدافهم ؛ وتجسيد واقعهم ، ومامن سبيل يؤدي إلى ذلك إلا سلكوه ، لذلك تعددت وسائلهم ومنها :

ا - التعليم

لاشك أن للتعليم أهميته ؛ التي لاتخفى في تكوين الآراء والقناعات وخاصة لدى الأطفال ، فالأطفال هم الأمل والقاعدة التي يقوم عليها مستقبل الأمة ٠ كما أن التعليم في الصغر أفضل أثراً ، وعلى أساس ماتعلم الطفل يكون حاله ٠

يقول العلامة ابن خلدون :" إن التعليم في الصغر أشد رسوخاً ، وهو أصل لما بعده ٠٠ وعلى حسب الأساس وأساليبه ، يكون حال من ينبني عليه " ٠ [1]

أضف إلى ذلك أن الأطفال لاتتوفر فيهم مقومات الرد عليهم ، وتفنيد آرائهم ، فيتلقنون تعاليمهم ومبادئهم ، ويقومون بتقليدهم دون وعي أو إدراك ٠ لذلك فالجهد في تعليمهم يكون أقل من الكبار ، والفائدة منهم أكبر ٠ ولذلك يعمد المنصرون إلى إعداد أجيال ، يتم توجيه شخصياتها ، بمايحقق أهدافهم ٠

يقول المنصر موط :

"يجب أن نؤكد في جميع ميادين التبشير جانب العمل بين الصغاروللصغار ٠٠ ترانا مقتنعين لأسباب مختلفة ، بأن نجعله عمدة عملنا في البلاد الإسلامية ، إن الأثر المفسد في الإسلام ؛ يبدأ

---

[1] عبدالرحمن بن خلدون ــ مقدمة ابن خلدون ــ دار القلم ، بيروت ، لبنـــان ــ ط٥ ، ١٩٨٤م ، ص ٥٣٨ ٠

باكراً جداً . من أجل ذلك يجب أن يُحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد ، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية ". [1]

كذلك فإن العمل في مجال التعليم " يساعد في التغلب على المشكلات الرئيسية ، كالتعصب وإقناع أولياء الأمور بإرسال أبنائهم إلى المدارس . وهذا سيؤدي بطبيعة الحال لإمداد المدارس بالتلاميذ الصغار .. ثم يقودهم هذا الإقبال لإعداد الذين ستعتمد عليهم الكنيسة الوطنية في المستقبل " . [2]

ولما كان التعليم أثمن وسيلة يمكن استغلالها في التنصير ، وضع " لافيجيري" : "مشروعاً متكاملاً يتلخص في وجوب تربية أطفال المسلمين تربية مسيحية .. ولم يخف هدفه من هذا المشروع ، فهو يقول : وإذا ماتمت المواظبة على هذا المشروع ، فإنه سيكون لنا بعد بضع سنوات مشتل من العمال النافعين المؤيدين لاستعمارنا الفرنسي والأصدقاء له .. إن هؤلاء الأطفال المساكين الجاهلين غاية الجهل بكل شيء ،سواء بأمور دينهم أو بغيرها ، ليس لهم حتى من هذه الوجهة أي رأي مسبق ؛ وأي نفور منا . ولا أشك في أن الكثير منهم متى استفادوا من أقوالنا ، فإنهم سيطلبون بأنفسهم يوماً ما التعميد ". [3]

من هنا نرى اهتمام المنصرين بالتعليم ، وخاصة للأطفال . ولتتم الفائدة قاموا بإنشاء المدارس التنصيرية ؛ التي يركزون فيها على مباديء النصرانية ، وتلقينها للطلاب ، وإجبارهم على الدخول

[1] التبشير والاستعمار ، ص ٦٨ .

[2] ملامح عن النشاط التنصيري،ص ٢٩ .

[3] مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ،ص ٧٦ .

إلى الكنيسة يوميا • ولما احتج الطلبة المسلمون على ذلك أصدرت الجامعة منشورا ، جاء فيه :" إن هذه كلية مسيحية ، وأسست بأموال شعب مسيحي ، هم اشتروا الأرض ، وهم أقاموا الأبنية • • وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليما يكون الإنجيل من مواده ، فتعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ " • [1]

وتقول المنصرة دورثي فان ايس :"يجب أن يكون المسيح في صميم المنهج • وأنا شخصيا لاأرضى أن أقضي خمس دقائق من حياتي في الشرق ، وأعلم في مدرسة مالم يكن التبشير بالديانة المسيحية من صميم المنهج " • [2]

ولم يكتف المنصرون بتعليم الذكور فقط ، وإنما عملوا على تعليم الإناث ، لما للمرأة من أهمية لايمكن إغفالها • ذلك أن المرأة متى تنصرت ؛ عملت على تنصير أبنائها ،فتكون خير معين على نشر النصرانية •

يقول د / ممدوح حسين :" ولم يقتصر تخصيص هذه المعاهد التعليمية على تعليم الذكور ، وإنما تعداه للعمل على تعليم الإناث ، وبخاصة المدارس الدينية ، لما لهن من دور هام في المجتمع ، فقد طلب المنصرون الأمريكيون في سنة ١٨٧٠م مبلغ ٣٠ ألف دولار لإنشاء مدرسة دينية للبنات في بيروت ، وعللوا طلبهم هذا بقيمة المرأة في الحياة البيتية ، وأن تلك المدرسة ستساعد في تنصير سوريا بأكملها في المستقبل " • [3]

---

[1] التبشير والاستعمار ، ص ١٠٥ •

[2] عبدالمالك التميمي — التبشير في منطقة الخليج العربي دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي — الكويت ، ط١ ، ١٩٨٢م ، ص ١٦٩ •

[3] مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ، ص ٦٧ •

هذا الإصرار على التعليم لاشك أنه ناتج عن أهميته في تحقيق أهداف التنصير ، لذلك كان اعتمادهم عليه اعتمادا أساسيا ٠

٢ ـ التطبيب

تعد مهنة الطب من المهن الإنسانية العظيمة ، فقد "ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المغلقة ، ووسيلة لتوثيق عرى الصداقة ، وأداة لتحطيم المعارضة "٠ [١]

فمهنة الطب تقوم على الاتصال النفسي بين الطبيب والمريض مايجعل الأمر أدعى للتقبل والرضا ، لمايقوله الطبيب ، كما يكون المريض في حالة عجز وضعف ،يجعل لديه الاستعداد لتقبل رحمات هذا الطبيب ونصائحه وتوجيهاته ٠

كذلك فإن للعلاج الطبي أهمية أخرى بالنسبة للمنصرين ، ذلك أنه :" الوسيلة الفعالة في المجتمعات الإسلامية لإقناع الناس والسلطات المحلية بوجود المنصرين ، لاسيما في البلاد المغلقة أمام التنصير العلني "٠ [٢]

من خلال هذه الأهمية لمهنة التطبيب قام المنصرون باستخدامها كوسيلة فعالة في نشر النصرانية ، فتكالبت البعثات التنصيرية على العالم الإسلامي ، تداوي المرضى ، وتنشر الإنجيل المحرف، لتحرف به المسلمين عن عقيدتهم ودينهم الإسلامي الصحيح ٠

يقول موريسون :

" نحن متفقون بلاريب على أن الغاية الأساسية في أعمال التنصير بين المرضى في المستشفيات أن نأتي بهم إلى المعرفة

---

[١] التبشير في منطقة الخليج ،ص ٨٠

[٢] ملامح عن النشاط التنصيري ، ص٢٧ ٠

المنقذة ، بمعرفة ربنا يسوع المسيح ، وأن ندخلـهم أعضـاء عـاملين في الكنيسة المسيحية " . [١]

أما د/ أراهاس المنصر فيرى أنه :

"يجب على طبيب إرسـاليات التبشير أن لاينسى ولافـي لحظـة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء ، ثم هو طبيب " . [٢]

من هنا تظهر الغاية الأساسية للبعثات الطبية ، وهي التنصير أما الطب فإنماهو وسيلة لتحقيق هذه الغاية .

تقول آن هريسون :

" لقد أرسلنا لتحويل الناس إلى المسيحية ". [٣]

كما أكد القس جيرت على ذلك بقوله :

" إن المبشـر الطبيـب لايجـب ولايمكـن أن يتخلـى عــن العمـل التبشـيري النشـيط ، فـالطب ليس غايـة الطبيـب فــي حقـل العمـل التبشيري ". [٤]

ويقـوم التنصــير فــي مجـال الطــب عــن طريــق إيجـاد روح الاعتراف بالجميل والعرفان للمعاملة التي قدمـت إليـه ، ثـم ينسـب هذا التقدير الذي يشعر به المريض إلى فضل الرب ـ المسيح ـ الذي أرسله إليه.ومن خلال هذه المعاملة والتقدير بـالجميل ، تتكسـر حـدة التحـامل علـى المنصرين فـي نفس المريـض ، بـل قـد يـرى أن النصارى أفضل سلوكاً من المسلمين وأرحم به وأنهم أصدقاؤه الذين يحبونه .

---

[١] مدخل الى تاريخ حركة التنصير ،ص ٦٥ .
[٢] الغارة على العالم الإسلامي ، ص ٢٣ .
[٣] التبشير في منطقة الخليج ، ص ٤٧ .
[٤] المرجع السابق ، ص٨١ .

يقول أولدهام :

"علينا أن نقنع المسلمين بطريقة أو بأخرى بأن النصارى أصدقاؤهم وليسوا اعداء هم ، ولهذا السبب فإن للإرساليات الطبية أهمية خاصة للعمل بين المسلمين ، إنها وسيلة ممتازة من وسائل إظهار المحبة النصرانية "٠ [1]

بعد ذلك يقومون بتوزيع نسخ من الكتاب المقدس والنشرات النصرانية على المرضى ويحملونهم على قراءتها ، ويبينون لهم محاسن الدين النصراني ، وأنه الدين الحق ، ومن خلال القراءة تبدأ المحاورات ولي النصوص والتدليس على المسلمين المرضى ثم تشكيكهم في دينهم ٠ فإذا بقي من المسلمين من تمسك بدينه ورفض دعوتهم ، يستخدمون معه " أسلوب الابتزاز والمقايضة ، حيث تحجم عن استمرار العلاج إلا إذا اعتنق المريض النصرانية "٠ [2]

من خلال ماتقدم تظهر أهمية وسيلة التطبيب في التنصير ، حيث يتم فيها استغلال آلام الناس ومعاناتهم ومساومتهم على دينهم وعقيدتهم ، وبذلك تحولت هذه المهنة الإنسانية العظيمة إلى وسيلة خسيسة في أيدي هؤلاء المنصرين ، ليفتنوا بها المسلمين ، ويخرجوهم من دينهم ، ويحققوا مايسعون إليه من أهداف عن طريقها ٠

٣ ـ وسائل الإعلام :

لوسائل الإعلام بكل أنواعها أهمية كبيرة في نشر الآراء

---

[1] جورج بيترز ــ نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين ــ بحث مقدم للمؤتمر التبشيري المنعقد في الولايات المتحدة عام ١٩٧٨ م ، ص٥٩٠ ٠

[2] سالم صالح الحربي ، دعوى الإنسانية في الفكر الغربي على ضوء العقيدة الإسلامية ــ رسالة ماجستير بقسم العقيدة ــ جامعة أم القرى ، عام ١٤١٦هـ ، ص ١٢٥ ٠

والأفكار ؛ وتغيير القناعات ووجهات النظر ٠ وهي قادرة على أن تقدم آراءها التي تراها متفقة مع الخط الذي تدافع عنه ، كما أنها قادرة على إثارة الجماهير في مشاعرهم وخداعهم وتضليلهم ٠ ولاشك أن وسائل الإعلام هي المنظار الذي ينظر به المجتمع إلى الأحداث ، فتنطبع في ذهنه كماأنها تؤتي خير الثمار ، وأحسن النتائج ، إذا ماستخدمت لتحقيق الأهداف ٠

ولاحتياج الناس إلى هذه الوسائل لمعرفة الأحداث والاطلاع على مايدور حولهم ، قام المنصرون بالسيطرة على هذه الوسائل ، واستخدامها في تحقيق أهدافهم ونشر الدين النصراني ٠ فكان لهم فضل السبق في إنشاء المطابع لطباعة الصحف التي تنشر أفكارهم، وكذلك الكتب التي تحقق أغراضهم ، بل وتخصصت بعض الإرساليات والمنظمات في مجال الطباعة والنشر منها على سبيل المثال : "رابطة الإيمان لمساعدة الإرساليات ٠ تأسست عام ١٣٣٤هـ ، وتختص في نشر الكتب والمؤلفات عن الإسلام للمنصرين، ومؤلفات عن النصرانية للمسلمين ٠

منظمة نشر النصرانية في الشرق الأوسط ، تكونت عام ١٣٩٦هـ ٠ وكان نشاطها في انتاج وتوزيع المطبوعات النصرانية باللغة العربية وبلغات بعض الدول الإسلامية " ٠ [1]

ويؤكد زويمر على أهمية هذه المطبعات بقوله :

" إن أفضل شيء نقذفه بوجه شياطين الجهل والإثم ؛ هو محبرة مطبعة عصرية ، أي مطبعة لطباعة الكتب ، إن الصفحة المطبوعة هي فعلاً منصر متواجد في كل مكان وزمان ٠٠ فالكتاب ٠٠وسيلة

[1] ملامح عن النشاط التنصيري ، ص ٣٥/٣٦ بتصرف واختصار ٠

للوعظ لاتبلى ٠٠ إنه فوق هذا ينفذ إلى العقل والقلب والضمير ، ويأتي بنتائج في كل مكان " ٠ [1]

وقد كشف المنصرون في مؤلفاتهم :

" أنهم استغلوا الصحافة المصرية ٠٠ للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر " ٠ [2]

ومن وسائل الإعلام التي تحقق أهداف التنصير الإذاعات السمعية ٠ حيث كان لها دور بارز في تبليغ دعوتهم ؛ ونشر أفكارهم ؛ وتحقيق مصالحهم ٠

وتكمن أهميتها في أنها تعبر الحدود الجغرافية دون عناء ، فتصل إلى آذان المستمعين في أي مكان ، حتى الأماكن التي لايستطيعون الوصول إليها بأنفسهم ٠ يقول المنصر اكورود في بحث له :

" إننا ندرك أن الإذاعة أداة مهمة للغاية في تسهيل مهمة وصولنا إلى الناس ، الذين يصعب الوصول إليهم ، فهي مثل الحرث الذي لابد من القيام به قبل بذر البذور بصورة فعالة " ٠ [3]

ولأهمية هذا الأمر استغل المنصرون الإذاعة في تنصير المسلمين بوجه خاص ٠ وقد بدأ هذا الاستغلال مبكرا حيث " بدأ راديو الفاتيكان ببث برامجه الدينية في عام ١٩٣١م ، عندما قام مخترع الراديو ماركوني بإهداء مرسلة إذاعية إلى البابا ، وقدمه إلى الناس عبر الأثير لأول مرة في تاريخ النصرانية ٠

---

[1] نظرة شاملة عن إرساليات التنصير ، ص ٥٩٢ / ٥٩٣ ٠

[2] التبشير والاستعمار ، ص ٢١٣ ٠

[3] فريد د ٠ اكورود ـ الإرسال الإذاعي الحالي الموجه إلى المسلمين ـ ضمن بحوث المؤتمر التنصيري عام ١٩٧٨م ، ص ٥٧٧ ٠

وقد توسعت هذه الإذاعة وتطورت ، فأصبحت اليوم تبث ٠٠ عبر ست مرسلات إذاعية ٠٠ ويذيع راديو الفاتيكان الآن بخمس وثلاثين لغة إلى أنحاء العالم " [١]

وقد اهتم المنصرون بجذب الناس إليهم عن طريق تقديم البرامج المتنوعة المسلية لمختلف الأعمار والمستويات ؛ وبعدة لغات إسلامية كالعربية و الأندونيسية وغيرها ٠

وقد كتبت أليس ويتلى زوجة جون ويتلى مدير إذاعة الشرق الأقصى قائلة :" إن البث الإذاعي يجب أن يكون ملائما ملاءمة تامة للمستمعين من خلال هويتهم ؛ وتحديد أعمارهم ؛ ومساراتهم الحياتية ، وبلدانهم ٠ ومتى عرفنا مستمعينا استطعنا أن نضع البرامج الملائمة لهم " ٠ [٢]

ولقد تعددت الإذاعات التنصيرية التي تبث مبادئهم ، وتنشر عقيدتهم في جميع أنحاء العالم ،حتى بلغت في عام ١٩٨١م أكثر من أربعين محطة نصرانية ، يبلغ عدد ساعات بثها ألف ساعة في الأسبوع ٠ ولبعضهاتعاون وثيق مع إذاعة صوت أمريكا ٠ كما أن إذاعة عبر العالم التنصيرية المشهورة تستخدم موجات إذاعة مونت كارلو [٣]

ويذكر **د / عبدالقادر طاش** في مقال له بعض هذه الإذاعات فيقول:

" تعد إذاعة حول العالم **Trans World Radio** أهم الإذاعات

---

[١] عبد القادر طاش ــ تسخير موجات الأثير لخدمة أغراض التنصير ــ مقال في مجلة المجتمع ، العدد ١٣٠٣ ــ ١٤ / صفر / ١٤١٩هـ ، ص ٦٦ ٠

[٢] الإرسال الإذاعي الحالي الموجه للمسلمين ، ص ٥٦٩ ٠

[٣] انظر مقال تسخير موجات الأثير ، ص ٦٦ ٠

التنصيرية وأقواها ، وتقدم برامجها من محطة مونت كارلو ، ولها جهاز إرسال قوي في جنوب أفريقيا ٠

- إذاعة إلوا ELWA وتعني عبارة : بمنتهى الحب نكسب أفريقيا ،ومقرها ليبيريا ، وتبث برامجها بخمسين لغة ولهجة من لهجات أفريقيا ٠
- إذاعة صوت الإنجيل ٠ بدأت إرسالها من أديس أبابا سنة ١٩٦٣م ، وهي تابعة لهيئة الكنائس اللوثرية ٠

وفي قارة آسيا :

- إذاعة الشرق الأقصى ٠ وتوجه بثها إلى الهند و الباكستان وبعض أجزاء الساحل الشرقي لأفريقيا ٠
- إذاعة راديو أدفانتست العالمي ، تبث برامجها من خلال محطات تجارية للقارتين الأوربية والآسيوية ٠

وفي أمريكا :

- إذاعة واير وهي محطة خاصة ، مقرها في ولاية كاليفورنيا ، وتبث باللغة العربية ثلاث ساعات ونصف الساعة يوميا ٠
- إذاعة صوت الأنديز البروتستانتية في الأكوادور بأمريكا الجنوبية ، تديرها مؤسسة التنصير الدولية بالراديو" ٠[1]

جميع هذه الإذاعات تسهم وبشكل فعال في نشر النصرانية ؛ وتلقين مبادئها. كمايظهر من خلال هذه الإذاعات تركيزهم على البلدان الإسلامية عموما ؛وعلى الدول الأفريقية بشكل خاص ٠

---

[1] المرجع السابق ، ص ٦٦ ٠

حيث استغلوا ظروف الجهل والفقر والمرض المنتشرة في أفريقيا لينشروا بين شعوبها مبادئ النصرانية .

ومن وسائل الإعلام الحديثة الإنترنت هذه الوسيلة الهامة في نشر المعلومات ، وتكمن أهميتها في تزايد أعداد المشتركين في شبكة الإنترنت يوما بعد يوم ، حيث وصل عددهم إلى أكثر من ٨٥ مليون مشترك من مختلف دول العالم .

لم يفت المنصرون استغلال هذه الوسيلة الهامة ، حيث بذلوا جهودا جبارة لنشر النصرانية من خلالها وذلك بإنشاء مواقع تناقش دين الإسلام بصورة تحليلية ، وتحاول سد الثغرات ؛ وإيجاد الأجوبة المناسبة للنقاط ؛ التي عادة ماتؤخذ ضد النصرانية ، ثم إيجاد المراجع والكتب الملائمة ؛ التي يتم إدراجها في مواقعهم ؛ ثم بالطبع لم يغفلوا أهمية إخراج صفحاتهم الإلكترونية بشكل جذاب وأسلوب منمق .

ومن تلك المواقع (ردود نصرانية على الإسلام) ومهمته الإجابة عن تحديات الإسلام ، حيث يحتوي على قائمة طويلة بالمناقشات والموضوعات ، والتي تنوعت مابين موضوعات تناقش النصرانية ،وتحاول الرد على الأمور التي وصفها أصحاب ذلك الموقع بأنها ادعاءات باطلة ؛ تنم عن فهم خاطئ للنصرانية ، وموضوعات تناقش الإسلام أو القرآن الكريم على وجه التحديد . وهناك باب خصص فقط لمناقشة هل القرآن معجزة ؟ حاولوا فيه إثبات أن بلاغة القرآن ليست إعجازية وأن بعض السور القرآنية لم تكن أصلا موجودة في القرآن الكريم .

وفي الموقع باب آخر خصص للطعن في شخصية الداعية

المعروف أحمد ديدات ، الذي قام بمناظرة أسماء بارزة ، وكان سببا في تحول الكثيرين من النصرانية إلى الإسلام ٠[1]

هذه الجهود التي يبذلها النصارى عن طريق وسائل الإعلام تثبت أهميتها وخطورتها في تحقيق أهداف التنصير ٠ وأكبر دليل على ذلك اهتمام المنصرين بها ، واستغلالهم لكل حديث في عالم الاتصالات ،وتقديم البحوث بشأنها خلال المؤتمرات التي يعقدونها ، وعرض النتائج التي يتحصلون عليها من خلال هذه الوسائل الإعلامية ٠

٤ ـ النوادي والجمعيات :

الشباب عماد الأمة وأملها المرتجى ،وهم ثروة لاتقدر بثمن ٠ ولماكان الشباب مليئ بالحيوية والنشاط والطاقات ؛ وميالا لإفراح النفس وتسليتها ، فهو بحاجة إلى وسائل الترفيه والتسلية التي تجذبه إليها ٠

لقد استغل المنصرون هذه الحاجة لدى أبناء العالم الإسلامي ، فقاموا بعمل نوادي وجمعيات تهدف إلى إحداث تجمع شبابي ، تسعى من خلاله لتنصير الشباب المسلم عن طريق الاحتكاك به ، سواء في الحفلات أو الرحلات أو الألعاب الرياضية ، التي يقيمونها ٠ وخلال هذه الألعاب يقومون بتنظيم لقاءات فكرية ومحاضرات عامة ، تعرض فيها أفكار وآراء عن التنصير والمباديء النصرانية ٠ ويكون لهذا كله أعظم الأثر في تفكير الشباب المسلم ؛ الذي يرتاد تلك النوادي ٠

---

[1] الحرب الإلكترونية ضد الإسلام ، ص ٢٥ ــ ٢٦ ٠

يقول أديسون :" إن عوامل التعليم المسيحي في مصر تزيد قوة إلى قوتها بمؤسستي جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات ٠٠ إن لهاتين الجمعيتين مراكز نشيطة ٠٠ تقدم للمسلمين مناسبات مختلفة للألعاب الرياضية ٠٠ وتهيء في المجتمع ألوانا من النشاط تندر في الشرق ٠٠ وفي هذا اقتراب من المسلمين بالتبشير ".[١]

ولقد صرح ولبرت سمث بالهدف الحقيقي من وراء هذه الجمعيات بقوله : " أما هدفها الرئيسي فهو تنشئة الشباب على أسس مسيحية ٠ ولفروع هذه الجمعية منهاج دائم ،و لها اجتماعات تعرض فيها الدعوة بلا استحياء ولاتحوير" ٠ [٢]

ولم يكن هذا الاهتمام بالشباب إلا لأهميته ،وتأثيره العظيم على مجتمعه في حالة تقبله للدين النصراني ٠

يقول د / محمد علي :"وتكمن أهمية الشباب بالنسبة للمجتمع ، فيمايمثله الشباب من مصدر للتجديد والتغيير ، فهم عادة مايرفعون لواء الحديث من السلوك والعمل من خلال القيم الجديدة ، التي يتبناها الشاب ".[٣]

من هنا استغل المنصرون الشباب المسلم في قلب أفكار المجتمع ،وليكون الفيروس الذي يصل به إلى تنصير المجتمع بأكمله وإخراجه من دينه وعقيدته ٠

---

[١] التبشير والاستعمار ،ص ٢٠١ ٠

[٢] المرجع السابق ، ص ٢٠٢ ٠

[٣] محمد علي محمد ، الشباب العربي والتغيير الإجتماعي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ٢٢ ٠

٥ - عقد المؤتمرات :

اهتم المنصرون بعقد المؤتمرات بصفة دورية مستمرة لعرض السلبيات والإيجابيات للمراحل التي قطعها التنصير ، وذلك للاستفادة منها في المراحل المستقبلية ،وكذا للاستماع لوجهات النظر المتباينة حول قضية من قضايا التنصير في أي مكان من الأمكنة ، والمشكلات التي تواجههم حتى يتمكنوا من التغلب عليها وتجاوزها ٠

وقد بدأ عقد هذه المؤتمرات في وقت مبكر ٠ فقد ذهب الشيخ محمد أبو زهرة : إلى أن المجمع بأورشليم أول مجمع للنصارى ٠ وقد شرعها لهم رسلهم يقول :

" والمجامع في المسيحية كما يقول علماؤهم : جماعات شورية في المسيحية ،قدرسم رسلهم نظامها في حياتهم ، حيث عقدوا المجمع بأورشليم ٠٠ فقد قالوا إن التلاميذ والمشايخ قد سنوا للمسيحيين سنة جمع المجامع لدراسة مايتعلق بالعقيدة والشريعة ".[١]

بينما يذهب شارل جنيبر إلى أن هذا الأمر لم يرد في زمن عيسى عليه السلام ولا الحواريين.يقول شارل :

"إننا نعلم تماما أن الحواريين الاثنى عشر والأتباع المباشرين لعيسى ، لم يكونوا ليستطيعوا القيام بنشاط يذكر في القدس ٠ بل كان موقفهم هو موقف أستاذهم فيما مضى ،وكانت تتهددهم الأخطار التي هددته ".[٢]

---

[١] محمد أبوزهرة – محاضرات في النصرانية – مطبعة اليوسف ،ط٣ ، ١٣٨٥هـ ، ص ١٢٧ ٠
[٢] شارل جنيبر – المسيحية نشأتها وتطورها ، ترجمة عبدالحليم محمود ، دار المعارف ، ص ٨٤ ٠

وعن أتباع عيسى عليه السلام يقول في موضع آخر :

" كانت الجماعة الأولى من المؤمنين بعيسى في القدس جماعة يهودية صرفة ٠٠ ولايمكننا أن نتصور أنهم اتجهوا من أنفسهم إلى تبشير المشركين بعقيدتهم ، فلم يكن ذلك بالنسبة إليهم عملا ذا معنى "٠ [1]

وعلى هذا نستطيع أن نقول : إن المجامع لم تكن موجودة في زمن عيسى عليه السلام ، ولافي زمن الحواريين ،إنما مردها إلى بولس * حيث تم عقد مجمع أورشليم عام ٥٠ م ، وقد قرر هذا المجمع عدم التمسك بمسألة الختان ،وإباحة المحرمات سوى الزنا ؛ وأكل المخنوق ؛ وأكل الدم ؛ وأكل ذبائح الأوثان٠[2]

وتنقسم المجامع عند النصارى إلى قسمين :

مجامع مسكونية : أي تجمع رجال الكنائس النصرانية من كل أنحاء الأرض المسكونة ٠ وتعقد هذه المجامع لفحص مذاهب دينية غريبة ، وإصدار قرارات بشأنها وشأن مبتدعيها٠

ومجامع محلية أو مكانية : وهي التي تعقدها كنائس مذهب معين من أساقفتها وقساوستها ، إما لإقرار عقائد معينة ، أو رفض بعض العقائد ، أو للنظر في الشئون المحلية ٠ [3]

---

[1] المسيحية ، نشأتها وتطورها ، ص ١١٣ ٠
[2] انظر سفر أعمال الرسل ، الإصحاح ، ١٥
[3] انظر محاضرات في النصرانية ، ص ١٢٧ ٠ أحمد شلبي ، المسيحية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٨ ، ١٩٨٤م ، ص ١٩٧ ٠

* بولس القديس : من الشخصيات الكنسية الأولى ، ولد من أصل يهودي ، اعتنق النصرانية ، أرسل عددا من الرسائل الإنجيلية إلى أتباعه وتكون جزءا رئيسيا من إنجيل العهد الجديد ٠ أعتقل بسبب معارضته لليهود المعادين له ٠ مات في روما بعد عام ٦٠ م انظر الموسوعة العربية العالمية ، (٥: ٢٨٦ ـ ٢٨٧)٠

والآن نذكر بعض المجامع المهمة وبعض قراراتها . منها :

١ ـ مجمع نيقية : *

وهو أول مجمع مسكوني عقد عام ٣٢٥ م ٠ وكان من أهم قراراته : " ألوهية المسيح ، وأنه من جوهر الله ، وأنه قديم بقدمه ، وأنه لايعتريه تغيير ولاتحول ٠ وفرضت تلك العقيدة على المسيحية قاطبة ".[١]

٢ ـ المجمع القسطنطيني الأول :

وقد عقد هذا المجمع عام ٣٨١م ، وقرر هذا المجمع أن روح القدس هي روح الله ٠٠ فقال بطرك الأسكندرية ليس روح القدس عندنا غيرر وح الله ،وليس روح الله غير حياته".[٢]

٣ ـ مجمع أفسس الأول :

عقد عام ٤٣١م ٠ وقرر " أن المسيح هومسيح واحد ؛ ورب واحد ؛ وابن واحد ، إله واحد تام ،وإنسان تام بطبيعتين متحدتين ، بغير اختلاط ونادى بالعذراء القديسة والده الإله بهذه الكلمات ٠ إننا باعتقادنا هذا الاتحاد الغير مختلط ، نعترف بأن العذراء القديسة هي والدة الإله ، لأن الإله الكلمة تجسد وتأنس منها ، ومن بدء الحمل اتحد به هيكل جسمه المأخوذ منها " ٠ [٣]

٤ ـ مجمع خليكدونيه :

عقد عام ٤٥١م ، وقرر هذا المجمع المعتقد الآتي :

---

[١] محاضرات في النصرانية ، ص١٣٣ ٠

[٢] ابن القيم الجوزية ــ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ١٧٨ ٠

[٣] نقولا امبرازي ، كنز النفائس في اتحاد الكنائس ، طبعة مصر ، ص ٧٦ ٠

* نيقية : مدينة قديمة في آسيا الصغري ٠ وهي المدينة التي اجتمع فيها آباء الملة المسيحية ، وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر أباً ٠ وهو أول المجامع لهذه الملة ، وبه أظهروا الأمانة التي هي أصل دينهم ٠ انظر ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،دار صادر ،بيروت ، ط٢ ،(٥ : ٣٣٣) ٠

" إن المسيح هو إله تام ، وإنسان تام ،مولود بحسب اللاهوت من الآب ، وبحسب الناسوت من مريم البتول ، والدة الإله ، ومعروفا واحدا بطبيعتين متحدتين ، بلا اختلاط ولاابتدال ولاانقسام ولا انفصال " ٠ [1]

وهكذا تتابعت المجامع النصرانية لدراسة العقائد ، ولما استقرت في صورتها الأخيرة ٠ صرف النصارى جهودهم إلى التنصير فعقدوا المؤتمرات الخاصة به ٠

ومن أهم هذه المؤتمرات في القرن العشرين .

مؤتمر القاهرة المنعقد عام ١٩٠٦م ٠ وقد تفاوض المؤتمرون في هذا المؤتمر حول عدة قضايا تهم المنصرين وهي :

ملخص إحصائي عن عددالمسلمين في العالم ، الإسلام في أفريقية ، الإسلام في السلطنة العثمانية ، الإسلام في الهند، الإسلام في فارس ، الإسلام في الملايو ، الإسلام في الصين ، النشرات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام ، التنصير ، الإرتداد ، وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين ، شئون نسائية إسلامية ، موضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم وكيفية التعلم في الإسلام " ٠

يظهر مماتقدم اهتمام المنصرين بتنصير المسلمين ومعرفة أحوالهم ، والاهتداء إلى كل وسيلة تمكنهم من نشر النصرانية ، بعد أن قدم المختصون منهم تقارير عن البلاد التي يريدون

---

[1] كنز النفائس، ص ٧٧ ٠

مناقشة التنصير فيها .

وقد ذكرت هذه التقارير أن عدد المتنصرين في ذلك الحين يبلغ في جاوا ١٨٠٠ شخصا ؛ وفي صومترا ١٠٠ شخصا ، وفي مصر ١٥٠ مسلما ، كما ذكرت التقارير الوسائل التي أعانتهم على تنصير هؤلاء المسلمين ، والمدارس التي افتتحوها ؛ والجمعيات والمعاهد التي أسسوها ". [1]

مؤتمر أدنبرج سنة ١٩١٠ م :

عمل هذا المؤتمر على الاهتمام بالمسائل الإسلامية ، وتفرغت لجنتين من أهم لجانه في البحث عن الإسلام والمسلمين . وقدمت إحدى اللجان تقريرها عن سبب الصعوبة التي يواجهها المنصرون قائلة :

" الأمر الذي لامرية فيه أن المهمة الصعبة التي يقوم بها المبشرون في البلاد الإسلامية ، لم تظهر في غاية الصعوبة إلا لأنه يعسر على جمعية تبشير واحدة . أن تقوم بها ، ولكن وحدة العمل ستكون أحسن وأسرع حل لهذه المعضلة في إكمال مهمة التبشير .

وكان من نتائج هذا المؤتمر تأليف لجنة مختلطة ولجنة لمواصلة العمل ، يناط بها التوسط والعمل لمافيه مصلحة المبشرين . كما نفذ من قرارات هذا المؤتمر إنشاء مدرسة تبشيرية مشتركة بين كل الفرق البروتستانتينية ، وتكون خاصة بتعليم مبشري الأقطار الإسلامية . [2]

[1] انظر الغارة على العالم الإسلامي ص ١٩ ــ ٣٩ ، عرض مفصل لمؤتمر القاهرة .
[2] انظر الغارة ، ص ٤٠ ــ ٤٨ ، باختصار .

وهكذا تتابعت مؤتمرات التنصير لمناقشة أوضاعه في البلاد الإسلامية ، وتوصل المنصرون إلى أن اختلافهم سبب في تبديد جهودهم ، وتعريض أعمالهم إلى عدم التقدم ، وإحراز النتائج المأمولة ، مما دفعهم إلى إنتاج " إتحاد الكنائس مع مجالس التنصير " .

يقول د / أحمد عبدالوهاب :

" في نيودلهي عام ١٩٦١م اتحد المجلسان ، مجلس الكنائس والمجلس التبشيري في جهاز ضخم ،هو مجلس الكنائس العالمي w.c.c . ولأول مرة في تاريخ العالم المسيحي ، تعلن الكنائس الأرثوذكسية ، والرومانية الكاثوليكية ، والإنجليكانية ، والبروتستنتية أنها كنائس مسئولة عن تبشير العالم بالإنجيل ". [١]

ومن هذه المؤتمرات أيضا مؤتمر كنسي عقد في ولاية كولورادو بأمريكا عام ١٩٧٧م . وموضوعه العمل على اكتشاف وتحديد المسؤوليات المسيحية في أمريكا الشمالية تجاه تنصير المسلمين .

وكان من أهم قرارته :

" يجب بذل الاهتمام الكافي ؛ والتركيز بقوة على زرع جاليات مسيحية في قلب العالم الإسلامي ، وهم سيحاولون بدورهم تطوير وإيجاد وسائل منهجية جديدة أكثر ملاءمة عند تقديم الإنجيل للمسلمين . ويجب الاهتمام الشديد باستخدم الآيات القرآنية ذات الصلة بهذه الموضوعات ، وخاصة في المراحل

---

[١] أحمد عبدالوهاب ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، مكتبة وهبة ، ط١ ، ١٤٠١هـ ، ص ٢٠٧.

الأولية لعملية التنصير "[1]

كماتم عقد مؤتمر آخر في ولاية كولورادو أيضا عام ١٩٧٨م وقد طبعت الترجمة الكاملة لبحوث هذا المؤتمر باسم التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي • وقد بحث هذا المؤتمر كيفية تطوير وسائل التنصير والتدريب عليها •

وكان من قراراته " الحاجة الماسة لإقامة جهاز مركزي يكون بمثابة معهد للأبحاث والتدريب على تنصير المسلمين • وتم إنشاء هذا المعهد بالفعل في جنوب كاليفورنيا، وأطلق عليه اسم معهد صموئيل زويمر ، وأختير دون ماكرى مديرا له " [2]

وهكذا تظهر أهمية هذه المؤتمرات في دفع عجلة التنصير ؛ وخاصة في المجتمعات الإسلامية • وكذا أهميتها في تحقيق الأهداف •

إذ إنها تتابع وبكل دقة خطة التنصير ، التي تقوم بها •ومازالت المؤتمرات تعقد كوسيلة لتحقيق الهدف الأسمى وهو تنصير الشعوب المسلمة •

[1] عبدالرحمن الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، دار القلم ، دمشق ، ط٤ ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١٠١ •
[2] التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، ص٢ •

ثالثا : " الصهيونية "

مفهوم الصهيونية :

اختلف الباحثون في تعريف الحركة الصهيونية تبعا للمنظور الذي ينظر به الباحث ٠

فتعرفه موسوعة المفاهيم الصهيونية بأنها:

" حركة سياسية في العصر الحديث ، تطالب بإعادة توطين اليهود في فلسطين - باعتبارها أرض الميعاد - كوسيلة لحل المسألة اليهودية "٠ [١]

ويعرفها وليم فهمي بأنها :

"حركة عنصرية رجعية استعمارية ،أسبغت على اليهودية صفة القومية والدلالة الجنسية ، وزعمت أن الشعب اليهودي يكون عرقا نقيا ، ونادت بحل ٠٠ المشكلة اليهودية ٠٠ ودفعتهم إلى الهجرة إلى فلسطين ، زاعمة أن لهم فيها حقوقا تاريخية ودينية " ٠ [٢]

وترى الموسوعة العربية العالمية أنها:

" حركة سياسية استعمارية ، أسبغت على اليهود صفة القومية والإنتماء العرقي ، ونادت بحل لما أسمته المشكلة اليهودية ، عارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية ،ودفعتهم للهجرة إلى فلسطين "٠ [٣]

---

[١] عبد الوهاب محمد المسيري ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية بالأهرام ، ص ٢٣٣ ٠

[٢] وليم فهمي ، الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٧ ٠

[٣] الموسوعة العربية العالمية ،(١٥ : ١٧٦) ٠

كما أن عبدالله التل يعرفها بأنها :

" حركة سياسية دينية ، تضاف إلى الدين اليهودي الذي يقوم على أساسيين راسخين هما التوراة * والتلمود** ".[1]

ويعرفها د/علي جريشة أنها :

" مذهب ديني استعماري متطرف جدا ، يتمذهب به غلاة اليهود ، تهدف إلى السيطرة السياسية على العالم بتقويض النظم السياسية للمجتمع الدولي بأسره ؛ وإخضاعه لنير اليهود وحكمهم" .[2]

أما الموسوعة الميسرة فتذهب إلى أنها : " حركة سياسية عنصرية متطرفة ، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين ، تحكم من خلالها العالم كله ".[3]

ويعرفها د / علي محمود بأنها :

" حركة خبيثة هدامة ، تستهدف القضاء على المباديء والقيم

---

[1] عبدالله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، دار القلم ، ١٩٦٤م ، ص ١٧٠ .

[2] أساليب الغزو الفكري ، ص ١١٥ .

[3] الموسوعة الميسرة في الأديان ، ص ٣٣١ .

*التوراة : أول كتاب نزل من السماء ، كتبه الله بيده ، وأنزل الله على موسى الألواح وهي مختصر مافي التوراة وقد اشتملت التوراة على دلالات وآيات تثبت صدق نبينا محمد ﷺ وتبشر به . وكذلك على أحكام السياسة الظاهرة العامة وفيها أحكام عامة ، وأحكام خاصة ، أما بأشخاص ، وإما بأزمان. انظر محمد الشهرستاني ، الملل والنحل ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، (١/٢١٠–٢١٤) .

** التلمود كلمة مشتقة من لوميد العبرية ، التي تعني الدراسة . وهو أحد كتب اليهود الدينية ، وهو عبارة عن موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتاريخ والآداب .. بل ليغطي كل جوانب الحياة الخاصة لليهودي . بدأ تدوين التلمود مع بداية العصر المسيحي ، ولم يتم ذلك إلا في القرن الخامس. يوجد تلمودان البابلي والفلسطيني ، وكلاهما مكون من المشاة والجماراة . والجماراة البابلية أكمل وأشمل ، لذا فإن التلمود البابلي هو الأكثر تداولا . أقسامه ستة ، ويعتبر أول محاولة من جانب حاخامات اليهود لتفسير العهد القديم ، بمايتناسب مع وضع اليهود الجديد ، وهو محاولة للسيطرة على جماهير اليهود . موسوعة المفاهيم الصهيونية ، ص ١٤١ .

وكل ماهو غير يهودي ".[1]

يظهر من خلال التعريفات السابقة بأن الصهيونية حركة دينية أو سياسية أو عنصرية رجعية ، أو أنها حركة خبيثة هدامة. والواقع أنها حركة متكاملة من كل ماسبق ، فهي دينية وسياسية وعنصرية رجعية ،وحركة خبيثة هدامة ، تختص بالجنس اليهودي ، تستغل الدين والواقع لتنفيذ الهدف الذي ترمي إليه .

---

[1] علي محمود ، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص ١٥٧ .

أهداف الصهيونية

تسعى الصهيونية لتحقيق هدف واحد وهو السيطرة على العالم ، والتمكين لليهود ، فالصهيونية " ليست قاصرة على افتعال دولة يهودية في فلسطين ، وإنما هي تستهدف سيادة الدنيا بأقطارها قاطبة ، واسترقاق شعوبها كافة ،وإخضاعها لنير اليهود والشرائع اليهودية " ٠ [1]

فقد جاء في التلمود :

" يجب على كل يهودي أن يسعى لأن تظل السلطة على الأرض لليهود دون سواهم ٠٠٠ وتكون هي الأمة المتسلطة على باقي الأمم عند مجيء المسيح "٠ [2]

كما صرح موسى شاريت * بهذا الهدف في الكنيست عام ١٩٥٥م ، بقوله : إن " الحلم الذي طالما راود فلاسفة الصهيونية ، ألا وهو إقامة إمبراطورية إسرائيل ممتدة الأرجاء ، تفرض سلطانها قويا يخشاه الجميع "٠ [3]

فهذه الإمبراطورية العظمى هي حلم اليهود ، الذي تهدف الصهيونية بكل مايمكنها لتحقيقه ، لتصبح السلطة العالمية بذلك تحت يدها ، فتخضع الشعوب لها ٠

---

[1] حمود الرحيلي ، الصهيونية وخطرها على البشرية ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ص ٣٢ ٠

[2] أساليب الغزو الفكري ، ص ١٥٨ ٠

[3] الصهيونية وخطرها ، ص ٣٣ ـ ٣٤ ٠

*موشيه شاريت (١٨٩٤م ـ ١٩٦٥ م) زعيم صهيوني ورجل الدولة الإسرائيلي ، ولد في روسيا وهاجر إلى فلسطين في عام ١٩٠٦م ، ثم عاد إليها مع أسرته ، وتعلم العربية ، درس القانون في استانبول ، تطوع في الجيش التركي ، انضم إلى حزب اتحاد العمال في عام ١٩٣١م ، عين أمينا للدائرة السياسية بالوكالة اليهودية أصبح وزيرا للخارجية تولى رئاسة الوزارة لفترة محدودة ، ثم عاد وزيرا للخارجية في الدولة الصهيونية ، من أهم أعماله إرساء قواعد الدبلوماسية الإسرائيلية ، ومحاولته إبقاء الجسور مفتوحة مع الاتحاد السوفيتي يعتبر من أصحاب الرأي القائل بعدم الإفراط في استخدام القوة مع العرب ٠ انظر موسوعة المفاهيم الصهيونية ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ٠

وكان لابد لها للوصول إلى هذا الهدف الأسمى من أن تسعى لتحقيق عدة أهداف مرحلية منها :

١ ـ القضاء على الأديان :

أدرك اليهود أنهم قلة مشتتة بين دول العالم ، وأنهم مضطهدون منبوذون ، مما أوجد الرغبة لديهم ، في تجميع شملهم في أرض الميعاد ـ كما يزعمون ـ ثم تقوية النفوذ اليهودي ليتمكنوا بعد ذلك من السيطرة على العالم.فكان من الضروري إزالة القوى المناهضة لهم من أمامهم ، ولما كان الدين هو العقبة التي تعترض طريقهم ،جاء العمل على إزالة الدين المسيحي والدين الإسلامي ،ونشر الإلحاد بين الشعوب الأممية .

جاء في البروتوكول * الرابع عشر : " حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ، لن نبيح قيام أي دين غير ديننا .. ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ،وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين " . [١]

كما جاء في البروتوكول الرابع :" يحتم علينا أن ننزع فكرة الله .. وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورية مادية .. هذا المجتمع سيصير منحلا كل الانحلال ،ومبغضا أيضا من الدين والسياسة ". [٢]

وقد بدأ اليهود بمحاربة الدين المسيحي ؛ وزعزعته في نفوس

---

[١] محمد خليفة التونسي ــ الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ، ط٤ ، ص١٦٩ .

[٢] المرجع السابق ، ص ١٣١/١٣٢ .

* البروتوكول:لفظ يطلق على الوثائق الرسمية ، أو الاتفاقات التي تقرر قواعد سياسية عامة ، صيغتها موجزة غالبا ، تعقد الوثيقة السياسية بإجراء مفاوضات أو بالمراسلة ، وتكون الاتفاقات نافذة لمدة معينة . لجنة من الباحثين العرب ــ الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان ، ١٤٠٧هــ ،(٣٥٧/١) .

المسيحيين ، ولاشك أن :" أبرز الذين هدموا التفكير الديني في أوروبا دارون *، الذي قال بتطور الإنسان عن الحيوان ٠٠ ثم جاء ماركس ** الذي أوهم الفكر الأوربي بمادية الحياة ،وأنكر الأديان ، وشتم الأنبياء "٠[1]

وقد صرح اليهود بذلك في البروتوكول الثاني الذي جاء فيه : لاتتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ، ولاحظوا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه*** قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي ٠٠ في الفكر الأ ممي ٠٠ سيكون واضحا لنا على التأكيد "٠ [2]

وقد كان القضاء على الإسلام هدف هام يسعون لتحقيقه ، كما فعلوا بالديانة المسيحية ، لذا اتجهوا إلى محاربته أيضا ٠ جاء في شرح التلمود :

" حيث أن المسيح كذاب ، وحيث أن محمدا اعترف به ، والمعترف بالكذاب كذاب مثله ، فيجب أن نقاتل الكذاب الثاني

---

[1] ماجد كيلاني ، الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي ، الدار السعودية ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ ، ص ٦٢ ٠

[2] الخطر اليهودي ، ص١٢٣ ــ ١٢٤ ٠

*تشارلز روبرت داروين (١٨٠٩ ــ ١٨٨٢م) باحث وعالم بريطاني ، عكف على دراسة علوم الطبيعة ، واقترن اسمه بنظرية النشوء والارتقاء ٠ عرض نظرياته في كتابه أصل الأنواع ، وقد أثار بعض ردود الفعل ؛ لما اشتمل عليه من تشكيك في العقائد السماوية ، وله أيضا أصل الإنسان ، والانتخاب فيما يتعلق بالجنس ٠ انظر الموسوعة العربية العالمية ، (١٠: ٢١٩ ــ ٢٢١) ٠

** كارل ماركس (١٨١٨ ــ ١٨٨٣ م) فيلسوف ألماني واجتماعي وثوري محترف ٠ كان المؤسس الرئيسي للاشتراكيةالديمقراطية والشيوعية الثورية ، ولد في إقليم ترير التابع لبروسيا ٠ حصل على الدكتوراة في الفلسفة من جامعة حينا ١٨٤١م ، عانى أمراضا متكررة ، كان كثير منها أمراضا نفسية ٠ حرر صحيفة نور ينيخ زيتونغ سنة ١٨٤٨م ٠ وقد هوجم ماركس لأنه ثار ضد المجتمعات المستقرة ، وبسبب آرائه المتطرفة ، وقد دلت التجارب على فساد نظريته ، وكونها مدمرة للفرد والمجتمع ٠ انظر الموسوعة العربية العالمية ، (٢٢ : ٦٢ ــ ٦٣) ٠

* ** فريدريك نيتشه (١٨٤٤م ــ ١٩٠٠م) ، فيلسوف ألماني ، وشاعر وعالم كلاسيكي ٠ أعجب بالحضارة الإغريقية ، انتقد الدين في كتابه نهج زراد شت ٠ وله أيضا رداء الخير والشر ، أصل الأخلاق ٠ في عام ١٨٨٩م ، تعرض لانهيار عقلي ، لم يشف منه ٠ كماتعرض للاتهام بالعنصرية والعداء للسامية ٠ الموسوعة العربية العالمية ، (٢٥ : ٤٩٤ ــ ٤٩٥) ٠

كما قاتلنا الكذاب الأول "[1]٠

وليتم القضاء على الدين ،ولتذويب المقاومة ضدهم ، حرصوا على التقليل من شأن علماء الدين ، فحطوا من قدرهم في عيون الناس ، والتقليل من نفوذهم ممايضعف الثقة بهم ، ويزلزل مكانة الدين في قلوب الناس ، وينحط قدره ، فيسهل عليهم حينئذ القضاء عليه ٠

جاء في البروتوكول السابع عشر :

" وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأممين في أعين الناس ، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم ٠٠ وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوما فيوم ٠٠

سنقصر رجال الدين ـ علماء الدين ـ ~~عندنا~~ وتعاليمهم على جانب صغير جدا من الحياة ، وسيكون تأثيرهم وبيلا على الناس "[2] ٠

وبذلك يصبح المجتمع منحلا من الروابط الدينية ، التي كان يتمسك بها ٠ وحينما ينحل الدين ، تنحل تبعا له الأخلاق ، ويظهر الفساد ، فيصبح المجتمع بلا ضوابط تحكمه ولاقيم يتمسك بها، فيتمايل مع الأهواء والشهوات ٠ وقد ساعدت الصهيونية على نشر الانحلال والفساد في المجتمعات ؛ كوسيلة للقضاء على الدين ٠ إذ إن الشهوات هي أقصر طريق للصد عن دين الله ٠ فالدين هو العقبة الوحيدة أمام راغب الشهوة ٠ لأنه إذا كانت الشهوات هدفا للإنسان ، كانت النتيجة طرح الدين بتكاليفه وضوابطه وقيوده عن سلوك المسلم ٠

---

[1] محمد الزغبي ، دفائن النفسية اليهودية ، بيروت ، ١٩٦٨م ، ص ١٢٨ ٠

[2] الخطر اليهودي ، ص ١٨٧ ٠

لذا ركزت الصهيونية في ذلك على الشباب المسلم ، الذين هم عصب الأمة ؛ والمعتمد عليه بعد الله في النهوض بالأمة المسلمة. وقد أدرك اليهود أهمية الشباب بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه يقول روتشيلد * :

" والشباب هم العماد الذي نحسب حسابه ،فإن من الأمور التي يجب الاهتمام بها أعظم الاهتمام السيطرة على الشباب . وندس عملاءنا في كل طبقات الشعب والمجتمع والحكومة ، لنتمكن من خداع الشباب ، وامتلاك عقولهم وإفسادهم ". [1]

وقد عملوا على إفسادهم بتشجيعهم على حب الترف والانغماس في الملذات وشرب الخمور . جاء في البروتوكول الأول :

"ومن المسيحيين أناس قد أظلتهم الخمر ، وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات والمجون المبكر ، الذي أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا .. ونساؤنا في أماكن لهوهم ، وإليهن أضيف من يسمين نساء المجتمع والراغبات ... في الفساد والترف ".[2]

والواقع أن هذا الإفساد والترف قد ساعد على سريانه في جسد الأمة الإسلامية تأثير وسائل الإعلام ، التي سيطر عليها اليهود ، حتى أنشأوا جيلا من الشباب ، انهارت أخلاقه ، وقيد

---

[1] الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ، ص ١١٦ .

[2] الخطر اليهودي ، ص ١١٨ .

* أدمون جيمس روتشيلد (١٨٤٥ ـــ ١٩٣٤ م) ، اقتصادي ورجل أعمال ، وأهم المشاركين في تنمية المشروعات اليهودية في فلسطين ، ولد في فرنسا ، ساهم في عملية الاستيطان الصهيوني في عام ١٩٢٩م ، عين رئيسا فخريا للوكالة اليهودية . موسوعة المفاهيم الصهيونية ، ص ٢٠٠ .

بقيود الشهوات ،وتكالبت عليه الملذات ، حتى نسي واجباته نحو أمته ، وتخلخلت عقيدته ،وهانت قواعدها ، هذا الفساد المستشري في أبناء المسلمين ، إنما هو مخطط يهودي صليبي ، يستهدف تدمير المجتمع ، وإظهار ضعفه وتخلفه ؛ وتمزيق وحدته . وعندئذ يتمكن اليهود من السيطرة عليه سيطرة تامة . ومن ثم السيطرة على العالم كله ، وبذلك يتحقق لهم الهدف الأسمى الذي يحلمون به منذ زمن .

٢ - نشر الثورات وإثارة الفتن :

بعد أن تم لليهود زعزعة الدين لدى الكثير من عامة المسلمين ، وتشويه صورته في أذهانهم ، إضافة إلى خلخلة مكانة علماء المسلمين ، لإضعاف ثقة المسلمين بهم .

اعتقد اليهود أنهم سيتمكنون من السيطرة على المسلمين بعد القضاء على الجانب الروحي في حياتهم ،ونسوا أن الجانب المادي يتحكم بضعاف الإيمان ، ويجعل المصالح الدنيوية أكبر همهم . وكان لابد أن تتعارض المصالح المادية لهؤلاء مع مصالح اليهود ونفوذهم ، وعندئذ ستبدأ مقاومة المسلمين لليهود . وعلى ضوء المصالح المادية كان لابد لهم من التفكير بوسائل تضمن لهم عدم مقاومة المسلمين لهم تحت أي ظرف . **من هنا عملت على شغل الناس عما يدار ويحاك ضدهم ، وذلك** بنشر الفتن والثورات لتمزيق أوصال المجتمع ، وتحقيق الوسيلة المنشودة بينهم ،وذلك بزرع سياسة فرق تسد .

لذلك فهم يرون بأنه :

" لابد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين

الشعوب والحكومات،فتستمر العداوات والحروب والكراهية ٠٠ هذا مع الجوع والفقر ومع تفشي الأمراض ،وكل ذلك سيمتد إلى حد أن لايرى الأمميون أي مخرج لهم من متاعبهم ، غير أن يلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة "٠ [1]

ولذلك سعت الصهيونية لإسقاط الخلافة الإسلامية ، فقد كانت الخلافة حجر عثرة في طريق سيطرتها على المجتمعات الإسلامية ، فكان ولابد من إثارة الفتن والمنازعات ، واستخدمت في ذلك إحياء القوميات ، التي قضى عليها الإسلام ، فقامت في مصر الفرعونية وفي تركيا الطورانية ، وفي العراق الأشورية ، وفي لبنان الفينيقية ، وهكذا مازالوا بها حتى سقطت الخلافة ، وتمكنوا من دخول فلسطين كبداية للسيطرة العالمية ٠ بل إنهم قاموا بنشر الفرقة والفتن داخل البلد الواحد وتمزيقه إلى أحزاب وجماعات كل منها يسعى إلى السلطة جاء في البروتوكول الثالث:

"ولكي نغري الطامحين إلى القوة ٠٠ وضعنا أسلحة في أيدي كل الأحزاب وجعلنا السلطة هدف كل طموح إلى الرفعة ، وقد أقمنا ميادين تشتجر فوقها الحروب الحزبية بلاضوابط ولاالتزامات ،وسرعان ماستنطلق الفوضى ،وسيظهر الإفلاس في كل مكان "٠ [2]

وعن طريق هذه الفتن والثورات يتم الفصل بين الحاكم والمحكوم ، فكان ولابد من تحقيق هذه النتيجة بين جميع طبقات الأمم ، ومن ثم يتم تكوين رأي عام لامدلول له لاضطرابه

---

[1] الخطر اليهودي ، ص ١٥٦ ٠

[2] الخطر اليهودي ، ص ١٢٥ ٠

وحيرته وتناقضه ، وبذلك يكون الرأي العام متناقضا ٠

جاء في البروتوكول الخامس :

" ولضمان الرأي العام يجب أولا أن نحيره كل الحيرة بتغيرات من جميع النواحي لكل أساليب الآراء المتناقضة ، حتى يضيع الأمميين في متاهتهم " ٠ [1]

ولذلك فلابد : " أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين ٠٠ حتى لايستطيع إنسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق ، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضا" ٠ [2]

ويصرحوا في البروتوكول السابع بقولهم :

" ولكي نعزز خطتنا العالمية ٠٠ الواسعة يجب علينا أن نتسلط على حكومات الأمميين بمايقال له الآراء العامة التي دبرناها نحن في الحقيقة من قبل " ٠ [3]

كل هذه الأقوال صريحة في إفساد وإرباك الرأي العام الذي عن طريقه ؛ يتحقق الهدف الأكبر وهو السيطرة العالمية ٠

---

[1] الخطر اليهودي ، ص ١٣٦ ٠
[2] المرجع السابق ، ص١٣٦ ٠
[3] المرجع السابق،ص ١٤١

وسائل الصهيونية

حرصت الصهيونية أشد الحرص على تحقيق هدفها الأسمى ، مستعينة بكل ماتستطيع من وسائل ، ولذلك تعددت وسائلها ومنها:

ا ـ السيطرة الإعلامية :

لاشك أن لوسائل الإعلام أهميتها التي لاتنكر ، فهي " تستلفت الأنظار ، وتعبيء الأنصار ، وتضعف الأعداء ٠ [1] وتحقق الأهداف بأبلغ تأثير ؛ وأقوى تنفيذ يقول هرتزل * في مذكراته :

" الضجة هي كل شيء ، والحق إن الضجيج يؤدي إلى الأعمال الكبيرة "٠ [2]

ولما كانت الصحافة في بداية هذا القرن هي المسيطرة على الآراء والأفكار ، انصب إهتمامهم على استغلالها لتحقيق أهدافهم ٠

جاء في البروتوكول الثاني : " إن الصحافة ٠٠ هي القوة العظيمة التي بها نحصل على توجيه الناس ، فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور ، وتعلن شكاوي ، وتولد الضجر ٠٠ ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذاً ، وبقينا نحن وراء الستار ، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب "٠ [3]

وقد استغلوا هذا الدور العظيم في إقامة الثورات ، وتهيج العواطف الجياشة في الناس لتناصرهم ، وتظهر أنهم الشعب المضطهد المغلوب ، لتضمن بذلك تحقيق أهدافها ٠

---

[1] أساليب العزو الفكري ، ص ١٦٤ ٠

[2] المرجع السابق ، نفس الصفحة ٠

[3] الخطر اليهودي ، ص ١٢٤ ٠

* تيود ور هرتزل (١٨٦٠ ــ ١٩٠٤م) زعيم الحركة الصهيونية ، ومؤسس الصهيونية السياسية ، ولد في المجر ، اشتغل بالمحاماة ثم الصحافة ، هو الذي ، وجه الدعوة إلى عقد المؤتمر الصهيوني **الأول في بازل عام ١٨٩٧م ٠ وقد أصيب بانهيار جسدي مفاجيء عام ١٩٠٤م ٠ موسوعة المفاهيم** الصهيونية ، ص ٤١٥ ٠

جاء في البروتوكول الثاني عشر :

" ماالدور الذي تلعبه الصحافة في الوقت الحاضر ؟ إنها تقوم بتهيج العواطف الجياشة في الناس ، وأحياناً بإثارة المجادلات الحزبية ٠٠ ومعظم الناس لايدركون أغراضها ٠٠ الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين " ٠[1]

كما استعانوا بها في تأييد الطوائف المختلفة ، ليكون زمام الأمر في أيديهم ، يقلبون الثورات حسب مايتفق مع مصالحهم ٠

جاء في ذات البروتوكول :" ستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة من ارستقراطية * وجمهورية ** وثورية *** بل فوضوية **** أيضاً ٠٠ وستكون هذه الجرائد مثل الإله الهندي فشنو لها مئات الأيدي ، وكل يد ستجس نبض الرأي العام المتقلب ". [2]

أضف إلى الصحافة وسائل الإعلام الأخرى فقد كانت أداة الهدم التي يسلطها اليهود على شعوب العالم ، ولاسيما العالم الإسلامي ،

---

[1] الخطر اليهودي ، ص ١٥٩ ــ ١٦٢ ٠

[2] المرجع السابق ، ص ١٦٣ ٠

* الارستقراطية : طبقة اجتماعية عالية تشمل قادة الحكم في الدولة أو الأمة ، وتشير تاريخياً إلى شكل من الحكم يسيطر عليه عدد قليل من المواطنين الأثرياء وذوي المكانة الاجتماعية البارزة ، كانوا يحكمون بريطانيا وروسيا واليابان ،وقد تقلصت بعد الحرب العالمية الأولى ٠ الموسوعة العربية العالمية ، (٤٧٨/١) ٠

** الجمهورية :صورة من الحكومة ،يكون قائدها منتخباً لفترة معينة من الحكومة ،وفي بعض الحكومات ينتخب القادة بواسطة عدد محدود من أفراد الشعب ، وقد تأسست أقدم جمهورية في اثينا٠ واليوم أصبحت الكثير من البلدان جمهوريات في أوروبا وأمريكا اللاتينية والأمم الأفريقية والآسيوية الحديثة ٠ المرجع السابق ،(٨ : ٤٥٧)٠

*** الثورة : تغيير جوهري في الأوضاع السياسية والاجتماعية لدولة معينة ، لا تتبع في إحداثه الوسائل المقررة لذلك في النظام الدستوري لتلك الدولة،ويترتب على نجاح الثورة سقوط الدستور ، وانهيار النظام الحكومي ٠ الموسوعة العربية الميسرة ، (١ : ٥٨٣) ٠

**** الفوضوية : هي الاعتقاد بأن كل شكل من التنظيم والحكومة عمل لاأخلاقي ، وإن كل قيد يفرضه شخص على آخر شر يجب تدميره والتخلص منه ، بدأت في روسيا ، واستخدموا فكرة العنف والإرهاب للإطاحة بالحكومة ، ولجأوا إلى الثورة والاغتيالات ، وقد انحسرت قوة الفوضوية في القرن العشرين ٠ الموسوعة العربية العالمية ، (١٧ : ٥٨١)٠

حيث شنت عليه حرباً شعواء ، استهدفت شخصيته وعقليته ، فعملت على افساده من الداخل ٠

فالإذاعة مثلاً لها مفاسدها منها أنها :

أولاً : " جعلت من - أولئك المنحلين قدوة للشباب والشابات في التهتك والميوعة والانحلال ٠٠

وثانياً : أغلب برامج هذه الإذاعات تقدم باللهجات العامية ٠

وثالثاً : هي منبر ٠٠ لتهديم أركان هذه الأمة.

ورابعاً : هي أداة للتبشير بالآراء الصهيونية في السياسة والاجتماع والاقتصاد والفكر " ٠ [1]

ومع تطور وسائل الإعلام ظهرت وسيلة الإعلام المرئي كالتلفاز والسينما والفيديو والقنوات الفضائية ٠ ولعل خطرها يفوق الصحافة والإذاعة ، لأنها تعتمد على حاستين خطيرتين وهما السمع والبصر ، أضف إلى ذلك ماتحمله من سموم فكريه أثناء ماتعرضه من أفلام هابطة ومسرحيات هدامة وحفلات غنائية مختلطة ، ولاشك أن لهذه العروض انعكاسها على الأفراد والمجتمعات خاصة " على المشاهد الذي يمثل القطاع الأكبر من أناس ليس لديهم التحصين الكافي ، ولاالنظرة التحليلية ، ولاموقف التفحص لكل مايرون " [2]

ممايجعل أثرها عظيماً في تغيير القناعات والأفكار والرأي العام ٠

من خلال هذه الأهمية حرصت الصهيونية على السيطرة

---

[1] الخطر الصهيوني ، ص ١٨٤ ٠

[2] يحيى الحاج يحيى ، في مواجهة الغزو الإعلامي ، دار المجتمع ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٧ ٠

الإعلامية لتحقيق أهدافها ، خاصة في هذا الوقت الذي يلعب فيه الإعلام دوراً كبيراً في تغيير القناعات ، وإنشاء الآراء التي تتفق مع ماينشده ، ولتحقيق هذه السيطرة الإعلامية ، امتلك اليهود الإعلام الغربي بجميع مجالاته : الشبكات التلفزيونية والصحافة ، والمجلات الأسبوعية ٠

" وهذه الشبكات هي : سي ٠ إن ٠ إن (CNN) وتملكها شركة تايم وارنر ، التي يرأسها جيرالد اليفين (يهودي) ٠

وشبكة إي ٠ بي ٠ سي ٠ (A B C) ٠ وتملكها شركة والت ديزني ، التي يرأسها مايكل ايزنار (يهودي) ٠

وشبكة سي ، بي ، إس (C B S) تمتلكها شركة وستنجهارس ، ويرأس الشبكة إبريك وابر (يهودي) ٠

وشبكة إن ٠ بي ٠سي (NBC) ٠ وتملكها جنرال اليكتريك ، ويرأس قطاع الأخبار فيها اندرو لاك (يهودي) ٠٠

أما الصحافة اليومية فقد نجح اليهود في امتلاك أكبر ثلاث مؤسسات صحفية مؤثرة ٠ وهي :

١. **النيويورك تايمز** : التي تعتبر الصحيفة الموجهة لنبض المجتمع الأمريكي ، ويتولى رئاستها ،ويشغل منصب الناشر لها في الوقت الحالي أرثر اوكس سالزبرج (يهودي)

٢. **واشنطن بوست** : وهي الجريدة السياسية الأولى في أمريكا ، ويقرؤها معظم صانعي القرار ، وهي مملوكة لعائلة إيجن ماير (يهودي) ٠

٣. **وول ستريت جورنال** : **وهي صحيفة المال** والتجارة ، والتي يقرؤها السياسيون ورؤساء الشركات

والمستثمرون وأصحاب الأموال وتعتبر أكثر الصحف الأمريكية انتشاراً .

أما المجلات الأسبوعية فنجد أن أهمها على الساحة السياسية مملوك تماماً لليهود وهذه المجلات :

مجلة التايم (٤,١مليون نسخة أسبوعياً) ، ومجلة تبوزويك (٢,٣ مليون نسخة) ، ومجلة يو . إس ، نيوز (٢,٣ مليون نسخة) هذا عدا دور النشر التي يمتلك اليهود أكبرها . مثل مؤسسة تايم بوكس ، ورواندم هاوس ، وسايمون آند شوستر ، وسترن " . [1]

ومع انتشار الأطباق الفضائية في المجتمعات الإسلامية التي لم يعد يخلو منها بيت إلا مارحم ربي ؛ وصلت إلينا هذه القنوات اليهودية ، فأصبحت تعرض مايهدم القيم ، ويدمر الأخلاق .

وقد كان تأثيرها واضحاً على المرأة المسلمة ، حيث صبت في عقلها مفاهيم وقناعات تخالف ما درجت عليه من مفاهيم أصيلة مبنية على الكتاب والسنة ، لتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير .

ولقد سعت هذه الوسائل الإعلامية إلى محو شخصية المرأة المسلمة ؛ المعتزة بدينها ؛ المطبقة لأوامر ربها ، وجعلت منها امرأة ممسوخة الشخصية ، تتبع كل مايصلها عبر وسائل الإعلام ، دون أن تكترث أهو حلال أم حرام ؟ أحق هو أم باطل؟

---

[1] مقالة الإعلام الغربي وتشويه حقائق الصراع ، ص ٥٨ ــ ٥٩ .

بل وصل بهم الأمر إلى استخدام المرأة المسلمة - إلا من رحم ربي - في وسائل الإعلام ، لتعمل كآلة لهدم المجتمعات الإسلامية ، وتدمير الشباب المسلم ، وقد عظم هذا الأمر عندما ازدادت الفضائيات وتنوعت قنواتها ، وتطلبت عدداً أكبر من بنات المسلمين ليعملن بها ، ويحققن أهداف الصهيونية . هذا الانقلاب العظيم في مفاهيم المرأة المسلمة ، وتأثيرها السلبي على مجتمعاتها ، هو ماتسعى الصهيونية لإحداثه .

٢ - السيطرة الاقتصادية

الحالة الاقتصادية محور اهتمام الدول ، إذ هي السبب في ازدهار الأمم ؛ وتقدمها ، ورفعة شأنها . فإذا ما انهار اقتصادها انهارت قوتها ومركزها ومكانتها بين الدول ، وماذاك إلا لأن :" المال قوام الحياة ، به تنتظم معايش الناس ، ويتبادلون على أساسه تجاراتهم ومنتجاتهم ، ويقومون على أساسه مايحتاجون إليه من منافع " . [1] وقد وصف الله تعالى المال بأنه من زينة الحياة الدنيا قال تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . [2] وبه تتم : " تنمية المجتمع ، وتحسين أحوال الإنسان ؛ وعمارة الكون؛ والتقلب في الأرض والتعارف والتعاون ". [3] هذه الأهمية للمال جعلت الصهيونية تتخذ منه وسيلة لتحقيق أهدافها، إذ عن طريقها تتمكن من السيطرة على العالم ، وقد استغلوا هذه الوسيلة اسوأ استغلال بأساليب مختلفة كالرشوة والخديعة ، وبما

---

[1] سعاد الصالح ، مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي وبعض تطبيقاته ، دار الضياء ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ص ٦٩ .

[2] سورة الكهف ، آية : (٤٦) .

[3] نبيل السمالوطي ، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه ، دار الشروق ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ ، ص١٨٦ .

يحقق هدفهم الخبيث . فالغاية عندهم تبرر الوسيلة .

جاء في البروتوكول الأول :"يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة و الخديعة والخيانة ، إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا". [1]

ولعل أبرز دليل على ذلك محاولتهم رشوة الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد * مقابل إعطاءهم أرض فلسطين ، وقد رد عليهم بقوله :

" إن فلسطين ليست ملك يميني ،بل هي ملك شعبي ، الذي رواها بدمه . وإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتي ، وليوفر اليهود ملايينهم ، فقد يأت يوم تمزق فيه إمبراطوريتي فيحصلون على فلسطين بدون عناء " . [2]

من هنا يظهر خبث اليهود ، واستخدامهم لكل وسيلة تمكنهم من تحقيق هدفهم . وعندما لم يتحقق هدفهم قاموا بعزل الخليفة العثماني ؛ وتمزيق الخلافة الإسلامية .

وقد اهتم الصهاينة بتحقيق السيطرة الاقتصادية ، لأنها تمكنهم من تنفيذ مؤامراتهم بنجاح باهر . جاء في البروتوكول الثامن:

"إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين ، وهذا

---

[1] الخطر اليهودي ، ص١١٨ .

[2] ممدوح الروسان ــ فلسطين والصهيونية ــ جامعة اليرموك ، ط١ ، ١٩٨٣م ، ص٦٦ .

* السلطان عبد الحميد بن عبدالمجيد (١٢٥٩ ــ ١٣٢٧ هــ) ، احد سلاطين الدولة العثمانية ، ولد بإسلامبول ، تولى السلطة عام ١٢٩٣ هــ ، دعا إلى وحدة المسلمين ، رفض كل إغراءات اليهود في تقديم المساعدات الفنية والمالية مقابل السماح لهم بالهجرة إلى فلسطين ، عمل اليهود على إسقاطه ، ونجحوا عام ١٣٢٧هــ . نفي إلى سلانيك ثم أعيد إلى إسطنبول ، ليبقى سجينا في قصره إلى أن توفى . الموسوعة العربية العالمية ، (١٦ : ٨٦) .

هو السبب في أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسي الذي يعلمه اليهود ، وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك ، وأصحاب الصناعات وأصحاب الملايين ، إذ الواقع أن كل شيء سوف يقرره المال ". [1]

ولذا كان معبودهم الأول الذهب ، الذي يعدونه أعظم قوة يستطيعون بها فرض سيطرتهم . جاء في البروتوكول الثاني والعشرون :

" في أيدينا تتركز أعظم قوة في الأيام الحاضرة ، وأعني به الذهب. ففي خلال يومين تستطيع أن تسحب أي مقدار منه من حجرات كنزنا السرية .. هل يمكن ولناكل هذه الخيرات الضخمة .. أن نعجز بعد ذلك عن إثبات أن كل الذهب الذي ظللنا نكدسه قرون كثيرة جدا ؛ لن يساعدنا في غرضنا الصحيح للخير ، أي لإعادة النظام تحت حكمنا ". [2]

وهم في سبيل تحقيق أحلامهم هذه ؛ يشجعون من النظم الاقتصادية مايتوافق مع قدراتهم وأغراضهم ، فقد : " راح علماء الاقتصاد اليهود يخططون لذلك تخطيطا مرحليا ، يناسب أحوال المجتمعات الاقتصادية والنفسية ، ففي مرحلة معينة راحوا يشجعون الرأسمالية * ، حتى إذا استنفذوا أغراضهم منها

---

[1] الخطر اليهودي ، ص ١٤٢ .

[2] المرجع السابق ، ص٢٠٧ .

* الرأسمالية : هي النظام السياسي الاقتصادي القائم على الملكية الخاصة والربح الخاص . وللناس فيها حرية اتخاذ القرارفي طريقة كسب دخلهم ؛وإنفاقه ، وللشركات أن تختار السلع التي تنتج ، والخدمات التي تقدم ، تؤثر عدة عوامل على القرارات الاقتصادية في النظام . وأهمها الأفراد ، مشاريع الأعمال ، السوق ، الدخل ، الحكومة . وللرأسمالية عدة أسماء منها الاقتصاد الحر ، نظام السوق الحر ، نظام المبادرة ، حرية العمل والتجارة . الموسوعة العربية العالمية ، (١١ : ٦٢).

، راحوا ينادون بالأشتراكية * ". [١]

وعن طريق الاقتصاد تتمكن من القضاء على الدول وانحسارها جاء في البروتوكول العشرين :" إن الأزمات الاقتصادية التي دبرناها بنجاح باهر في البلاد الأممية ، قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول ، فتراكمت ثروات ضخمة .. ولقد وضعت هذه القروض على الحكومات أعباء ثقيلة ، اضطرتها إلى دفع فوائد المال المقترض مكبلة بذلك أيديها ... إن القروض الخارجية مثل العلق ، الذي لا يمكن فصله من جسم الحكومة ، حتى يقع من تلقاء نفسه ، أو حتى تتدبر الحكومة كي تطرحه عنها . ولكن حكومات الأمميين لاترغب في أن تطرح عنها هذا العلق بل هي ... تزيد عدده ، وبعد ذلك كتب على دولتهم أن تموت قصاصا من نفسها بفقد الدم". [٢]

هذا الاهتمام بالناحية الاقتصادية ، جعل لليهود قوة مالية ، اعترف بها ماركس بقوله :

" فاليهودي مثلا الذي لايحسب له حساب في فينا ، هو الذي يقرر - بقوته المالية - مصير النمسا كلها ، واليهودي الذي قد يكون في أصغر الدول الألمانية محروما من الحقوق ، هو الذي

---

[١] الخطر الصهيوني ، ص ١٩٠ .

[٢] الخطر اليهودي ، ص ١٩٨ ، ٢٠١ .

* الاشتراكية : نظام اقتصادي غربي الأصل ، وحركة سياسية ونظرية اجتماعية . تعتقد أن الحكومات هي التي لها حق امتلاك موارد الأمة واستغلالها . وتقوم على امتلاك الدولة للأراضي والمصانع وغيرها من وسائل الإنتاج. لأنهم يعتقدون أن الشر يدخل من باب الملكية الخاصة . وقد ادعت أن الأخذ بمبادئها يضمن معاملة أفضل لجميع أفراد المجتمع . الموسوعة العربية العالمية ، (٢٠٠/٢) .

يقرر مصير أوروبا بأجمعها ". [1]

بهذه القوة المالية هيمن اليهود على الاقتصاد العالمي سيطرة قد تكون كاملة . حيث يسيطرون على الشركات العالمية ؛ والبورصات ؛ والبنوك الخارجية ؛ عن طريق بث الخوف والذعر في نفوس الناس حكاما ومحكومين . الأمر الذي يدفعهم إلى تحويل أموالهم إلى البنوك الخارجية ، حيث يتحكم بها اليهود فتضيع أموالهم في بلادهم . لذلك فمن :" الصعب أن يستطيع الباحث حصر رأس المال اليهودي في العالم ، ليس فقط لأنه يتطور بسرعة ؛ وينمو ؛ ويزداد بلاتوقف . بل لأن المال بطبيعته لايمكن تحديد دينه أو جنسيته فأكثر أسهم الشركات والاحتكارات في العالم هي سندات لحامليها " [2]

إذن هذه القوة المالية لليهود إنما هي بأموال الناس ، ولاشك أن لها من أموال العالم الإسلامي نصيب الأسد ، أفرادا وجماعات ، حكاما ومحكومين . وإنما عمل اليهود في هذا المال السيطرة والتحكم فيه واستغلاله في تحقيق أهدافهم ، وبذلك يتم ضرب الإسلام بأموال المسلمين .

---

[1] فتحي الرملي ، الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار ، دار الكاتب العربي ، ط٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٦٤.
[2] المرجع السابق ، ص ٩٧ ــ ٩٨ .

بعد هذا العرض لهذه التيارات والمذاهب الهدامة نجد أنها تتفق فيما بينها في الهدف الأساسي والوسائل بشكل عام ،فهم مجمعون على تقويض المجتمع الإسلامي ، وهدم ركائزه في نفوس أبنائه ٠

حيث نجد الصلة بينهم صلة وثيقة متبادلة ، فالتجاوب بينهم تجاوبا مستمرا ٠ وإن أخذ الاستشراق صورة البحث العلمي ، وأخذ التنصير صورة الخدمات الإنسانية ٠ بل إن الاستشراق لم ينشأ أصلا إلا لمساعدة التنصير ذلك أن الصراع بين الإسلام والتنصير يفرض عليهم الاطلاع على دين المسلمين وفكرهم وحضارتهم ٠

وقد جاء في قانون الأبرشية الصادر في سنة ١٨٤٩م مايؤيد ذلك " فقد نص أحد بنوده على مايلي : ينبغي أن لاينسى الرهبان مهمتهم الأساسية لدى الأهالي .أي تنصيرهم ٠٠ ولذا يجب عليهم تعلم اللغة العربية والقرآن ودراسة عادات الأهالي وتقاليدهم ،حتى يتمكنوا من إطلاعهم على الجانب المغلوط والغير أخلاقي في عقيدتهم " ٠ [1]

فالاستشراق إذن المعين الأول للتنصير ، إذ يمكنه من الوقوف على أوضاع العالم الإسلامي ، والإشراف على الجهود التنصيرية ، وتشجيعها ، ودفعها إلى الأمام ، وتجهيز الدعاة ، والعمل على كل مامن شأنه زيادة الجهود التنصيرية في العالم الإسلامي ٠

كما أن للاستشراق دوره في مساندة الصهيونية في :"

---

[1] مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ، ص ٧٣ ٠

الحصول على كل مايجب أن يعرف عن فلسطين لتسهيل مهمة الاستيطان الصهيوني فيها ، وإمكانية اغتصاب أراضيها ٠٠ وبذلك أسهم في تكوين صورة كاملة عن أوضاع فلسطين من أوسع مداها وأدقها ، وأصبحت هذه الصورة ذات أهمية بالغة ساعدت بقدر كبير على مجيء الصهيونية إلى فلسطين " ٠ [١]

كذلك كان للتنصير دور مهم في مساندة الصهيونية ، حيث " ارتبط وجود إسرائيل بمساندة الدول الأوربية ، تحت شعار أنها تعمل على نشر الحضارة الغربية في الوطن العربي ، والأمر المهم أن العنصر الأساسي لهذه الحضارة هو النصرانية "٠ [٢]

ويوضح د / محمود عبدالعليم هذه العلاقة بقوله :

" العلاقة بين التبشير والتغريب والاستعمار ، حيث الصلة بين هذه الثلاثية صلة قوية عضوية تبادلية ، فالتبشير مقدمة للتغريب والاستعمار ٠٠ والأخيران مهما اختلفت مواقعهما يمدان يد العون والمعونة للتبشير كي يُعمِل معاوله في هدم الجدار الإسلامي " ٠ [٣]

كذلك يرى أ / أنور الجندي " أن وراء مخططات التبشير والتغريب والغزو الثقافي قوى صهيونية واستعمارية تحاول أن تلقي إلى العالم الإسلامي فكرا زائفا ؛ وشبهات مضللة ؛ تستهدف إفساد حضارته ومفاهيمه " ٠ [٤]

نخلص مماسبق أن العلاقة بينهم علاقة تلازم ، فإذا وجد

---

[١] فلسفة الاستشراق ، ص ١٤٢ ــ ١٤٣ ٠

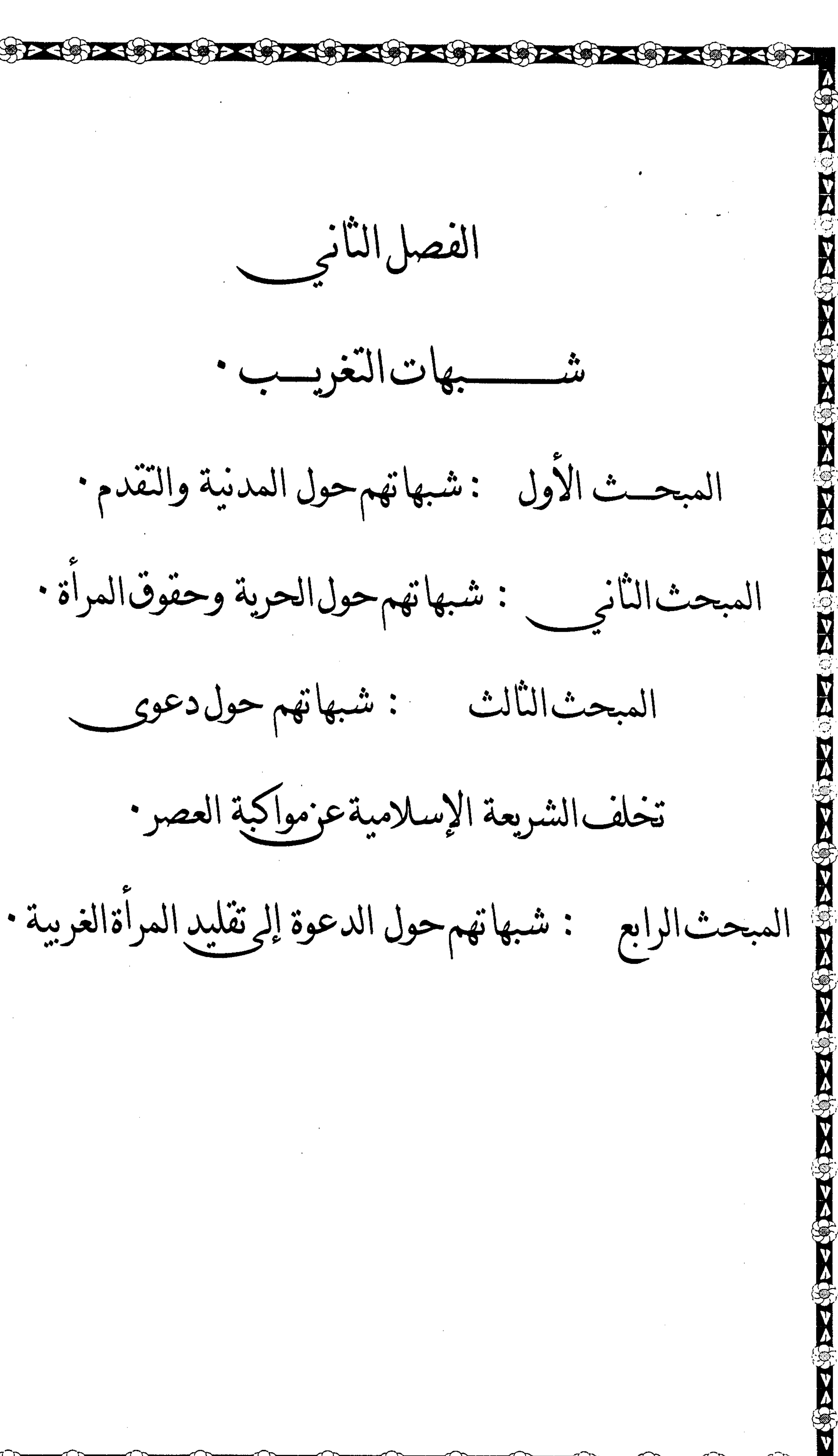
[٢] ملامح عن النشاط التنصيري ، ص ٦٦ ٠

[٣] التغريب في التعليم في العالم الإسلامي ، ص ٨٩ ٠

[٤] شبهات التغريب ، ص ١٩

أحدهم فلابد من وجود الآخرين • فهم كتلة متجمعة ، تتكاتف مع بعضها ، وترتبط ارتباطا وثيقا لاينفصل •

فالتنصير يستخدم سموم الاستشراق ، ليتم التشكيك وهدم ركائز الإسلام في نفوس المسلمين ، ومن ثم إبعادهم عن دينهم ، وإخراجهم من قيمهم ، فيكون التغريب • وإذا ماتم التغريب استطاعت الصهيونية أن تفرد أجنحتها على العالم الإسلامي ، وتسيطر عليه • فهم عدو واحد ،وهدفهم واحد ، وهو القضاء على الإسلام •



الفصل الثاني

شبهات التغريب .

المبحث الأول : شبهاتهم حول المدنية والتقدم .

المبحث الثاني : شبهاتهم حول الحرية وحقوق المرأة .

المبحث الثالث : شبهاتهم حول دعوى

تخلف الشريعة الإسلامية عن مواكبة العصر .

المبحث الرابع : شبهاتهم حول الدعوة إلى تقليد المرأة الغربية .

تمهيد

أقام الإسلام مجتمعه على أسس متينة ، وأحاطه بسياج حصين، يحفظه من كل اعتداء عليه ،سواء كان اعتداء فكرياً أو ثقافياً أو عسكرياً . فلما أراد دعاة التغريب صبغ العالم الإسلامي بالصبغة الغربية ؛ لاقوا صدوداً عنيفاً ، واستنكاراً لأقوالهم وأفعالهم .

من هنا لجأوا إلى فتنة الشبهات ، فأشاعوها داخل المجتمع الإسلامي .

ومفهوم الشبهة كما جاء في اللسان :

" الشبهة : الالتباس . وأمور مشتبهة مشبهة مشكلة : يشبه بعضها بعضاً . وشبه عليه : خلط عليه الأمر ، حتى اشتبه بغيره".[1]

ويعرفها محمد وجدي :

" الشبهة : الالتباس ، ومايلتبس فيه الحق بالباطل ". [2]

وعلى هذا فلابد في الشبهة إذن جزء من حق وجزء من باطل . ويكمن جزء الحق في الكلام ، الذي يطلقه دعاة التغريب . أما الجزء الباطل فهو مايقوم به دعاة التغريب من تأويل النص إلى مالايحتمل من التأويل ؛ وتوجيهه غير وجهته ، فيخرجون بالحق عن المراد به شرعاً .

حتى إذا ماتمكن التأويل الباطل في النفوس ، ونزل له القبول في القلوب .

بدأ دعاة التغريب يلمحون إلى مايقصدونه من وراء هذه

---

[1] لسان العرب ، (١٣ : ٥٠٤).

[2] محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ط٣ ، ١٩٧١ م ، (٥ : ٣٦٢).

الشبهات ، ثم يتواصل التلميح بالتصريح وهكذا إلى أن يصل بهم الأمر إلى عرض الشبهات بباطلها الصريح ٠ والأصل في داعية الشبهة أن يكون من أعداء هذا الدين ، بحيث يدبر ويخطط لزرع هذه الشبهات ٠

ولكن قد يكون من أبناء المسلمين ، فلايأتي بها بقصد الإفساد ، وإنما لجهالته بدين الله تعالى ،ولعدم معرفته بمايجوز فيه الاجتهاد ومالايجوز ٠ فيدخل برأيه فيما لاعلم له فيه ٠

ومن المعلوم أن النصوص تنقسم إلى : نصوص محكمة ؛ ونصوص محتملة ٠

والنص المحكم : لايملك معه المسلم إلا أن يقول : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [1]

أما النصوص المحتملة ،فيتم عرضها على النصوص المحكمة ،ومن ثم يمكن الاجتهاد فيها من أهل الاختصاص الذين هم أهل الاجتهاد ٠ قال تعالى ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [2] ٠

وقد نهى الله تعالى عن أن نتدخل فيمالاعلم لنا به ٠ قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [3]٠

ولكن داعية الشبهة لايعترف بالجهل ، فلايميز بين المحكم والمحتمل فيتدخل برأيه فيما ليس له فيه ٠ والدين ليس بالرأي إنماهو اتباع ، لأن مبلغه صلى الله عليه وسلم بلغه عن ربه ٠ وصدق الإمام علي رضي الله عنه حين قال :" لو كان الدين بالرأي

---

[1] سورة البقرة ، آية : (٢٨٥) ٠
[2] سورة النساء ، آية:(٨٣) ٠
[3] سورة الإسراء ، آية : (٣٦) ٠

لكان أسفل الخف أولى بالمسح من ظاهره " [1]٠

وإذا ماتدخلت الآراء في النصوص فسنجد التحريف والانتحال والتأويل ٠

يقول د/ عبدالله بركات عن أثر تداخل العقول في النصوص : " كلما طال الأمد ،وضعف الحس الديني ، أوزال سلطانه من نفوس الناس ، اغتنم الشيطان الفرصة السانحة ، فاجتهد وأولياؤه ٠ فإذا بالعقول تحقيقاً للأنا تتدخل في النصوص ٠٠ فإذا بتحريف غال زين له الشيطان عمله ، فضل سعيه ٠٠ وإذا بانتحال مبطل يريد القضاء على الدين،وإن تظاهر بأنه من أهله ، ومن أحرص الداعين إليه ، وإنما يهدف بتظاهره هذا المخالف لباطنه الانتصار لما كان عليه أسلافه من عبادة الباطل ٠٠ أو القضاء على الدين حقداً عليه ٠٠ وإذا بتأويل جاهل يخرج بالنص عن روحه ، فإذا أعمى يقود أعمى وضلال وإضلال "٠ [2]

ولما كان داعية الشبهة يقول برأيه ، فإن هذا الرأي سيكون تابعاً لما يهوى ويحب ، ولاشك أن اتباع الهوى سبب الضلال ٠ وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [3]٠

وهكذا يظهر أن الجهل بأمور الدين،يؤدي إلى التدخل في النصوص بالرأي ، الذي يكون تبعاً للهوى ، ممايؤدي إلى إلباس الباطل بثوب الحق ، وهكذا تنشأ الشبهات ٠

---

[1] عبدالله بن أحمد المقدسي ، المغني ، عالم الكتب ، بيروت ، (١ : ٢٩٨)

[2] عبدالله بركات ، المدخل لدراسة الأديان : ص٨٣ ٠

[3] سورة الجاثية ، آية : (٢٣) ٠

ولابن القيم كلام قيم في هذه المسألة يقول : " والفتنة نوعان : فتنة الشبهات ،وهي أعظم الفتنتين ،وفتنة الشهوات ٠٠ ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة ، وقلة العلم ، ولاسيما إذا اقترن بذلك فساد القصد ، وحصول الهوى فهنالك الفتنة العظمى ،والمصيبة الكبرى ، فقل ماشئت في ضلال سيء القصد ، الحاكم عليه الهوى لاالهدى ٠٠

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد ، وتارة من نقل كاذب ، وتارة من حق ثابت خفي ٠٠ ، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي من عمى البصيرة وفساد في الإرادة ".[1]

وعلى هذا نستطيع أن نقول : أن دعاة التغريب فريقان :

فريق من أبناء المسلمين الطامحين إلى التقدم ، والذين أساءتهم الحالة المتردية ، التي يعيشها المجتمع الإسلامي بعد فترات الاستعمار وغياب الوعي الإسلامي والركود والتخلف عن طبيعة البيئة الإسلامية ٠ هؤلاء الأبناء من خيرة أبناء العالم الإسلامي ذكاء وجدية ونشاطاً ، يسعون للتقدم ، ويطمحون لنيل الدرجات العلمية ٠ لقد وجد فيهم الغرب الوسيلة المجدية لتغريب العالم الإسلامي عن طريق البعثات الخارجية ٠

فأخرجوهم إلى مجتمع منحل يتحقق فيه التقدم العلمي والتطور الحضاري مع انعدام التوجيه الإسلامي والرأي الصائب والفقه الديني ،فانبهروا بما رأوا وأخذ ألبابهم الجزء البراق من هذه الحضارة ، حيث تجسدت المباديء النظرية ، التي نشأوا عليها إلى

---

[1] محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق وتعليق مجدي فتحي السيد ، توزيع المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، دار الحديث القاهرة ، ص ٥٣٤ ــ ٥٣٥ ٠

واقع ملموس في المجتمع الغربي ، فأصبحوا يحملون نفسيه ممزقة بين ماكانوا عليه في أول حياتهم ، وماطلعوا عليه حديثاً ، هذه النفسية مستعدة للتخلص من الماضي ومهيئة لنبذ كل قديم ٠ فعادوا إلى بلادهم يشيدون بهذه الحضارة ، ويطالبون بتقبلها وتطبيقها في المجتمع الإسلامي ٠ حتى صاروا أبواقاً للغرب تدعو إلى تغريب المجتمعات الإسلامية ٠ أما الفريق الآخر : فهم فئة مغرضة ،تعرف كيف تدعو إلى مبادئها ، وتحقق أهدافها ، ولقد وجدوا في الإسلام الحاجز القوي ضد وصولهم إلى أغراضهم ، فأرادوا تدميره والقضاء على مايمثله من قيم وفضائل عن طريق بث الشبهات فقالوا : إن الإسلام يدعو إلى العلم ،وإن أوروبا قد حققت التقدم العلمي المادي ، ولكي نكون كماكانت ونحقق التقدم ، فلابد من أن نرتسم خطاها ، ونسير على هداها ، ونقتفي أثرها في كل مانأتي وماتذر ٠

عن طريق هذه الشبهات خلطوا على الناس الحقائق ، وألبسوا الباطل ثوب الحق ٠ فهذه الفئة فئة مغرضة ، تقول كلمة حق لتريد بها باطل ولكن هذه الشبهات التي يقذفها دعاة التغريب ، لايكون لها القبول وتحقق الثمرة المرجوة منها ، إلا إذا توفرت في المجتمع الإسلامي أسباب تهيء الجو لتقبل هذه الشبهات ، فمع وجود النبي ﷺ وتمسك المسلمين بدينهم والسير على منهج الله ، واتباع هديه ، تبعد عنهم الشبهات ، وتفتقد أثرها ، ولايمكن تقبلها ، أما إذا طال عليهم الأمد ، وابتعدوا عن مصدر الوحي ، وبدأوا في إعمال العقول في النصوص ، واتبعوا الأهواء نزلت الشبهات في النفوس ، ونالت القبول ، وراجت الشبهات داخل المجتمع المسلم ، وعلى

هذا يمكن أن نقول : إن هذه الشبهات قد تقع من مبطل مغرض ؛ يريد القضاء على الدين الإسلامي مع تظاهره بأنه حريص على هذا الدين ورفعته ورفعة أهله ، ومن ثم يستغل جانب الشبهات ، فيبذرها في المحيط الإسلامي ..

وقد تقع من مصلح يريد الإصلاح فيفسد لجهله بأمور الدين ،ولو أنه ردالعلم لأهله ، ولمن هو أعلم منه وأفقه ، لدله على طريق الخير ،وبدأ يصلح مسترشداً بنور العلم .

وفي هذا الفصل سنعرض بالتفصيل لأربع شبهات ألقاها دعاة التغريب في المجتمع الإسلامي بغية القضاء عليه وهي :

المدنية والتقدم ، الحرية وحقوق المرأة ، دعوى تخلف الشريعة الإسلامية عن مواكبة العصر ، الدعوة إلى تقليد المرأة الغربية .

المبحث الأول

شبهاتهم حول المدنية والتقدم

المفهوم اللغوي للمدنية

جاء في لسان العرب :

" مدن بالمكان : أقام به ، ومنه المدينة ٠

ومدن الرجل إذا أتى المدينة ٠٠ والمديّنة : الحصن يبنى في أصطمة الأرض ٠ ويقال للأمة مدينة : أي مملوكة "٠ [1]

وفي المعجم الوسيط :

"مدن فلان مدوناً : أتى المدينة ، تمدن : عاش عيشة أهل المدن ، وأخذ بأسباب الحضارة ٠٠ تمدين : عاش عيشة أهل المدن ، وتنعم ، وأخذ بأسباب الحضارة ٠

المدنية : الحضارة واتساع العمران "٠ [2]

وقال في القاموس المحيط :

" مدن : أقام ، ومنه المدينة : للحصن يبنى في أصطمة أرض.

ومدائن ومُدن ومدَن : أتاها ٠

ومدن المدائن تمديناً : مصرها "٠ [3]

المفهوم اللغوي للتقدم :

أما التقدم فقد جاء في اللسان :

" القدم والقدمة : السابقة في الأمر يقال لفلان قدم صدق : أي أثرة حسنة ٠

---

[1] لسان العرب ، (١٣ /٤٠٢ ـ ٤٠٣) ٠
[2] المعجم الوسيط ، (٢ : ٨٦٥) ٠
[3] القاموس المحيط ، (٤ : ٢٧٢) ٠

قالوا : القدم والسـابقة : مـاتقدموا فيـه غـيرهم ، وقـدّام : نقيـض وراء ٠٠ والقدم :المضيّ أمام أمام ٠ والتقدمية : إذا تقدم في الشرف والفضل ؛ ولم يتأخر عن غيره في الإفضال علـى النـاس ٠ وقيـدوم كل شيء : مقدمته وصدره وماتقدم منه ٠٠

وقيـل : مقدمـة كـل شـيء أولـه ، ومقـدم كـل شـيء : نقيـض مؤخره"٠ [1]

وجاء في المعجم الوسيط :

" قدم فلان قدماً : تقدم ٠٠٠ قدوماً : سبقهم ، فصـار قدامـهم ٠٠ قدَّمه : جعله قداماً ٠

تقدم القوم وعليهم : سبقهم في الشرف والرتبة ، فصار قدامهم.

والقدام : من يتقدم الناس بالشرف والرياسة "٠ [2]

المفهوم اللغوي للحضارة :

جاء في اللسان : " حضر : الحضور نقيض المغيب والغيبة ٠

الحاضر : المقيم في المدن والقـرى ٠ والحِضـارة : الإقامـة فـي الحَضَر ٠

والحَضَـر والحـاضرة : خـلاف الباديـة ؛ وهـي المـدن والقـرى والريف ، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار ؛ التي يكون لهم بها قرار "٠ [3]

وفي المعجم الوسيط يقـول : " حضـر فـلان حضـارة : أقـام فـي الحضر ٠٠

الحضارة :الإقامة في الحضر ، ومظاهر الرقي العلمـي والفنـي

---

[1] لسان العرب ، (١٢ : ٤٦٥ ــ ٤٧٢) ،وانظر القاموس المحيط ، (٤ : ١٦٣ ــ ١٦٤) ٠
[2] المعجم الوسيط ، (٢ : ٧٢٦ ــ ٧٢٧) ٠
[3] لسان العرب ، (٤ : ١٩٦ ــ ١٩٧) ٠

والأدبي والاجتماعي في الحضر ".[1]

من خلال المفاهيم السابقة يتضح أن مفهوم المدنية يتوافق مع مفهوم الحضارة ، وهي العيش عيشة أهل المدن ؛ والأخذ بمظاهر الرقي والتقدم . والتقدم : السبق في الشرف والرتبة ؛والإفضال على الناس وتقدمهم .

المفهوم الإصطلاحي للمدنية :

اختلف الباحثون في مفهوم المدنية. فمنهم من يرى أن مفهومها يتطابق مع مفهوم الحضارة ، ومنهم من يرى أن المدنية أخص من مفهوم الحضارة وأنها فرع من فروعها .

فيعرفها محمد فريد وجدي

" الحالة الراقية التي توجد عليها الأمم تحت تأثير العلوم العالية؛ والفنون الجميلة والصنائع المناسبة لهذه الحالة ". [2]

ويرى محمد البطاينة أنها :

" مجموعة المظاهر المادية التي تمثل مستوى إشباع الحاجات الإنسانية في المجتمع ".[3]

وممن فرق بينهما د/ أحمد الشريف الذي يرى :

" أن الحضارة : تشتمل على النشاط الاجتماعي في كافة جوانبه الروحية والمادية . وأما المدنية : فهي مجرد النشاط المادي للمجتمع . وبذلك تكون المدنية جانباً من جوانب الحضارة ، وفرعاًمن فروعها ". [4]

---

[1] المعجم الوسيط ، (١ : ١٨٠) .
[2] دائرة معارف القرن العشرين ، (٨ : ٥٥٣) .
[3] محمد البطاينة ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار الفرقان ،ط١ ، ١٤٠٣هـ ، ص ٦ .
[4] أحمد الشريف ، دراسات في الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربي ، ص٢٢ .

وممن ذهب إلى هذا الاتجاه د/ أحمد السايح فقد عرف الحضـارة بأنها : " جملة المظاهر المعنوية التي يخلفها التـاريخ ، والتـي تبقـى في المجتمـع علـى مـر الأيام دليـلاً علـى القـدرات الذهنيـة المميـزة وتعبيراً عن روح هذا المجتمع والشعب الذي يمثله ..

والمدنيـة : هـي الوسـائل والأدوات الماديـة ؛ التـي يسـتعين بـها الإنسان على تحقيق حضارته ".[1]

وعلى اعتبار أن المدنية بمعنى الحضارة ، نجـد أن ابـن خلـدون يعرف الحضارة بأنها : " أحوال عادية زائدة علـى الضـروري مـن أحوال العمران زيادة ، تتفاوت تفاوت الرفه ، وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتاً غير منحصر " .[2]

ويعرف ول ديورانت الحضارة بأنـها :" نظـام اجتمـاعي يعيـن الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي ".[3]

أما أبو زيد فيعرفها بأنها :

" مدى ماوصلت إليه أمة من الأمم في نواحـي نشـاطها الفكـري والعقلي من عمران وعلوم ومعارف وفنون ومالإلى ذلـك ، والـترقي بها في مدارج الحياة ومسالكها ، حتى تصل إلى الغاية التي تواتيـها بها أحوالها وإمكانياتها المختلفة ".[4]

ويختار محمد عثمان التعريف القائل بأنها :

" التدخـل الإنسـاني الإيجـابي لمواجهـة ضـرورات الطبيعـة ،

---

[1] أحمد عبدالرحيم السايح ، أضواء على الحضارة الإسلامية ، دار اللواء ، ط١ ، ١٤٠١هـ ، ص١٨ .

[2] مقدمة ابن خلدون ،ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ .

[3] ول ديورانت ـ قصة الحضارة ـ الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية،ترجمة زكي نجيب محمود ، ط٤ ، ١٩٧٣م ، (١ : ٣) .

[4] أبو زيد شلبي ،تاريخ الحضارة الإسلامية ، مكتبة وهبه ، ط٣ ، ١٣٨٣ هـ ، ص ٧ .

تجاوبا مع إرادة التحرر في الإنسان ،وتحقيقا لمزيد من اليسر في إرضاء حاجاته ورغباته ، وإنقاصا للعناء البشري " ٠ [١]

والذي أراه أن المدنية هي الحضارة ، إذ إن القائلين بالتفرقة بينهما اعتمدوا على التفريق بين ماهومادي وماهو معنوى من نشاطات المجتمع ٠ ولاشك أنها وجهة نظر قابلة للمراجعة ،لأن المظاهر المعنوية والمظاهر المادية بينهما كثير من التفاعل على نحو يجعل كلا منهما متأثرة بالأخرى ومؤثرة فيها ٠

ويعين على هذا الرأي أن المفهوم اللغوي للمدنية والحضارة متوافق ، ولابد من رابطة بين المفهوم اللغوي والمفهوم الاصطلاحي ٠

مفهوم التقدم في الاصطلاح :

يرتبط التقدم بمفهوم الحضارة ارتباطا وثيقا ، لأن هناك من يرى أن الحضارة تطلق على :" دراسة تقدم وازدهار المجتمعات المختلفة في المدن ٠ لأن التقدم يظهر حيث يجتمع الناس ،وتختلف مهنهم ، وتتنوع فاعلياتهم "٠ [٢]

ومن هؤلاء شفيتسر الذي يعرف الحضارة بأنها :

" التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء "٠ [٣]

وهناك من يضيق في مفهوم التقدم بحيث يحصره في التقدم المادي فقط ٠ وعلى هذا يصف المجتمعات الإسلامية بالتأخر والرجعية والتخلف عن موكب الحضارة ٠ ولاشك أن هذا الحصر

---

[١] محمد عثمان ــ القيم الحضارية في رسالة الإسلام ، الدار السعودية ، ط١ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٥ــ ١٦٠

[٢] أنور الرفاعي ، الإنسان العربي والحضارة ، دار الفكر ، ص ١٥ ٠

[٣] مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا ، المكتب الإسلامي ، بيروت ــ دمشق ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ ،ص ٣١ ٠

تضليل لهذا المصطلح ، لأنه يغفل جهود الآلاف من علماء المسلمين، الذين ساهموا في بناء حضارة شهد الجميع بتميزها وفضلها على الحضارة الحديثة ٠

كما أن هذا الحصر يؤدي إلى نتائج شديدة الخطورة على الحضارة نفسها ، إذ إنه يقدم الرقي المادي على الرقي الأخلاقي ، الذي يمثل الأساس في تقدمنا الحضاري ، والذي يعطينا على الغرب ميزة لاتعادلها ميزة أخرى ٠ وفي الوقت الحاضر تبرز هذه النتائج واقعاً ملموساً ؛ ينذر بانهيار الحضارة المادية ،ويعد انهيارها نتيجة حتمية لقيامها على الجانب المادي فقط ، وإغفالها للجانب الروحي ٠ وهكذا كان هذا الحصر لمفهوم التقدم معول الهدم الذي يدمر الحضارة الغربية ٠

وعلى هذا يمكننا أن نقول إن التقدم هو : الرقي الحضاري في جميع الميادين الخلقية والمادية ٠

موقف دعاة التغريب :

استند دعاة التغريب في المطالبة باتباع المدنية الغربية على أن الإسلام قد حث على طلب العلوم ، ولم يقف في وجه أي علم منها ٠ وهذا حق لاشك فيه ٠ وأن الدول الغربية دول متقدمة ومتطورة في المجال المادي وهذا حق ٠ولكنهم لبسوا هذا الحق بالباطل ، فقالوا : إننا لن نتقدم كما تقدمت أوروبا في هذه العلوم ، إلا إذا سرنا سيرة الأوربيين ،واتبعنا طريقهم ٠ فطريق التقدم هو طريق أوروبا ٠ وهذا هو الباطل الذي نادوا به في أقوالهم ، كما اعتقدوا أن الشرق لن يحقق التقدم والرقي إلابعد أن يأخذ بحظه من المدنية الغربية ، ويقتفي أثرها ، ويأخذ بأنماط المعيشة فيها ٠

ومن هؤلاء د / طه حسين الذي يقول :

" إن مقياس رقي الأفراد والجماعات في الحياة المادية ٠٠ إنما هو حظنا من الأخذ بأسباب الحياة الأوربية ".[1]

من هنا نجده يطالب بأن : " نسير سيرة الأوربيين ، ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ومايحب منها ومايكره ، ومايحمد منها ومايعاب ".[2]

ويضيف قائلا :

" إنه يجب على مصر أن تتوخى سنن الحضارة الغربية والرقي الديمقراطي ،ناهجة في ذلك نهج فرنسا وإنجلترا في القريب العاجل بلاقيد ولامواربة ".[3]

وممن طالب بتقبل الحضارة الغربية والأخذ بها السير أحمد خان، الذي يقول :" إنه لابد للمسلمين أن يقبلوا حضارة الغرب بتمامها ، حتى يعدوا في الشعوب المتمدينة والمثقفة ، ولاتزدريهم أعين الأمم المتحضرة " .[4]

وممن ذهب إلى هذا الاتجاه سلامة موسى في قوله :

" وليس هناك حد يجب أن نقف عنده في اقتباسنا من الحضارة الأوروبية ".[5]

---

[1] طه حسين ، مستقبل الثقافة في مصر ، دار المعارف ، ط٢ ، ص٣١ ٠

[2] المرجع السابق ، ص ٣٩ ٠

[3] أنور الجندي ، طه حسين ، ص ١٠١ ٠

[4] الحلول المستوردة ، ص ٣٩ ٠

[5] الإسلام في وجه التغريب ، ص ١١٣ ٠

وفي تركيا كان جوق ألب ضياء يقول * :

"علينا أن نختار إحدى الطريقتين : إما أن نتقبل الحضارة الغربية ، أو نظل مستعبدين لقوى الغرب "٠ [1]

ومن هؤلاء داعية تغريب مصري ذكر قوله د/ محمد كرد علي في كتابه الإسلام والحضارة العربية ؛ يقول :

"إن الرابطة الحقيقية أن نفنى في مدنية أوروبا ، ونتطور بتطورها ، ونتزوج من بناتها ، ونزوجهم بناتنا ، ونأخذ عنهم كل شيء ٠ وإن الأصلح لمصر إذا أرادت التخلص من آسيا والشرق والتاريخ العربي أن تعود إلى وطنية فرعونية مقصورة على مصر وتاريخ مصر ٠٠ إن من تأمل أحوال الأمم الناهضة ؛ يعرف أنه ليست أمة تنهض في العالم الآن إلا وتنسلخ من قديمها " ٠ [2]

وهكذا نجد دعاة التغريب يطالبون بالذوبان في المدنية الغربية ٠ بكل مافيها من خير وشر ، بناء على ماراوا من تقدم في الجانب المادي فقط ، وهم بذلك قد قصروا نظرهم على جانب واحد ،وأغفلوا الجانب الآخر ٠

فهل يصح إصدار الأحكام بناء على نظرة قاصرة ؟!

وهل نحن حقا بحاجة إلى الأخذ بالمدنية الغربية ؟!

هذا ماسنتعرف عليه في مجال الرد على هذه الشبهة ٠

---

[1] الحلول المستوردة ، ص ٣٩ ٠

[2] محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط٣ ، ١٩٦٨م ، (١ : ٤٦)

* جوق ألب ضياء (١٨٢٦ ــ ١٩٢٤م) عالم اجتماعي سياسي من تركيا ، درس في فرنسا ٠ رأى ضرورة ربط الأتراك بالحضارة الغربية الحديثة ٠ يعتبر منظرا للقومية التركية الحديثة ٠ من أهم كتبه مبادىء القومية التركية ٠ أصبحت أفكاره سياسة رسمية للحكومة التركية بعد أن تبناها كمال أتاتورك ٠ الموسوعة العربية العالمية ، (١٥ : ٣٤٠) ٠

الرد على هذه الشبهة

من خلال عرض الشبهة تبين لنا أنها شبهة بنيت على نظرة قاصرة • فدعاة التغريب لم يروا في الحضارة الغربية إلا الجانب المادي ، فانبهروا بهذا الجانب البراق ؛ الذي يلفت نظر المحروم منه •ولو أنهم طالبوا باقتفاء أثر هذه الحضارة في الناحية المادية والتقدم العلمي ، لكان ذلك عين الصواب ، ولوافق حكمهم نظرتهم • ولكنهم للأسف قصروا نظرهم على جانب ، وعمموا حكمهم على جميع الجوانب ؛ فطالبوا بالأخذ بمدنية الغرب وتقبلها بتمامها • وأضافوا إلى هذا الخطأ خطأ آخر ، وهو اعتقادهم أن المسلمين لن يحققوا التقدم والحضارة إلا بأخذ هذه المدنية بكل أجزائها ، فهي غير قابلة للتجزئة في نظرهم •

رغم أن الواقع يكذب هذه المقولة ، فلو نظرنا إلى أوروبا ، حين أخذت من المسلمين حضارتهم ، لم تأخذ بكل جوانب المدنية الإسلامية ، وإنما أخذت الجانب المادي فقط ،واستفادت ،وطورت ، حتى أنشأت هذه الحضارة الحديثة •

وهذا ماحدث في اليابان أيضا ،فقد أخذت من الدول الأوربية ماديتها ،ولم تأخذ بأخلاقها ، بل بقيت على وثنيتها وعاداتها وتقاليدها ، ومع ذلك فقد حققت التقدم الذي تنشده ، وأصبحت في الوقت الحاضر في مصاف الدول المتقدمة •

وهكذا حال جميع الأمم المتقدمة ، لم تأخذ من حضارات السابقين لها إلا مايفيدها في تقدمها المادي •

فلماذا يرفض دعاة التغريب هذا بالنسبة للمسلمين ؟ ولماذا يريدون منا أن نأخذ خيرهم وشرهم ليتحقق لنا برأيهم الرقي

والتقدم؟ ولماذا يشترط علينا الانسلاخ من ديننا في سبيل قيام حضارة لنا؟!

من هنا يتأكد لنا أن دعاة التغريب قوم مغرضون ؛ يريدون الإفساد لاالإصلاح ٠

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾٠ [1]

فدعاة التغريب قوم حريصون على إفساد الأمة الإسلامية ، لأنهم يريدون الوصول بهذه الدعوة إلى نبذ الدين ، وتحطيم الإسلام في نفوس المسلمين ٠ فهم لايريدون التقدم العلمي ٠ بقدر مايريدون التقدم الذي يقوم على أنقاض الدين ٠ " التقدم الذي يكون بلاهوية ولاتكليف ديني ، التقدم الذي يخلع أصحابه الربقة والتكاليف الشرعية ، التقدم الذي لايحل أصحابه حلالاً ولايحرمون حراماً ؛ ولايعرفون معروفاً ولاينكرون منكراً ، تقدم المفسدين المضلين ، لاتقدم الأئمة المهتدين "٠ [2]

وعلى هذا الأساس قاموا بهذه الدعوة ، وكانوا حريصين على تمييع المسلمين من بقايا الجانب الروحي لديهم ، ولن يكون ذلك إلا عن طريق اتباع الحضارة الغربية ،فالانغماس في الشهوات والملذات يطفيء جذوة الدين في النفوس ، حتى يقضي عليها تماماً ٠ ولو كان مقصدهم الإصلاح كما يدعون ورغبة في ارتقاء المدنية

---

[1] سورة البقرة ، آيتا : (١١ ــ ١٢) ٠

[2] صلاح الصاوي ــ تحكيم الشريعة ودعاوي العلمانية ، مركز بحوث تطبيق الشريعة ، إسلام آباد ــ باكستان ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٤٣ ٠

المادية لدى المسلمين ، لكانوا نظروا إلى أن الشرق و الغرب كلاهما متقدم في جانب ومتخلف في جانب ، فكما أن الشرق متخلف في الناحية المادية ، فالغرب متخلف في الناحية الروحية ، وكما أن الشرق متقدم في الناحية الروحية ، كان تقدم الغرب من الناحية المادية • وعلى هذا فكما أن الشرق مطالب بالتقدم المادي ، لابد من مطالبة الغرب بالتقدم الروحي ، وهذا مالم يطالب به أحد •

إذن نخرج من ذلك أن دعاة التغريب مغرضون يريدون هدم الدين مع تظاهرهم بحرصهم على الدين ورفعته •

ومع هذا فهل نحن بحاجة إلى مدنية الغرب ؟!

إن الناظر إلى واقع المدنية والتقدم في الأمة الغربية ؛ يجد أن هذه الأمة لم تكن تعرف من المدنية والتقدم شيئا ، بل كانت تعيش عصورا مظلمة تحت سلطان الكنيسة • حتى حدث الإتصال بينهم وبين المسلمين في الأندلس ، وكذلك اثناء الحروب الصليبية ، فرأوا ماكان عليه المسلمين من تقدم وحضارة في شتى الميادين ، فأخذوا ينهلون من معين الحضارة الإسلامية ، ومن ثم بدأوا في التقدم شيئا فشيئا فكرا وحضارة وعلما •

يقول سان هيلد:" إن العرب هم الذين يرجع إليهم الفضل على سادات أوروبا وفرسانها في القرون الوسطى ؛ في تعديل عاداتهم الخشنة وتلطيفها ، ثم تعليمهم رقة العاطفة وتهذيب نفوسهم ، والرفعة بهم إلى حيث الإنسانية والنبالة " • [1]

ويؤكد هذا ريتشارد كوك بقوله :

" تدين أوروبا بالشيء الكثير لإسبانيا العربية ، فقد حملت

---

[1] أنور الجندي ــ الإسلام والعالم المعاصر ــ دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص ٢٩٦•

قرطبة مصباح العلم ، وأضاء في زمان كان العلم فيه في بلدان أوروبا الأخرى خافتا كبصيص نار مختنق ٠ إن التصور الخلاق الذي مكن من إقامة صرح كالحمراء ، ومن تشييد مسجد للعبادة كجامع قرطبة ٠ إنما يعطينا مثلا للفارق البعيد بين هؤلاء العرب والهمجية المتفشية التي كان يتردى فيها الفرنجة والنورمان * ، بما تنطوي عليه من غليظ الأخلاق ؛ وفظاظة المزاج ؛ والميل الشديد نحو القذارة والخشونة ٠ لقد استطاع نظام الحكم العربي في إسبانيا أن يخلق طرازا من المدنية ؛ كان نسيجا وحده في أوروبا "٠[1]

ومع بداية هذا البركان الحضاري في الغرب ؛ كانت الكنيسة أكبر عائق في وجه هذه المدنية ، فحاربت العلم ، وفرضت الجهل بقوة سلطانها ،وأنكرت النظريات العلمية ، وكفرت من آمن بها ، واستحلت دماءهم وأموالهم باسم الدين ، حتى قتلت منهم خلقا كثيرا٠ وواجهت الكنيسة عداء شديدا من المتنورين ، حتى ثارت الحرب بين الدين والعلم ٠

يقول أبو الأعلى المودودي في هذا :" كان رجال الكنيسة حجر عثرة أمام الفكر الواعي الذي يهيم بحثا وراء الحقيقة ، وحاربوا كل عقل متحرر مستنير ، فصنعوا لأنفسهم بهذا الموقف أغلال مهانتهم، ولم يلبث الأمر طويلا حتى تحول العداء لفكرة اللاهوت إلى نظرية مستقلة ، وأصبحت هذه النظرية حجر الأساس في قاعدة المدنية الغربية "٠ [2]

---

[1] جلال مظهر ـ حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ، دار مصر للطباعة ، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ص ٤ ٠

[2] أبو الأعلى المودودي ـ الإسلام والمدنية الحديثة ، ص ١٥ ٠

* النورمان :مجموعة من الفايكنج أو النور سمن الإسكنديناڤيين ، الذين استعمروا الأراضي الفرنسية ، ثم سعوا إلى توسيع نفوذهم على إنجلترا ، وكذلك استولوا على صقلية من المسلمين ٠ =

هذا الموقف العدائي من الكنيسة تجاه العلم ؛ جعل العالم الغربي ينبذ الدين ،ويتحرر من سلطان الكنيسة ، ويقيم حضارته على أساس العلم في الناحية المادية ؛ بعيداً عن إطار الدين والعقيدة ٠

وهكذا لم يبق لهم رادع من دين أو مرشد ، يوجه الخط الذي يسيرون عليه ٠ فأخذت تدرس وتطور وتنشيء حتى تقدمت تقدماً مذهلاً في الناحية المادية ، فكشفت شيئاً من أسرار الكون وأسرار الأرض ، وفتحت فتوحاً جديدة في كل علم وفن ٠ ولكن لما لم يكن ذلك في إطار الدين ،رافق التقدم العلمي الانحطاط في الدين والأخلاق ، فأصبح العقل الغربي مادي التفكير ، لايزن الأمور إلابميزان المنافع، التي يتمكن من تحقيقها وبذلك تكون مدنيتهم قد " تجردت من كل ماخلفته النبوة من تعاليم روحية ؛ وفضائل خلقية ؛ ومباديء إنسانية ، وأصبحت لاتؤمن ٠٠ إلا باللذة والمنفعة المادية وشغلت بالآلات ، واستهانت بالغايات ، ونسيت مقصد الحياة "٠ [1]

ويتحدث الكاتب كاميل فلامريون عن طغيان المادة على هذه الحضارة ، بقوله :

" إن من التناقض البين المؤلم ؛ أن نرى أن الرقي الباهر الذي حصل في العلوم ممالامثيل له في التاريخ ، وأن هذه الفتوحات المتوالية ؛ التي تمت للإنسان في الكون ، بينما رفعت عقولنا إلى المدركات العالية ، أهبطت إنسانيتنا إلى أخس الدركات ٠ ومن المحزن أن نحس ؛ بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا يوماً بعد يوم ؛

=== كانت لهم هجماتهم على الدولة الأموية في الأندلس أيام عبدالرحمن الثاني ٠ انظر الموسوعة العربية العالمية ، (٢٥ : ٤٧٣)

[1] أبو الحسن الندوى ــ ماذا خسر العالم بانحطاط لمسلمين ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٧ ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٥٨ ٠

تنطفي حرارة قلوبنا ؛ وتضيع زهرة حياتنا القلبية بتأثير غلبة المطامع المادية والشهوات الجسدية " . [1]

ولقد جرت هذه المدنية المادية الويلات والدمار على الشعوب والأفراد ،وأشعلت جذوة الصراع بينهم ، فلامكان للضعيف والبقاء للأقوى . وأستغلت تقدمهم المادي بشكل مدمر ، حتى شهد العالم في نصف قرن حربين عالميتين ، أزهقت فيهما ملايين الأرواح .

فهذه المدنية كما يقول الشيخ المودودي " اتخذت العلوم التجريبية آلة لتدمير الإنسان ، وصبت الأخلاق في قوالب الأثرة والرياء والخلاعة والمجون ،وسلطت على الاقتصاد شياطين الاستبداد والظلم والحرمان ، ونفثت في نواحي الاجتماع كلها سموم الأثرة وحب الترف " . [2]

ويصف الشيخ أبو الحسن الندوي هذه المدنية بقوله :

" مدنية صاخبة مضطربة متناحرة متداعية البنيان متزلزلة الأركان ، .. يتسابقون في اللهو والفجور ، يتنافسون في الجاه والأموال وأسباب الترف والنعيم، .. عم فيها الجور والعسف وتواضع رجالها على الخيانة والظلم ؛ وتسابق أهلها في أكل أموال الناس ، وهتك أعراضهم ، وسفك دمائهم . وتفسد على الناس أخلاقهم " . [3] وهكذا استمر التدهور الأخلاقي لدى المجتمعات الغربية ، حتى ظهرت لديهم الأمراض التي تفتك بهم ، وظهر القلق والاكتئاب ، وانتشرت المخدرات ، وارتفعت نسبة الانتحار وغيرها ، ممابتليت به هذه الحضارة ، وهي عوامل طبيعية ومنطقية ناتجة

---

[1] أضواء على الحضارة الإسلامية ، ص ١٩١ .

[2] أبو الأعلى المودودي ــ نحن والحضارة الغربية ، الدار السعودية ، ط ١٤٠٧هــ ، ص ٤٣ .

[3] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين،ص ١٢٢ ــ ١٢٣ .

عن البعد عن الدين ، حيث مصدر الراحة النفسية ٠ لقد أفلست الحضارة الغربية رغم التقدم المادي ؛ الذي تنعم به ٠ ذلك أن قيمة المجتمعات تكمن في الإنسان الذي يكونها ٠ وقد خسرت المدنية الغربية الإنسان فبماذا تنفعها المادة ؟ !

ولقد اعترف الكسيس كاريل بقصور هذه الحضارة ، وتنبأ بانهيارها يقول : " إن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة ، هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية ٠٠ إننا قوم تعساء ، لأننا ننحط أخلاقيا وعقليا ٠ إن الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم ،هي على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة في الضعف ، والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها ، ولكنها لاتدرك ذلك " ٠ [1]

وحول هذا الموضوع تحدثت د / تيريز بروس ، فقالت :

" أكبر معضلة نواجهها هي حاجتنا إلى وضع علم للإنسان ، لايكون مقصورا على علم الحيوان الإنساني ، بل يكون علم الإنسان التام ، بكل ماينطوي عليه من قيم روحية ٠٠ فالإنسان في الواقع قد انتزع من المادة سرقواها الكونية ، فإذا لم يجتهد في الناحية المقابلة لأجل تحقيق استكشاف مماثل في نفسه وإذا كانت قدرة المادة التي آلت إلى الإنسان ، إنما تزرع الخوف والموت فلقد قضى على البشرية "٠ [2]

وهكذا نجد أبناء الحضارة العربية يتحدثون عن قصورها وعدم ملاءمتها للإنسان ؛ الذي لايستغني عن الروح والمادة في وقت

---

[1] الكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، تعريب شفيق أسعد ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٤١ ــ ٤٢ ٠

[2] القيم الحضارية في رسالة الإسلام ،ص ١٩ ٠

واحد ٠ وهذا التوازن الذي لم تستطع المدنية الغربية تحقيقه ؛ جرفها إلى الهاوية ، وجعل أبناءها يفتقدون الروحانية ، ويشكون من الفراغ الروحي ٠ وبذلك يتضح لدعاة التغريب أن التقدم والابتكار في المجال المادي ؛ هو لون من ألوان الحضارة ، وليس مقياس الرقي أبداً

وبعد هذا فهل نحن بحاجة إلى هذه المدنية ؟

إن مدنية كهذه لايأخذ الإنسان منها سوى الدمار والفراغ الروحي والتعب النفسي ؛ حري بالإنسان البعد عنها ؛ والبحث عن مدنية إنسانية ؛ توازن بين حاجاته المادية والمعنوية ٠ وهذا ما تحقق في المدنية الإسلامية ٠ لأن الإسلام نظر إلى التقدم على أنه تقدم مادي وروحي ، فلم يفصل بين المادة والروح ٠ وإنما سير التقدم المادي مع التقدم الروحي جنباً إلى جنب في تكامل وتوازن ٠

يقول راندال :" إن الفضل في خلط الروح والسمو الروحي بالحياة المادية ،يرجع إلى المسلمين الذين مزجوا بين الفكر والعمل وهكذا كان الفكر الإسلامي الممتاز ؛ لايعرف الفصل بين اتجاهات الفكر والروح وبين اتجاهات المادة والواقع " ٠ [1] هذا التوازن دفع الأمة الإسلامية إلى إقامة حضارة علمية ؛ تتفوق مادياً وروحياً على غيرها من الحضارات ٠ كما كانت المدنية الإسلامية شاملة لجميع العلوم ، فلم يقف الإسلام في وجه أي علم من العلوم ، فأخذ علماء المسلمين في فتح آفاق المعرفة ، واستخدموا العلم التجريبي ، واخترعوا الآلات التي ساهمت في دقة علمهم ومعرفتهم ، ولم يتركوا فناً ولاعلماً إلا ولجوه من أوسع أبوابه، فأحدثوا في العلوم مالم يكن موجوداً ، وطوروا وصححوا ماكان موجوداً في علوم

[1] عز الدين فراج ــ فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية ، دار الفكر العربي ، ص ١٧ ٠

السابقين . يقول الأستاذ كويلر يونج : " ولم يكن الباحثون ورجال العلم الإسلاميون مجرد نقله ،ولكنهم عدلوا التراث الكلاسيكي وأعادوا تصويره ، وأخرجوا منه ثقافة جديدة عليها طابع الإسلام وعلى هذه الصورة نقلوها إلىعقول أوروبا ".[1]

وقد برزت أسماء عديدة في كل فن من الفنون ، فكان ابن الهيثم * في علم الضوء ، وجابر بن حيان ** في الكيمياء والخوارزمي ***أول من كتب في الجبر ، وأبناء موسى بن شاكر **** في الفلك . وكذا في الطب برز الرازي**** * وابن سينا***** وابن زهر **** *** ولقد ظلت مؤلفات هؤلاء

---

[1] أضواء على الحضارة الإسلامية ، ص ٩٨ .

*محمد بن الحسن بن الهيثم (٣٥٤ ــ نحو ٤٣٠ هــ) أبو علي . مهندس من أهل البصرة ، له تصانيف في الهندسة . منها المناظر ، كيفية الإضلال ، الأشكال الهلالية ، المرايا المحرقة . وغيرها من المصنفات . الأعلام ،(٦ : ٨٣)

** جابر بن حيان بن عبدالله الكوفي ، أبو موسى فيلسوف كيميائي كان يعرف بالصوفي من أهل الكوفة وأصله من خرسان ، اتصل بالبرامكة ،وتوفي بطوس سنة ٢٠٠هــ ، له تصانيف كثيرة ، قيل : عددها ٢٣٢ كتابا ؛ وقيل : خمسمائة ؛ منها مجموع رسائل ، أسرار الكيمياء ، علم الهيئة ، أصول الكيمياء ، العهد في الكيمياء ، له شهرة كبيرة عند الإفرنج . الأعلام ، (٢: ١٠٣)

*** محمد بن موسى الخوارزمي ، أبو عبدالله . رياضي فلكي ، مؤرخ من أهل خوارزم ، ينعت بالاستاذ عهد اليه المأمون,يجمع الكتب اليونانية ، وترجمتها له كتاب الجبر والمقابلة ، صورة الأرض من المدن والجبال ، عمل الإسطرلاب ، عاش إلى مابعد وفاة الواثق بالله أي بعد ٢٣٢هــ الأعلام ، (٧: ١١٦) .

**** أبناء موسى بن شاكر ، أكبرهم محمد ، واسم أخويه أحمد والحسن ، تنسب إليهم حيل بني موسى في الميكانيك ، وهم مشهورون بها ، كانوا مقربين من المأمون ، كانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم ؛ حتى أظهروا عجائب الحكمة ووضعوا كتابا يشتمل على كل غريبة . انظر الأعلام ، (٧ : ١١٦ ــ ١١٧) ، ترجمة محمد بن موسى

***** محمد بن زكريا الرازي (٢٥١ ــ ٣١٣هــ) ، فيلسوف من الأئمة في صناعة الطب من أهل الري ، ولد وتعلم بها . عكف على الطب والفلسفة ، فنبغ ، واشتهر ، تولى رياسة الطب في البيمارستان المقتدري في بغداد ،مات ببغداد له عدة مؤلفات منها الحاوي في الطب ، الفصول في الطب ، الكافي . الأعلام ، (٦ : ١٣) .

****** الحسين بن عبدالله بن سينا (٣٧٠ ــ ٤٢٨هــ) ، شرف الملك ، الفيلسوف الرئيس ، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات . طاف البلاد وناظر العلماء ، أشهر كتبه القانون ، الشفاء ، أقسام العلوم ، الدستور الطبي .. وغيرها الأعلام ، (٢ : ٢٤٢).

******* عبدالملك بن زهر بن عبدالملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادي ، طبيب أندلسي من أهل إشبيلية ، لم يكن في عصره من يماثله في صناعته ، خدم الملثمين مدة ،واتصل بعبدالمؤمن بن علي ، صنف كتبا منها التيسير في المداوة والتدبير ، الأغذية ، الجامع في الأشربة والمعجونات ، توفي بإشبلية ٥٥٧ هــ . الأعلام ، (٤ : ١٥٨) .

الأفذاذ أساس الدراسات في الجامعات الأوربية لقرون عديدة ٠ وقد أشاد علماء الغرب بفضل العرب عليهم ٠

يقول ساريتو :" إن مأأتت به الحضارة الإسلامية في باب العلم ؛ ولاسيما العلوم وتطبيقها أعظم بكثير مماأتت به في هذه السبيل مملكة بيزنطية ٠٠ بيد أن الحضارة الإسلامية أكملت الطرق العلمية ، وأغنت بأبحاثها جميع فروع العلم اليوناني من جبروحساب مثلثات وفلك ومساحة ومعادن وطبيعة وكيمياء وطب ، وأقامت مراصد فلكية ومخابر وخزائن كتب ٠٠ وعلى هذا كانت حضارة الإسلام محطة مهمة في التمدين "٠ [1]

ويقول المفكر الأوروبي داربز :

" ليست أوروبا أرقى حضارة ،ولاأرقى تقدما ،ولاأعلى ذوقا ، ولا أجمل مظهرا مماكانت عليه الحضارة الإسلامية في بغداد والأندلس ، يوم أن كانت أوروبا غارقة في جهلها وظلامها "٠ [2]

ومن هؤلاء سيديو الذي يقول :

" عبَّر التأثير الذي بثه العرب في أوروبا عن نفسه ، وبدت مظاهره في جميع فروع الحضارة الحديثة ٠٠ وظهرت مصنوعات ومنتوجات متنوعة واختراعات ثمينة ، تشهد كلها بالنشاط الذهني المدهش في هذا العصر ، وجميع ذلك تأثرت به أوروبا ، بحيث يؤكد القول :بأن العرب كانوا اساتذتها في جميع فروع المعرفة "٠[3]

فجميع هذه الأقوال تنبيء عن الحضارة العظيمة التي شيدها المسلمون ، وأن هذه الحضارة الحديثة ماتقدمت إلا بناء على

---

[1] الإسلام والحضارة العربية ، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣ ٠

[2] فضل علماء المسلمين ، ص ٤ ٠

[3] حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ،ص ٥ ٠

حضارة المسلمين الأوائل ٠

وعلى ماسبق نستطيع أن نقول : إن العالم الإسلامي قادر بإذن الله تعالى على إقامة حضارة إسلامية جديدة ، ولكن بشرط أن نقوم بماقام به أوائلنا ، فنأخذ من الحضارة الغربية ماديتها ،ونستفيد منها٠ لأن المجال المادي ملك لجميع البشرية ، فهو علم إنساني ليس مختصاً بأمة من الأمم أو ملة من الملل ، فنطور وننشيء ، حتى نقيم مدنية جديدة تمتاز بتوازن المادة مع الروح ٠

وأما مايقوله دعاة التغريب من أن تقدمنا مرتبط بالأخذ بمدنية الغرب على تمامها ؛ والتخلص من الدين ، فهذا ما لا يصح ٠ ولئن صح التخلص من الدين بالنسبة لأوروبا ؛ يوم أن كانت الكنيسة تحارب كل تقدم علمي وترق حضاري ، فإنه لايصح أن تعمم ؛ حتى تتناول المسلمين ٠ لأن الدين الإسلامي قد حث على العلم ، وفتح الآفاق لتحقيق زيادة الإيمان والخير للبشرية ، وأمرنا بالتفكر والتدبر وعمارة الأرض ٠

قال تعالى : هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾٠[1]

ولقد امتن الله على البشرية ،بأن جعل لها جميع مافي الأرض تنتفع به ٠

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ٠﴾[2]

---

[1] سورة هود ،آية : (٦١) ٠

[2] سورة البقرة ، آية : (٢٩) ٠

ولقد بين سبحانه وتعالى أوجه التسخير في آيات عدة منها قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [١]

وقال تعالى في سورة الجاثية : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢]

وبذا يكون الإسلام أكبر داعية ومحرض للقدرات الإنسانية على الاختراع والابتكار والبحث في جميع المجالات • فالطريق إذن مفتوح لقيام حضارة جديدة ، بعد أن أوشكت الحضارة الغربية على الانهيار •

والحق أن الإنسانية تحتاج للحضارة الإسلامية ، التي تعالج جذرياً أدواء الإنسانية ،وتسد من الأعماق فراغها ؛ دون أن تتجاهل واقعها المعاصر ، وماتحقق فيه من إيجابيات ، فنتجاوب مع متطلبات العصر مع الحرص على الثوابت الإيمانية الراسخة •

وعلى هذا فالأمة الإسلامية يمكن أن تعود إلى بناء حضارتها بمامتعها الله به من نعم ، فقد حباها الله بمايجعلها قادرة على تحقيق

---

[١] سورة النحل ، آيتا : (٨٠ ـ ٨١) •
[٢] سورة الجاثية،آيتا : (١٢ ـ ١٣) •

هذا الدور الحضاري ، ولكن الحقيقة التي لامناص منها أن الطريق إلى هذه الحضارة هو الإسلام ٠

يقول د / جورج سارطون :" إن المسلمين يمكن أن يعودوا إلى عظمتهم الماضية ؛ إذا عادوا إلى فهم حقيقة الحياة في الإسلام والعلوم ؛ التي حث الإسلام على الأخذ بها "٠ [1]

وبهذا ينتقض زعم دعاة التغريب أن الرقي والتقدم الإسلامي لا يتحقق إلا عن طريق المدنية الغربية ٠ فالواقع أثبت فساد هذه المدنية وعدم صلاحيتها للجنس البشرى ، وأن المستقبل للأمة الإسلامية لتنشيء حضارتها الإسلامية القائمة على منهج الله وشرعة ٠

---

[1] أضواء علي الحضارة ، ص ٧٧ ٠

المبحث الثاني
شبهاتهم حول الحرية وحقوق المرأة

المفهوم اللغوي للحرية :

قال ابن منظور :

" الحر : نقيض العبد والجمع أحرار وحرار ، والحرة :نقيض الأمة ، والجمع حرائر ٠٠ وحرره : أعتقه ٠٠ وتحرير الولد : أن يفرده لطاعة الله عزوجل وخدمة المسجد ٠

والحر من الناس: أخيارهم وأفاضلهم ، وحرية العرب :أشرافهم.

والحر : الفعل الحسن ٠٠ : الحرة : الكريمة ٠

وتحرير الكتابة : إقامة حروفها وإصلاح السقط "٠ [١]

وفي المعجم الوسيط قال :

" حر العبد حرارا : خلص من الرق ٠٠ وحر فلان حرية : كان حر الأصل ٠٠ وحرره : أعتقه ، ويقال حرر رقبته ٠

والولد : أفرده لطاعة لله وخدمة المسجد ٠ والكتاب : أصحه وجود خطه ٠

والحر :الخالص من الشوائب ، يقال : ذهب حر لانحاس فيه ، وفرس حر : عتيق الأصل " ٠ [٢]

نخلص من ذلك أن معنى الحرية لغة :الخلوص من الرق وتعني كذلك : الفضل والخير والكرم ، فالحر من الناس : أخيارهم وأفاضلهم ، والحرة : الكريمة ٠

---

[١] لسان العرب ، (٤ : ١٧٧ ــ١٨٥) ٠

[٢] المعجم الوسيط ، (١ : ١٦٥) ٠

المفهوم الاصطلاحي للحرية :

وردت للحرية عدة تعاريف بحسب رأي كل كاتب ونظرته لها. منها ماعرفها به إبراهيم حداد بقوله :الحرية هي : «حرية التصرف والاختيار ". [1]

وعرفها قاسم أمين بأنها :

" استقلال الإنسان في فكره وإرادته وعمله ، متى كان واقفا عند حدود الشرائع ، محافظا على الآداب ". [2]

ويرى أ / محمد العويد أن من معاني الحرية :

" أن يترك للمرء اختيار ماترتاح إليه نفسه ، ويميل إليه قلبه ". [3]

أما الأستاذ محمد أبو زهرة فيقول :

" إن الحرية أخذت من وصف الحر ، فالحر والحرية متلاقيان في المؤدى . وإن كانت الحرية وصفا ،والحر موصوفا . والحر حقا هو : الشخص الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية ،ويضبط نفسه فلا تتدلى إلى سفاسف الأمور ،ولاينطلق وراء أهوائه وشهواته ولا يكون عبدا لها " . [4]

ويعرف محمد وجدي الحرية بقوله :

" هي : الخلوص ، وصفة الحر ، وقد أطلقت هذه الكلمة في عصرنا هذا على خلوص الأمم من استبداد المسيطرين عليها ". [5]

---

[1] إبرهيم حداد ــ الحرية عند العرب ــ دار الثقافة ، بيروت ، ص ١٠ .

[2] المرأة الجديدة ،ص ٢٩ .

[3] محمد العويد ــ من أجل تحرير حقيقي للمرأة ــ دار ابن حزم ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٨ .

[4] محمد أبو زهرة ــ المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، الدار السعودية ، ط٢ ، ١٤٠١هـ ،ص ٢٥٨ .

[5] دائرة معارف القرن العشرين ، (٣: ٤٠٨) .

وقد عرف إعلان حقوق الإنسان الصادر عام ١٧٨٩م الحرية الفردية في المادة الرابعة منه ، فقال :" الحرية عبارة عن فعل كل مالايضر بالغير ٠ فممارسة الفرد حقوقه الطبيعية ، لايحدها غير الحدود التي يستطيع بها أعضاء المجتمع الآخرون أن يتمتعوا بمثل مايتمتع به ٠ والقانون هو الوسيلة الوحيدة لوضع هذه الحدود"٠ [1]

نخلص مماسبق من تعاريف إلى أن الحرية هي : أن يفعل الإنسان مايريده في إطار شريعة الله ، على أن لاتتعدى حريته على حرية الآخرين ٠

موقف دعاة التغريب :

طالب دعاة التغريب بحق المرأة المسلمة في التمتع بحريتها ، مستندين في هذه الشبهة على أن من حق كل إنسان أن يتمتع بحريته، وأن من حقه أن يفعل أو يترك حسب مشيئته ، وعلى أن الإسلام قد احترم حقوق الإنسان وحرياته وحث على احترامها ٠

ثم إنهم نظروا إلى واقع المرأة الغربية ، فوجدوا أنها مهضومة الحق في كل الجبهات ، قد فرضت عليها القيود ،وطولبت بالواجبات ، فلم تنل حقاً من حقوقها في مقابل ماقدمت من واجبات

هذا الوضع دفع بالمرأة الغربية إلى الخروج على هذه القيود والتحلل منها ، وهذا أمر طبيعي ومنطقي في ظل القيود المفروضة عليها ٠ ولكن لمالم تراع المرأة الغربية التوازن بين الحقوق والواجبات ، أدى بها هذا التحلل إلى الانفلات انفلاتاً مطلقاً من غير حد ٠

---

[1] عابد السفياني ــ حكم الزنى في القانون وعلاقته بمبادئ حقوق الإنسان في الغرب ، ط١٤١٨هـ ،ص ١٨

من خلال هذه المنطلقات طالب دعاة التغريب بالحرية المطلقة للمرأة المسلمة ٠

ولو نظرنا إلى هذه المنطلقات التي أستند عليها دعاة التغريب في الدعوة إلى الحرية المطلقة ، نجد أنها تحمل في طياتها الباطل ، ممايؤكد خبث دعاة التغريب الذي ألقوا الضوء على بعض الحق ، وأغفلوا البعض الآخر ، فالإسلام كما أنه احترم الحقوق ، وحافظ عليها ، فإنه طالب بأداء الواجبات والمحافظة عليها ٠

قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[1] هذا التوازن التام بين الحقوق والواجبات في الإسلام أغفله دعاة التغريب فنفخوا في جانب الحقوق فقط ، لأنه الجانب الذي يخدم الغرض الذي يسعون لتحقيقه ٠ هذا القصور في النظر أدى إلى المطالبة بالحقوق دون الاهتمام بالواجبات ، ولايخفى أن ذلك يؤدي إلى الانفلات والفوضى ٠

كذلك فإن دعاة التغريب أخذوا صورة من واقع الغرب ، وماتعرضت له المرأة الغربية من قيود ،وكيف حققت حريتها وأرادوا تعميم هذه الصورة على المرأة المسلمة ٠ وهذا خطأ ظاهر لاختلاف المجتمعات ٠

فالمجتمع الإسلامي وواقعه مخالف للمجتمع الغربي وواقعه كما أن المرأة الغربية كانت لها قضية أفرزها واقعها الغربي ، وسعت إلى حلها ، أما الإسلام فإنه لم يفرض على المرأة قيوداً كالتي فرضت على المرأة الغربية ، حتى تطالب بتحريرها منها ٠

فكيف يتم تعميم الحكم على مجتمع لم توجد فيه القضية أصلاً ؟!

---

[1] سورة البقرة ، آية : (٢٢٨) ٠

ثم إن دعاة التغريب أخذوا السلوكيات الخارجة على مفهوم الإسلام ، والتي فيها غبن لحقوق المرأة ، وجعلوها قاعدة باسم الإسلام ، طالبوا من خلالها بحقوق المرأة • رغم أن الإسلام قد أعطى المرأة المسلمة حقوقا ؛ لم تنلها المرأة الغربية حتى الآن ، رغم ماتعيشه من حرية وانفلات •

وماهذه السلوكيات إلا أخطاء فردية ، تخالف منهج الإسلام ، فالإسلام لم يأمر بها ،ولم يدعوا إليها •

ومن الإجحاف بحق الإسلام أن يدان على سلوكيات تخالف منهجه •

إذن مطالبة دعاةالتغريب بحريةالمرأة المسلمة مطالبة قائمة على شبهة ، تحمل الحق والباطل • ورغم هذا الباطل الذي تحمله ، نجد دعاة التغريب ينادون بها ، ويعقدون لها المظاهرات والمؤتمرات ، ويجندون لها الصحف والمجلات،ولم يتركوا وسيلة من وسائل الدعوة لها إلا استغلوها للمطالبة بها •

ولكن ماهي الحرية في نظر دعاة التغريب ؟

يصرح دعاة التغريب أن المقصود بهذه الحرية ، هو التفلت من القيود الدينية ،مع التركيز على حريةالمرأة الجنسية ، بل لم تكن هذه المطالبة ؛ وهذه الجهود المبذولة إلا لتحقيق هذا الأمر • مهما حاول بعضهم إخفاء هذا القصد •

ولقد صرح أحدهم بمفهوم حريةالمرأة لديهم ،فقال :

" لنتحدث عن حرية المرأة •• دعوني أعترف لكم فورا أن حرية المرأة ليس لها غير معنى واحد ، إنه المعنى الجنسي •

المرأة في نظري هي مصب الأشواق والشهوات •• ماهي

حرية المرأة ؟ حريتها الحقيقية هي حرية العلاقة الجنسية مع الجنس الآخر ، أو حتى مع بنات جنسها ، أو مع الجنسين معا ٠٠ إنني أطلب لامرأة بلادي كسر طوق الاضطهاد العائلي والديني والأخلاقي ٠

وحريتها في أن تكون حرة بلاحدود ٠٠ حرة في التصرف بجسدها دون قيد أو شرط ".[1]

هذه هي الحرية التي ينادون بها ، فهم لايرون في المرأة إلا جسدا يريدون الاستمتاع به ٠ بل ويعتبرون صيانة المرأة ورفع قيمتها اضطهادا لها يجب كسره أو رفعه ٠

ويبين د / يوسف القرضاوي مفهوم الحرية عندهم بقوله :

" وتحرير المرأة الذي يزعمونه أن تتمرد على فطرتها بوصفها أنثى ٠٠ وأن تدع مملكتها المسئولة عنها، لتخرج إلى الشوارع والأسواق والملاهي وغيرها ، لتزاحم الرجال بالمناكب وتتسلح بكل ألوان الزينة والإغراء ٠٠ التحرير هنا يعني إزالة الحواجز بين المرأة والرجل ، ليستمتع كلاهما بالآخر في عبث " ٠ [2]

من أجل هذا الهدف ورغبة في إسقاط المجتمع الإسلامي وتدميره وتفتيت كيانه ، اهتم دعاة التغريب بهذه الدعوة ، لأنها الطريق إلى تمرد النساء ، وضياع الرجال ، وتشتيت الأطفال ، واختلاط الانساب ٠ وهذا ما صرحت به سيمون دي بوفوار في كتاباتها ٠ تقول : " إن المرأة لن تتحرر إلا حين تتحرر من الأطفال، وتتمكن من رفض الزواج ٠ وإنه يجب إلغاء العائلة ".[3]

---

[1] عمل المراة في الميزان ، ص ٦ ٠

[2] الحلول المستوردة ،ص ٧٢ ٠

[3] محمد الدواليبي ــ المرأة في الإسلام ، دار المنارة ، ١٤١٤هــ ، ص ٤٤ ٠

ولعل أبرز الداعين إلى هذه الحرية قاسم أمين " فهو الوحيد الذي وهب كل جهوده وجميع آثاره - تقريبا - لهذه الدعوة ، حتى لقد ذهب علما عليها ورمزا لها " ٠ [١]

فقد طالب قاسم أمين بحرية المرأة وإعطائها حريتها مقارنة بالمرأة الغربية ذاهبا إلى :" أن حرية النساء تزيد في ملكاتهن الأدبية ، وتبعث فيهن إحساس الاحترام لأنفسهن ، وتحمل الرجال على احترامهن "٠ [٢]

كما طالب " بترك حرية النساء للنساء ، حتى ولو أدى الأمر إلى إلغاء نظام الزواج ، حتى تكون العلاقات بين الرجل والمرأة حرة ، لاتخضع لنظام ،ولايحدها قانون " ٠ [٣]

هذه المطالبة تثبت التناقض الفكري لدى دعاة التغريب ٠ لأننا نجد أن قاسم أمين لم يستقم على ماعرف به الحرية ،بل تناقض مع نفسه ، لأنه عندما عرف الحرية جعل لها ضوابط من الشرع والآداب ، وهنا يطالب بحرية لاتخضع لنظام ، ولايحدها قانون٠ فأين هذا من تعريفه السابق للحرية ؟ ! ٠

ثم نجده يبرر النتائج المدمرة لهذه الحرية بقوله :

" أول جيل تظهرفيه حرية المرأة ؛ تكثر الشكوى منها ، ويظن الناس أن بلاء عظيما قد حل بهم ، لأن المرأة تكون في دور التمرين على الحرية ،ثم مع مرور الزمن ،تتعود المرأة على استعمال حريتها ، وتشعر بواجباتها شيئا فشيئا ، وترتقي ملكاتها العقلية والأدبية ، وكلما ظهر عيب في أخلاقها ،يداوى بالتربية ، حتى

---

[١] محمد عمارة ــ قاسم أمين الأعمال الكاملة ، دار الشروق ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ ، ص١٥ ٠

[٢] المرأة الجديدة ،ص ٤١ ٠

[٣] المؤامرة على المرأة المسلمة ، ص ٧٠ ٠

تصير إنسانا شاعرا بنفسه ". [1]

كذلك رفعت لواء هذه الدعوة د/ درية شفيق * فأعلنت :" أنها تريد للمرأة حقا في الحرية المطلقة من كل قيد " . [2]

وممن تابع في رفع لواء هذه الدعوة د / طه حسين حيث دعا "إلى تحريض المرأة على الرجل ، ودعوته إياها إلى مخالفته ؛ والخروج على ولايته ،وكذلك إلى إعطاء الفتاة حرية الشباب ، وأن لاتحرم منها بحجة التقاليد ". [3]

وطالب بها إحسان عبدالقدوس فقد كتب : " إنني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها ، وتذهب إلى أبيها ، وتقول له : هذا صديقي ". [4]

وفي هذا تحريض صريح للتمرد على شريعة الله ،وعلى عادات وتقاليد المجتمعات الإسلامية .

ومن هؤلاء الداعين إلى حرية المرأة ، عبدالهادي عباس الذي يقول : " ليس للمرأة سلطة على جسدها ، كل قوانين المنع والتحريم تهدف لاحتواء هذا الجسد ، ووضع مفاتيحه في يد الرجل ، الذي يمتلكه وله حرية التصرف فيه ، دون أن يكون لها . فهو الذي يزوجها ، وهو صاحب المتعة بالزواج " . [5]

---

[1] المرأة الجديدة ، ص ٥٢ .

[2] محمد الناصر ــ المرأة بين الجاهلية والإسلام ، دار الرسالة ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٩٠ .

[3] طه حسين ، ص ١٨٣ .

[4] محمد قطب ــ واقعنا المعاصر ، مؤسة المدينة للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٤٠٨ه ، ص ٢٩٤ .

[5] عبدالسلام بسيوني ، ماذا يريدون من المرأة ، إدارة الشئون الإسلامية بقطر ، ط١ ، ١٩٩٦ م ، ص ٥٨ ــ ٥٩ .

* درية شفيق : تلميذة وفية من تلميذات لطفي السيد ، رحلت وحدها إلى فرنسا ، لتحصل على الدكتوراه ، وعندما عادت شكلت حزب بنت النيل ، قادت مظاهرة الجامعة الأميريكية عام ١٩٥١م ، مثلت مصر في مؤتمر نسائي دولي في أثينا عام ١٩٥١م ،توفيت ٢٠سبتمبر ١٩٧٥م ، بعدما ألقت بنفسها من شرفة الطابق السادس . انظر عودة الحجاب ، د / محمد أسماعيل ، (١: ١١٨) .

أما خليل أحمد خليل فيرى أن الحرية الجنسية أمر تفرضه الحداثة العقلية * يقول : " إن الحداثة العقلية تعلن رفض الطرق السلوكية القديمة التي أسقطها التاريخ ،وتسعى الثقافة السلفية لإحيائها من خلال الدفاع عن التخلف ٠ كما أن هذه الحداثة العقلية تعني حق المرأة في التحرر الجنسي فهي سيدة جسدها " ٠ [١]

وينكر الأستاذ عبدالسلام بسيوني مانشر في مجلة الكواكب بأقلام بعض المنتسبين إلى الإسلام قولهم :

" نحن في القرن العشرين ، ومن حق كل واحدة أن تفعل ماتشاء ، وأن تعيش بطريقتها التي تتمتع بها ، وأن تختار بالطريقة التي تشبع مشاعرها ، وتتماشى مع طريقة تفكيرها ٠ فلسنا في عصر الجواري والإماء والمحظيات ٠ نحن في عصر الاختيار ، وأن تفعل كل واحدة مابدا لها "٠ [٢]

ولما كانت هذه الدعوات تتفق مع الشهوات التي جبل الإنسان عليها ،والتحلل من القيود الشرعية فقد استغل دعاة التغريب ذلك ، فنفخوا في هذه الدعوى ؛ حتى ألبسوا الحق ثوب الباطل ، وخرجوا بها من معناها الشرعي إلى معنى آخر مغاير تماما ، يحقق الهدف الذي روجوا الشبهة من أجله ٠ ولقد كان لهذه الأصوات الناعقة أثرها على المرأة المسلمة إلا من رحم ربي ، لذا كان من الواجب

---

[١] **المرجع السابق ، ص ٢٣ ٠**

[٢] المرجع السابق ، ص ٤٠ ٠

* الحداثة : مصطلح واسع يشير إلى مذاهب وآراء وممارسات نقدية في الدين والأدب والمجتمع وتنطوي غالبا على رفض التقاليد ،ومحاولة إلغاء الماضي ، والبحث عن اتجاهات ورؤى جديدة وأصل الحداثة حركة نقدية مناهضة لتقاليد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ،نادت بضرورة تفسير الدين ، وقراءة النصوص الدينية في ضوء المعطيات العلمية والتاريخية و السيكولوجية والفلسفية ، والنظر إلى الدين بعين ناقدة صارمة ، الموسوعة العربية العالمية ، (٩ : ٩٠) ٠

الرد على هذه الشبهة لبيان فسادها ،وإزالة الباطل الذي لبس بها ٠

الرد على هذه الشبهة :

اعتمد دعاة التغريب في هذه الشبهة على أحقية الإنسان في التمتع بحريته ،وأن يفعل مايشاء ،ولاشك أن في ذلك حقا ، فإن لكل إنسان إرادة يختاربها بين أن يفعل أو لايفعل ، ولكن هذا الحق مقيد بمصلحة الآخرين ، لأن حياة الإنسان لايمكن أن تستقيم إلا بالتنازل عن جزء من حريته ، ذلك أنه يعيش في مجتمع يتم فيه تبادل المنافع ، وفيه عدد من الأفراد ، فلابد أن يحترم كل فرد حرية الآخرين ، وفي ذلك تقييد لابد منه ٠

فلو أن كل فرد في المجتمع أراد أن يحقق حريته ، لتعارضت مع حرية غيره ، لاختلاف آرائهم ٠ وبذا تعم الفوضى ،ولاتستقيم الحياة ٠

فهل يمكن أن تكون هذه الفوضى حرية حقيقية ؟ ٠

وهل يمكن أن توجد حرية مطلقة لايحدها حد ،ولايقيدها قيد ؟!

يقول كنجزلي :" الحرية حريتان ، واحدة كاذبة ، وهي : أن يفعل الإنسان مايريد ٠ والأخرى صحيحة ، وهي : أن يفعل الإنسان مايجب عليه أن يفعله "٠ [1]

وقد أكد العالم الأمريكي البروفسور سكيز كذب هذه الحرية ٠ إذ يقول : " إن تصميم الإنسان لايسمح له بتحمل الحرية الكاملة ، وإن الشيء الذ ي يناسب الإنسان ليس الحرية بدون حدود ، بل

---

[1] الحرية عند العرب ، ص ٧ ٠

الترويض المنظم ٠ فهذا مايطابق الطبيعة البشرية الحياتية " ٠ [١]

وعن هذا الموضوع يقول الأستاذ / عبدالخالق عطيه :

" إنه لاتوجد في العالم حريات مطلقة ٠٠ ولوكان الأمر كذلك لقام في البلاد من يبث مبادىء الفوضوية ٠٠ ولكن الحرية محدودة، وتنتهي عندما تبدأ بالتصادم مع مقتضيات النظام والقانون "[٢]

وعلى هذا فالحرية المطلقة حرية وهمية ؛ لاقيمة لها ولاوجود ٠ لأن كل نظام في العالم لابد وأن ينص على عدم التعدي على حريات الآخرين،واحترام حقوقهم ،حتى أن الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان أشارت في تعريف الحرية إلى الحدود التي يجب أن يقف عندها الإنسان ، فيعترف بحقوق غيره وحرياتهم ويحترمها ، ويخضع في ممارسة حقوقه وحرياته للقيود التي يضعها القانون ٠

ولعل الواقع أكبر شاهد على عدم تطبيق هذا القول لدى الغرب ٠ فلو نظرنا إلى تطبيق الحرية هناك ، نجد أن الحرية المطلقة لديهم في الأخلاقيات فقط ، أما في الجانب المادي ، فلايتمتع الغرب بهذه الحرية ، إنما هناك نظم وقوانين ومبادىء ومواعيد يجب الالتزام بها ، والمحافظة عليها ٠ ولقد أثرت نظرة المجتمع الغربي للحرية عليه تأثيرا عنيفا ، بحيث أصبح كل شخص يسعى لتحقيق هذه الحرية ، والاستمتاع بها حتى ظهرت لديهم ظواهر لم تكن موجودة٠ منها ممارسة الجنس في الطرقات ، وتبادل الزوجات،والبغاء ٠ ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ظهر لديهم الشذوذ الجنسي ٠ وللأسف حتى هذا الأمر لم ينظروا إليه كظاهرة

---

[١] وحيد خان ــ وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية والشبهات التي تثار حول تطبيقها ،بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود ١٣٩٦هــ ، (٨: ٣٠٧) ٠

[٢] طه حسين ، ص ٢٢٥ ٠

تجب معالجتها ، بل شجعوا عليها ، وأقاموا لها المؤسسات والنوادي ، ورفعت الأصوات للمطالبة بحقوقهم هذه حتى لقد :" بدأ العلماء يرفضون استخدام اصطلاح الشذوذ الجنسي ؛ على أساس أن النشاط الجنسي الصحيح ؛ هو الذي يحقق لصاحبه الإشباع وأقصى لذة ممكنة ، بصرف النظر عن شكل هذه الممارسة ".[1]

لم تتوقف نتائج الحرية الغربية عند هذا الحد ، بل تعدت إلى انتشار العصابات والجرائم كنتائج طبيعية لهذه الحرية.فقد " صرح مدير اسكوتلانديارد بأن عصابات المراهقات والنساء تهدد أمن لندن ، وأن نسبة الجرائم التي ترتكبها الفتيات أكثر مما يرتكبه الفتيان ، ويرجع هذا إلى الحرية الفردية ؛ التي يتمتعن بها ، ولبرامج التلفزيون الشاذة ، ولأماكن اللهو والخمر " .[2]

كذلك فقد ذكرت مجلة (النيورك تايمز) تصريحا جاء فيه : " إن معدل الجريمة بين السيدات أو الجريمة النسائية ارتفع ارتفاعا مذهلا مع نمو حركات التحرر النسائية ، وإن أخطر عشرة مجرمين مطلوب القبض عليهم كلهم من السيدات ، ومن بينهم شخصيات ثورية ، اشتركن في حركة التحرر النسائية ".[3]

هذه هي حرية المجتمع الغربي ، وهذه نتائجها المدمرة ، التي لايمكن أن تستقيم بها الحياة ، أو يصلح بها أمر المجتمعات ، وقد لمس المجتمع الغربي هذه الآثار ، وبدأ يشكو منها .

يقول ويلسون :" الحرية الإنسانية .. تنحصر في التوفيق بين

---

[1] ماذا يريدون من المرأة ؟ ص ٣٩ .
[2] مصطفي السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، المكتب الإسلامي ، ط٦ ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٢٠٧.
[3] عمر الأشقر ، المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم ، مكتبة الفلاح ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

المصالح الإنسانية والنشاط الإنساني ٠٠ لقد سرنا شوطا بعيدا ، نحو الخيبة ، التي تجلب الحسرة والأسى للنفس ، ونحن الآن في خطر الوقوع في الخيبة التامة " ٠ [١]

ولقد شعرت المرأة الغربية في ظل هذه الحرية بمهانتها ومذلتها، حيث ينظر إليها على أنها متعة لقضاء الجنس فقط ، دون مراعاة لمشاعرها ، مما دفعها للقيام بإثارة الاحتجاجات التي تطالب بتقييد الحرية الجنسية ، التي ذهبت ضحيتها٠" ففي السويد خرجت النساء السويديات في مظاهرة ضمت مئة ألف امرأة احتجاجا على إطلاق الحريات الجنسية ، بعد أن شاهدن الحالة المتردية،التي وصلت إليها المرأة المتحررة "٠ [٢]

أما في الولايات المتحدة " فقد تأسست مؤخرا جمعية وطنية للعفة والطهارة ، وتعد الأولى من نوعها ، وقد انضمت إليها آلاف السيدات الأمريكيات ، حتى تم افتتاح عدة فروع لها بالمدن الأمريكية ، أما المقر الرئيسي لها ففي شيكاغو ٠

وتوضح العضوات الهدف من إنشائها ، بأنهن قد سئمن الحياة العصرية الغربية ، التي ينظر فيها للمرأة نظرة جنسية فقط ، دون أدنى مراعاة لأحاسيسها ٠ بينما هناك نساء في بعض الأديان ينظر إليهن باحترام وإجلال ومساواة في كثير من الأمور ، لذا كان إنشاء الجمعية للمناداة بالتزام العفة ، ورفض الممارسات الإباحية ؛ والعودة للفضيلة من أجل الحفاظ على الترابط الأسري ، وكيان البيت الأمريكي ؛ واحترام القيم والأخلاقيات التي يجب أن تكون

---

[١] الحرية عند العرب ، ص ١٧١ ٠
[٢] محمد سعيد مبيض ، إلى غير المحجبات أولا وإلى المحجبات ثانيا ، مؤسسة الريان ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٤ .

عليها الأسرة والمجتمع ٠ من أجل الرقي والازدهار "٠[١]

وهكذا نجد ان المجتمعات الغربية بدأت تعود إلى جادة الطريق وماتنادي به الفطر السليمة ، ومايؤيده العقل الصحيح ٠

ومع الأسف ففي الوقت الذي نسمع فيه الدعوات هناك للعودة إلى الفضيلة والطهر والعفاف ، نجد هنامن ينادي بهذه الحرية الجنسية ، لتتجرع المرأة المسلمة من الكأس الذي تجرعت منه المرأة الغربية ، فتتذوق طعم المذلة والمهانة ٠

وبعد هذا فهل نحن بحاجة إلى هذه الحرية ؟

إن هذه الحرية بكل نتائجها المدمرة للفرد والمجتمع تخالف الحرية التي ينادي بها الإسلام ٠ فالناظر إلى توجيهات القرآن الكريم يجد أن الإسلام قد أقر للفرد الحرية الشخصية ، ولكنه جعل لهذه الحرية ضوابط تحقق المصلحة للفرد والمجتمع ٠

فجعل له الحرية في الأمور التي تحقق له المصلحة في إطار شريعة الله كالحرية في الفكر ، والعقيدة ، وإبداء الرأي ، والأموال

كما وضع الإسلام ضوابط تعود نتائجها الإيجابية على الفرد والمجتمع ، مثل المحافظة على الأعراض ، والدماء ٠

فعلى المسلم أن يقدر لنفسه حرية ، يحافظ من خلالها على حريات الآخرين ، فإن لم يلتزم بذلك ، يجب أن يفرض عليه مجتمعه قيوداً خارجة عنه ، ويعاقبه إذا لم يلتزم بها ٠

يقول الأستاذ أنور الجندي :

" حرص الإسلام على تحقيق المصلحة العامة للمجتمع ، فقد

---

[١] ياسر فرحات ، المواجهة د/نوال السعداوي في قفص الاتهام ، دار الروضة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص٩٧ ــ ٩٨ ٠

احتفظ كل فرد بفرديته ، ودعا إلى المحافظة والتوازن بين مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد ٠ ومعنى هذا أن الفرد ليس حرا في أن يفعل مايشاء ، ولكن حريته تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين "٠ [1]

وهكذا نجد التوازن التام بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، وكذا بين الحقوق والواجبات ٠ فكما أن للفرد حقوقا تحقق حريته ، فإن عليه واجبات تكفل الحرية لغيره ٠

ومن الحريات التي كفلها الإسلام للفرد :

١ ـ حرية الفكر :

اهتم الإسلام بشأن العقل ، وأعلى منزلته ، وجعل عليه مناط التكليف ٠

وتتضح أهمية العقل في وروده في نحو خمسين آية باختلاف اشتقاقاته ٠

من هنا حث الإسلام على إدامة النظر في ملكوت الله ، حيث يعمل العقل بالتدبر والتفكر ٠

قال تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾ [2]

وقال تعالى في سورة ق : ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ(٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ** ﴾ [3]

هذه الآيات وغيرها كثير تؤكد لنا إذكاء مكانة العقل ، وإعمال

---

[1] الإسلام والعالم المعاصر ، ص٣١٤ ٠
[2] سورة الغاشية ، الآيات : (١٧ ــ ٢٠) ٠
[3] سورة ق ، الآيات : (٦ ــ ٨) ٠

وظيفته • ممايؤكد تحقيق الإسلام لحرية الفكر ، وعدم الحجر عليه أو على مايتوصل إليه تفكيره •

٢ ـ حرية العقيدة :

بناء على حرية الإنسان الفكرية أقر له الإسلام حرية العقيدة • وتتجلى هذه الحرية في قوله تعالى : « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ »[1] فالإسلام لايجبر أي إنسان على عقيدة معينة ، إنما هو يدله على الطريق الصحيح ، ويجزل له المثوبة ، ويحذره من المخالفة • فمن أراد أن يؤمن بالله فله ذلك ، ومن لم يرد الإيمان فلا إكراه في ذلك

ولقد كان لهذه الحرية الوجه الناصع في التاريخ الإسلامي ، حيث عاش أهل الذمة داخل البلاد الإسلامية عيشة هناء ورخاء ، ولهم الحرية في اختيار ديانتهم ، والفسحة في إجراء أحكامهم بينهم، وإقامة شعائرهم دون التعرض للأذى • وعلى المسلمين تأمين حقوقهم والعدل فيهم ،وحمايتهم مقابل مايدفعونه من جزية لبيت مال المسلمين •

ولقد كان لهذه المعاملة الحسنة الأثر الكبير في نفوس أهل الذمة الأمر الذي أدى إلى دخول الكثير منهم واعتناقهم الدين الإسلامي عن رضا واقتناع •

ولقد تعددت المواقف التي تنبيء عن تطبيق المسلمين لهذه الحرية ، من ذلك ماحدث في مصر ، حيث كان الأقباط يعانون فيها من الاضطهاد الديني بسبب اعتناقهم المذهب

---

[1] سورة البقرة ، آية : (٢٥٦) •

اليعقوبي * ، في حين أن حكامهم الروم كانوا يعتنقون المذهب الملكاني ** ، فاضطهدوهم لأجل ذلك .

يقول المقريزي في خططه :

" لماقدم عمروبن العاص*** بجيوش المسلمين معه إلى مصر ، قاتلهم الروم ، حماية لملكهم ؛ ودفعا لهم عن بلادهم . فقاتلهم المسلمون وغلبوهم على الحصن ، فطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية ، فصالحهم عليها ، وأقرهم على مابأيديهم من الأراضي وغيرها . وكتب عمرو لبنيامين بطرك اليعاقبة أمانا في سنة عشرين من الهجرة ، فسره ذلك ،وقدم إلى عمرو ، وجلس على كرسي بطركية ، بعدما غاب عنه ثلاث عشرة سنة " .[1]

وهكذا ظل المسلمون في جميع أيام حكمهم ،يجمعون تحت ظل دولتهم جميع الملل والنحل ، وهم محافظون على جوارهم وأمنهم .

---

[1] أحمد بن علي المقريزي ، خطط المقريزي ، تصدره إدارة التحرير للطبع والنشر ، طبعة بولاق ، عام ١٢٧٠هـ ، (٣ : ٥٣٥) .

* اليعقوبية : أصحاب يعقوب . قالوا بالأقانيم الثلاثة ، إلا أنهم قالوا : انقلبت الكلمة لحما ودما ، فصار الإله هو المسيح ، والظاهر بجسده ،بل هو هو . انظر محمد الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق محمد الكيلاني ، دار المعرفة ،بيروت ، ١٤٠٠هـ ،(١ : ٢٢٥) .

** الملكانية : أصحاب ملكا . قالوا : إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح ، وتدرعت بناسوته .. وأن المسيح ناسوت كلي لاجزئي ، وقد ولدت مريم إلها أزليا والقتل والصلب ، وقع على الناسوت واللاهوت معا . المرجع السابق (١ : ٢٢٢) .

*** عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي ، أمير مصر أسلم قبل الفتح سنة ٨هـ ، ولاه النبي ﷺ غزاة ذات السلاسل ، وأمده بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة ، ثم استعمله على عمان ، ولي إمرة مصر في زمن عمر ،وهو الذي افتتحها ، مات سنة ثلاث وأربعين ، وهو ابن تسعين سنة .
ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الفكر، ١٣٩٨هـ ، (٣ : ٢ ــ ٣) .

٣ . حرية إبداء الرأي :

كفل الإسلام للفرد حرية إبداء الرأي والتعبير عما يجول في النفس في إطار التشريع، بل لقد أوجبت الشريعة الإسلامية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٠ قال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [1]

وقد طبق هذه الحرية الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ،

ويظهر ذلك جلياً في خطبة الصديق رضي الله عنه في قولته :

" إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ،وإن أسأت فقوموني " ٠ [2]

وتتجسد هذه الحرية أيضاً في خطبة عمر رضي الله عنه عندما قال :" إن الله قد ولاني أمركم ... فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة ، أو عتب علينا في خلق فيؤذني ، فإنما أنا رجل منكم " ٠ [3]

كما أنه رضي الله عنه عندما اعترضت عليه امرأة في جعله للصداق قدراً محدوداً ، قال قولته المشهورة :" إن امرأة خاصمت عمر ، فخصمته " ٠ [4] وفي رواية أخرى :" أصابت امرأة ، وأخطأ

---

[1] سورة آل عمران ، آية : (١٠٤) ٠

[2] عبدالملك بن هشام ، السيرة النبوية ، ت مصطفى السقا – إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ،ط٢ ، ١٣٧٥هـ ، المجلد الثاني ، (٤ : ٦٦١) ٠

[3] محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ ، مجلد ٣ (٥ : ٢٦) ٠

[4] عبدالرزاق الصنعاني ، المصنف ، المكتب الإسلامي ، ط١ ١٤٠٧هـ ، ح ١٠٤٢٠ (٦ : ١٨٠) إسناده ثقات ٠ عدا قيس ابن الربيع قال عنه ابن حجر في التقريب: صدوق تغير لما كبرو أدخل عليه ابنه ماليس من حديثه فحدث به ، انظر ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب – حققه وعلق عليه ووضحه أبو الأشبال صغيربن أحمد الباكستاني ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، ص ٨٠٤ ٠ وانظر ابن حجر العسقلاني ، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، ت / حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (٢ : ٤) ح ١٥٠٤ كما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ثم قال : رواه أبو يعلى في الكبير وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف وقد وثق انظر الكتاب ، ط٣ ، ١٤٠٢ هـ ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، مجلد ٢ ، (٤ : ٢٨٣ – ٢٨٤) ٠ محمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ ، (٥ : ٩٩) ٠

عمر " ٠

وهكذا فقد كفل الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وأرضاهم حق الاعتراض على آرائهم وتقويم الاعوجاج إن حصل ذلك منهم ،ولم تكن هذه الأقوال شعارات تذاع ٠ وإنما هي حقوق تطبق على أرض الواقع ٠

بهذا تتجلى حرية إبداء الرأي ، وليس هذا فقط بل النزول عند الرأي المخالف متى تبين أنه الحق ٠

٤ ـ حرية الأموال :

ضمن الإسلام للفرد الحرية في اكتساب المال ، فله أن يختار السبيل لجمع المال حسب رأيه وحريته وبمايتناسب مع قدراته ومهاراته وامكانياته المالية وميوله على أن لايتعدى إلى ماحرم الله٠

قال تعالى : « فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » [1]

وقال تعالى : « وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » [2]

وكذلك فقد أحل له الإسلام الانتفاع والتمتع بالمال وفق ماأباحته الشريعة الإسلامية ٠ قال تعالى : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » [3]

---

[1] سورة الجمعة ، آية : (١٠) ٠
[2] سورة البقرة ، آية : (٢٧٥) ٠
[3] سورة الأعراف ، آية : (٣٢) ٠

ومن محافظة الإسلام على حرية الأموال حرم الاعتداء على أموال الغير فحرم السرقة والرشوة وأكل المال بالباطل قال تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً » [1]

وجعل الجزاء الرادع لمن يخالف ذلك ٠ قال تعالى في شأن السرقة : « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » [2] وفي شأن الرشوة قال المصطفى ﷺ :" لعنة الله على الراشي والمرتشي " ٠ [3]

بعد أن حقق الإسلام للفرد هذه الحريات ٠ جعل هناك ضوابط تحمي المجتمع الإسلامي من شيوع الفاحشة ، واختلاط الأنساب ٠ وتحافظ على وحدته ،وترابط أفراده،وتراحمهم ٠ وبذلك تحول هذه الضوابط دون انحلال المجتمع وترديه في النواحي الخلقية ٠ ومن هذه الضوابط :

١ ـ الحفاظ على الأعراض :

اهتم الإسلام بالحفاظ على عرض المسلم ، فحرم التعدي عليه ؛ سواء بالقول أو بالفعل ٠ كما أنه حرم الهمز واللمز والغيبة والبهتان ،وكل مايمس المسلم في عرضه ٠ قال تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ

[1] سورة النساء ، آية : (٢٩) ٠

[2] سورة المائدة ، آية : (٣٨) ٠

[3] محمد بن ماجه ، سنن ابن ماجه ،ت محمد الأعظمي ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، (٢ : ٣٤) ، أبواب الأحكام ، التغليظ في الحيف والرشوة ، ح ٢٣٣٤ ٠ صححه الألباني انظرمحمد الألباني ، صحيح ابن ماجه ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ،ط٣ ، ١٤٠٨هـ،(٢ : ٣٤) ح /١٨٧١ ٠

بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ ٠[١]

وكذا حرم الله الزنى ، وكل مايؤدي إليه ، وجعله من كبائر الذنوب لما فيه من الاعتداء على حرمات الآخرين ٠ قال تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾ ٠ [٢] وفرض على مرتكبه العقوبة الشديدة بحيث إذا كان الزاني محصناً يرجم حتى الموت ٠

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : أتى رجل إلى النبي ﷺ وهو في المسجد ، فناداه ٠ فقال : يارسول الله إني زنيت ، فأعرض عنه ، حتى رد عليه أربع مرات ٠ فلما شهد على نفسه أربع شهادات ، دعاه النبي ﷺ فقال : أبك جنون ؟ قال : لا ٠ قال : فهل أحصنت ؟ قال : نعم ، فقال النبي ﷺ : اذهبوا به فارجموه " ٠ [٣]

إما إن كان غير محصن فيجلد مائة جلدة قال تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ [٤]

وقد أمر الله تعالى بالإشهاد على إقامة الحد حماية للمجتمع ،لأن في إقامته عبرة وزجراً للمشاهد فلايرتكب هذا الفعل ، حتى لايقع

---

[١] سورة الحجرات ، آيتا : (١١ ــ ١٢) ٠
[٢] سورة الإسراء،آية : (٣٢) ٠
[٣] محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، دار العربية (٨ : ٢١ ــ ٢٢) كتاب المحاربين من أهل الكفر . والردة ، باب لايرجم المجنون والمجنونة ٠
[٤] سورة النور ، آية : (٢) ٠

في العقاب ، كما في إقامة الحد تطهير للزاني ٠

و بذلك حرص الإسلام على طهارة المجتمع ؛ وعلى سلامته ؛ حتى لايشارك الصالح من خرج على صلاح المجتمع بالإثم والمعصية ٠ ومن تشديد الإسلام في الحفاظ على الأعراض تحريمه قذف المؤمنات الغافلات ، وجعله من كبائر الذنوب ، وجعل عقوبتة زاجرة تقارب عقوبة الزنا لغير المحصن ، وهي الجلد ثمانين جلدة ٠ قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾ [1]

هذه الأحكام والعقوبات تؤكد حرص الإسلام على الموازنة بين الواجبات والحقوق ، فكما أن الفرد المسلم لايريد أن يمس عرضه ،فعليه أن لايتعدى على أعراض الآخرين ٠

٣ . حماية دم المسلم :

حفظ الإسلام للمسلم دمه ، فلايهدر إلابحق ، وحرم الاعتداء عليه ٠ ولقد شرع الإسلام لحفظه العقوبة الزاجرة وهي القتل إذا لم يرض ولي الدم بالعفو أو بأخذ الدية ٠

قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [2]

وكذا يشمل القصاص في الجراحات والأطراف قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل :

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ [3] ٠

---

[1] سورة النور ، آية : (٤) ٠

[2] سورة البقرة ، آية (١٧٩) ٠

[3] سورة المائدة ، آية : (٤٥) ٠

وهكذا نجد أن الإسلام قد أقرو حافظ على الكثير من حقوق المسلم ، وفرض على غيره من المسلمين احترامها ، وعدم التعدي عليها ٠ وهكذا لكل فرد حرية ، فلاهو يعتدي على غيره ، ولايعتدي غيره عليه ٠

فالحرية في الإسلام حرية مقيدة بشرع الله ، فلايفعل المسلم إلا مايجب عليه فعله شرعا وعرفا ٠ أما الحرية المطلقة فهي حرية وهمية ، لاوجود لها في أرض الواقع ٠ ومع هذه الحقيقة فإننا نجد أن لهذه الأصوات الناعقة أثرها على المرأة المسلمة إلا من رحم الله ، فقد سيطرت هذه الآراء على عقليتها ، فأبعدتها عن تعاليم ربها ، فاختلطت وتبرجت باسم الحرية الشخصية ، حتى سادت الإباحية ، وغرقت المجتمعات في بحور الرذيلة والفساد ٠

ولقدصرحت بعض فتيات تركيا بمايثبت فساد عقليتهن ، وتأثرهن بهذه الدعوات ، فقلن :" إن المرأة التركية اليوم حرة ،فلن تسير إلى الطرقات في ظلام ٠ وإننا نعيش اليوم مثل نسائكم الإنجليزيات ، نلبس أحدث الأزياء الأوروبية والأمريكية ، ونرقص وندخن ونسافر ونتنقل بغير أزواجنا " ٠ [1]

وقد اهتم دعاة التغريب بهذه الدعوة ، لأنها تفتح الطريق أمام الانحلال وتدمير الأسرة المسلمة ٠ وهدم الأجيال القادمة.ونتيجة لتأثر المرأة المسلمة بهذه الحرية المزعومة ، تأثرت الأسرة المسلمة ، ذلك لأن المرأة إذا فسدت لم تستطع أن تكون أسرة صالحة تمد الأمة الإسلامية بالشباب النافع والفتيات الصالحات ٠

---

[1] عودة الحجاب ، (١ : ٢٠٨) ٠

يقول الشيخ محمود أبو العيون موضحاً أثر هذه الحرية :

" إن المرأة فهمت الحرية فهماً معكوساً ، وفي ظل الحرية الزائفة تحررت المرأة من الآداب والأخلاق ،ورأت فيها قيوداً يجب تحطيمها • وفي ظل هذه الحرية الزائفة داست المرأة أقدس واجباتها كزوجة وأم وربة منزل ، فتهدمت الأصول التي تبنى عليها حياة الأسرة " •[1] ولقد عم تأثيرها على المجتمعات الإسلامية ، فباسم الحرية شاعت الفواحش والرذائل ، وفتحت المواخير وبيوت الدعارة حتى فسدت المجتمعات •

وهذا ماأراد دعاة التغريب تحقيقه في المجتمع المسلم ؛ إرضاء لأسيادهم في الغرب الذين يسعون إلى تقويض المجتمع المسلم ، ليسهل على قوى الاستعمار العالمي استمرار سيطرتها على مقدرات العالم الإسلامي ، واستنزاف خيراته وثرواته ضماناً ألاتقوم للمسلمين قائمة •

وعلى الرغم من عموم البلايا وانتشار الرزايا فسيظل الخير في أمة محمد ﷺ باقياً إلى يوم القيامة إذا تجنب المجتمع المسلم الانزلاق في مهاوي الرذيلة والفجور التي تسببها هذه الحرية وعندما يقوم الرجال والنساء بماأمرهم الله به • فيؤدي الرجال مهامهم تجاه الأسرة المسلمة ، وخاصة رعاية المرأة فإن الله جعل القوامة للرجل عليها • فلو أنه أدى ماأوتمن عليه ، ورعى أهله ، وعلمهم أمور دينهم ورباهم على السمع والطاعة لله ورسوله لما وصلت الكثيرات من النساء المسلمات إلى ماوصلن إليه • قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا

---

[1] أنور الجندي ــ حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام ، دار الأنصار بالقاهرة ، ص١١ •

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [1]

فدور الرجال كبير في حماية النساء من شر هذه الدعوات ·

يقول انتوني لودوفيتشي :

" إن السبب في هذه التغيرات ينحصر فيما يفقده الرجال تدريجيا من صلابة في الخلق ؛ ومضاء في العزم ؛ وقسوة في الاحتمال ·

ولقد لوحظ أنها جميعاً تعد مقدمات ، تسبق دائماً بصورة حتمية حركات التحرر النسوي ، التي تعد من النتائج المترتبة على ماسبقها ، والتي يطرد وقوعها · أو هي من الأعراض التي تقترن دائما بالعلل السابقة وتلازمها "· [2]

وكذا الحال بالنسبة للمرأة المسلمة ، فعليها أن تقوم بماأمرها به الله تعالى ولتحذر من مخالفته وتؤمن بأن ماشرعه الله تعالى هو خير لها ، فلاتستجيب لمطالب هؤلاء ، بل تقول :

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [3]

وإذا تحقق ذلك ضمنا صلاح حياتنا واستمرار مجتمعاتنا الإسلامية على منهج الله الذي تستقيم به الأمور ، وتصلح به الأحوال فنكون عندها قد حققنا الحرية الحقيقية ، وحفظنا مجتمعاتنا من الانحراف ، وحياتنا من الضياع · وهكذا تبين لنا فساد هذه الشبهة ، وأن الحرية المطلقة حرية وهمية كاذبة ؛ لاوجود لها في الواقع · ولقد رأينا فساد هذه الحرية ؛ عندما طبقت في العالم

---

[1] سورة التحريم ، آية : (٦) ·

[2] أحمد المجدوب ــ العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية مقارنة بالمجتمعات الإسلامية ، الدار المصرية اللبنانية ، ط٢ ، ١٤١٨هـ ، ص ١٨٩ ·

[3] سورة البقرة ، آية : (٢٨٥) ·

الغربي في مجال الأخلاقيات ، وماحملته للمجتمعات من فساد ودمار ، وماجرته على العالم الإسلامي ، حينما أراد أن يطبق هذه الحرية • فالحرية الحقيقية هي الالتزام بمنهج الله والسير على هداه •

المبحث الثالث

شبهاتهم حول دعوى تخلف الشريعة الإسلامية عن مواكبة العصر

المفهوم اللغوي للتخلف :

جاء في اللسان تحت مادة خلف :

" الخلف :ضد قدام ، وخلفه يخلفه : صار خلفه ٠٠ والخلف:الظهر ٠ والتخلف : التأخر ٠٠ وجاء خلافه : أي بعده ٠

يقال خلفت الرجل في أهله : إذا أقمت بعده فيهم ، وقمت عنه بماكان يفعله ٠

والخالفة : الأمة الباقية بعد الأمة السالفة ، لأنها بدل مماقبلها وتقول خلفت فلانا ورائي ، فتخلف عني:أي تأخر ٠

والخلف : نقيض الوفاء بالوعد ".[1]

وفي معجم مقاييس اللغة :

" خلف : الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة : أحدها : أن يجيئ شيء بعد شيء يقوم مقامه ، والثاني : خلاف قدام ، والثالث:التغير ، الخَلَف : ماجاء بعد ، وإنماسميت خلافة ، لأن الثاني يجيء بعدالأول قائما مقامه ٠ وتقول قعدت خلاف فلان : أي بعده ٠ وأخلف الله لك: أي عوضك من الشيء الذاهب مايكون يقوم بعده ويخلفه ٠٠ الخَلْفُ: غير قدام " ٠[2]

---

[1] لسان العرب، (٩ : ٨٢ ــ ٩٧) ٠

[2] أحمد بن فارس زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، ت عبدالسلام محمد هارون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط٢ ، ١٣٩٠ هـ ، (٢ : ٢١٠ ــ ٢١٣) ٠

المفهوم اللغوي للشريعة :

ذكر صاحب لسان العرب

" شرع : الوارد يشرع شرعا وشروعا : تناول الماء بفيه ·

والشريعة في كلام العرب : مشرعة الماء ، وهي : مورد الشاربة التي يشرعها الناس ، فيشربون منها ويستقون ·

شرعة : معناها : ابتداء الطريق ، والمنهاج : الطريق المستقيم·

وشرعت في هذا الأمر شروعا : أي خضت ·

شرعة منهاجا : سبيلا وسنة " · [1]

وجاء في المعجم الوسيط :

" **الشرعة** : الطريقة ، والمذهب المستقيم ·

والشريعة : ماشرعة الله لعباده من العقائد والأحكام ·

وهي مورد الماء الذي يستقى منه ··

شرع المنزل شرعا : دنا من الطريق · وشرع الشيء : أظهره وأعلاه وشرع الأمر : جعله مشروعا مسنونا "· [2]

نخلص من مفهوم الشريعة إلى أنها الطريق المستقيم·لأن الأحكام مستقيمة ، فلاتنحرف عن الطريق المستقيم ، وكذلك الشريعة تحيي النفوس والأرواح ، كما أن مورد الماء يحيي الأبدان ·

ومن خلال المفهومين يتضح لنا أن مفهوم تخلف الشريعة ، هو تأخر هذا الطريق أو المنهاج عن مواكبة العصر الحاضر ، وعدم الوفاء بمتطلباته ·

---

[1] لسان العرب ، (٨ : ١٧٥ ــ ١٧٩) ·
[2] المعجم الوسيط ، (١ : ٤١٨ ــ ٤٨٢) ·

المفهوم الاصطلاحي للشريعة :

ورد لمفهوم الشريعة عدة تعاريف بحسب نظرة المؤلف لمصطلح الشريعة ، فنجد أن الأستاذ بدران أبو العينين يقصرها على الأحكام فيقول : هي " الأحكام التي سنها الله تعالى لعباده على لسان رسول من الرسل ". [1]

وتابعه في ذلك محمد بن معجوز فقال هي :

" جميع الأحكام الواردة في الإسلام من وجوب وحرمة وكراهة وندب وإباحة ، ومن ترغيب وترهيب وتبشير وإنذار ". [2]

أما شيخ الإسلام بن تيمية فقد وسع في هذا التعريف فقال :

" كل ماشرعه الله من العقائد والأعمال ". [3]

ويعرفها الإمام الشاطبي في الموافقات بقوله :

" إن معنى الشريعة أنها تحد للمكلفين حدودا في أفعالهم وأقوالهم واعتقادهم ". [4]

وتابعه في هذا الإمام القرطبي فقال :

" ماشرع الله لعباده من الدين ٠٠ وهي الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة ". [5]

ويقول الأستاذ القطان في تعريفها :

" ماشرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق **والمعاملات ونظم الحياة في شعبها المختلفة ، لتحقيق سعادتهم في**

---

[1] بدران أبو العينين ، الشريعة الإسلامية ، ص٢٧ ٠

[2] محمد بن معجوز ــ محاضرات في المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، ص٣ ٠

[3] أحمد بن تيمية ،مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ، مكتبة المعارف ، المغرب ، (١٩ : ٣٠٦) ٠

[4] إبراهيم اللخمي الشاطبي ، الموافقات في أصول الأحكام ، تعليق السيد محمد التولسي ، دار الفكر ١٣٤١هـ ، (١ : ٥٣) ، المقدمة العاشرة ٠

[5] الجامع لأحكام القرآن ، (٦ : ٢١١) ٠

الدنيا والآخرة [1] ".

من خلال التعريفات السابقة يتضح أن التعريفين الأولين قد قصرا الشريعة على الأحكام فقط . أما التعريفات الأخرى فقد وسعت في مفهوم الشريعة بحيث جعلته شاملاً للعبادات والاعتقادات والذي أرجحه من هذه التعاريف تعريف الأستاذ القطان باعتباره مفصلاً لجميع نواحي الحياة ، وموضحاً الحكمة من التشريع ، وأنها السعادة الآخروية والدنيوية أما التعاريف الأخرى فقد جاءت بنفس المعنى ولكنها مجملة .

موقف دعاة التغريب :

وقف دعاة التغريب من الشريعة الإسلامية موقفاً متعنتاً ، إذ اعتبروها حجر عثرة أمام التطور ومواكبة العصر . وقد استندوا في هذه الشبهة على أن الإسلام ديناميكي متطور قابل للتغيير والتبديل في الأحكام والشرائع ؛ حسب مقتضيات العصر ، كما أن الإسلام قد أمرنا أن نأخذ بالأصلح الذي يتلاءم مع زماننا ومكاننا . وفي هذا بعض الحق . كذلك فقد استغل دعاة التغريب مرحلة الجمود والتخلف اللذين أصابا العالم الإسلامي ، فأرجعوا ذلك إلى عدم تطوير الشريعة الإسلامية والتمسك بها ، كما هي دون تغيير أو تطوير .

وعلى هذا رأوا أن التمسك بالشريعة الإسلامية هو سبب الجمود والركود ، لذا فإن من الواجب أن نسعى لتطويرها ، لتتمكن من

---

[1] مناع القطان ، التشريع والفقه في الإسلام تاريخياً ومنهجاً ،مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٥ .

الوفاء بمتطلبات العصر ٠ من خلال هذا المنطلق طالبوا بتطوير الشريعة ؛ وعدم التمسك بها كما أنزلت ٠

ولقد تبنى القول بهذه الدعوى مجموعة من دعاة التغريب في الماضي والحاضر ، وعلى رأسهم قاسم أمين الذي يقول : " والذي أراه أن تمسكنا بالماضي إلى هذا الحد ، هو من الأهواء ، التي يجب أن ننهض جميعا لمحاربتها ، لأنه ميل يجرنا إلى التدني والتقهقر "٠[1]

وفي خطاب ألقاه عبدالعزيز جاويش * في المؤتمر المصري عام ١٩١١م ، يقول : " لقد سنت لنا شريعتنا أن نأخذ بالأصلح الملائم للأزمنة والأمكنة ، حتى لايكون على الناس حرج ولاضرار ٠ بل رخصت أن يعدل عن النص ، إذا ثبت ثبوتا قاطعا أن الضرورة توجب هذا العدول ، وكانت المصلحة التي تنتج من اتباع النص ، أقل ممايننتجه هذا العدول "٠ [2]

ومن هؤلاء د/ عبد الرزاق السنهوري إذ دعا في مقال له بعنوان (القانون المدني الغربي) إلى توحيد القانون المدني في جميع البلاد العربية ، على أن يكون مسايرا لمدنية العصر ٠ يقول :

" وهذه الدراسة هي التي قصدت أن أصل إليها ، حتى إذا آتت ثمارها ، وتقدمت دراسة الفقه الإسلامي إلى الحد الذي يجعله

---

[1] المرأة الجديدة ، ص ١١٤ ٠

[2] الاتجاهات الوطنية ، (١ : ٣٦١) ٠

* عبدالعزيز خليل جاويش (١٢٩٣ ــ ١٣٤٧ هـ) خطيب ، له علم بالأدب والتفسير من رجال الحركة الوطنية بمصر ، تونسي الأصل ، أختير أستاذا للأدب العربي في جامعة كمبردج ، تولي تحرير جريدة اللواء , أصدر جريدة الهلال ، فمجلة الهداية ،ثم مجلة العالم الإسلامي ٠ له عدة كتب ، منها أثر القرآن الكريم في تحرير الفكر البشري ، غنية المؤدبين في الطرق الحديثة للتربية والتعليم ، خواطر في التربية والسياسة وأبحاث عن المرأة المصرية والشؤون العامة.الأعلام ، (٤ : ١٧)٠

مصدراً لقانون مدني ؛ يجاري مدنية العصر ، ويساير ثقافة الجيل" . [1]

ومن نحا إلى هذا الاتجاه أحمد بهاءالدين حيث يرى أن ماجاء في الإسلام : " من أحكام وتشريعات دنيوية ، فقد كانت من قبيل ضرب المثل ، ومن باب تنظيم حياة نزلت في مجتمع بدائي إلى حد كبير ، ومن ثم فهي لاتلتزم عصرنا ومجتمعنا " . [2]

ولم يكتف دعاة التغريب بذلك ،بل إنهم طالبوا بإسقاط التكاليف الشرعية ؛ مراعاة لروح العصر ،ومن ذلك ماجاء عن أحمد زكي أبي شادي ، يقول :

" فأما التكاليف الشرعية . . فهذه أيضاً يجب أن تكون متميزة بفلسفتها العملية ؛ ومطابقتها لروح العصر ، وإذا كان النبي - ﷺ - قد أجاز الصلاة مرتين فحسب ؛ لمن لايقدر على عدد أكثر ،فما أحرى بنا مراعاة ذلك في هذا العصر المرهق بالأعمال " . [3]

وفي هذا افتراء على رسول الله ﷺ فأين أجاز النبي ﷺ ذلك ؟

ويعبر د/ عمارة بصراحة أشد ، فيقول :

" فإن أحداً لن يستطيع الزعم بأن الشريعة ، يمكن أن تثبت عندما يقرره نبي لعصره " . [4]

ومن صرح بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق في هذا العصر زكي نجيب محمود ، الذي يقول : " إن الشريعة لم تعد تصلح لواقعنا المعاصر ، ثم علينا أن نبني حضارتنا على النموذج الغربي المادي الحديث ، دونما التفات إلى أي أسس أخلاقية ، أو

---

[1] حصوننا مهددة من داخلها ، ص ١٢٨ ــ ١٢٩ .
[2] الصحافة ,الاقلام المسمومة ، ص ٢١٤ .
[3] محمد حسن بنجر ، دراسات إسلامية ونقد مكتاب ثورة الإسلام لأحمد زكي أبي شادي، مطابع دار الأصفهاني ، جده ، ص ٥٦ .
[4] العصرانيون ، ص ٢٧٦ .

قيمة ثقافية أو عقدية ". [1]

وفي عام ١٩٧٠ م كتب محمد النويهي في الآداب اللبنانية :" إن كل مافي القرآن والسنة ومذاهب الفقهاء من تشريعات .. تتناول أمور **الدنيا ومعاملاتها وتنظيمها وعلاقاتها كلها ؛ ليست ملزمة لنا في كل الأحوال ، حتى ماكان منها في زمان النبي -ﷺ- من بابي الفرض** والتحريم ، لم يعد ملزما بالضرورة .كذلك بل لنا الحق في أن ننقله إلى باب الندب أو الكراهة ، إن لم ننقله إلى باب المباح ، وهو التخيير المطلق " . [2]

ومن رموزهم محمد عركون ، فيقول :" عندما يستحيل تكييف النص مع العالم الحالي ، عندما يكون منبثقا علانية عن وضع اجتماعي ، لايتناسب في شيء مع عالمنا الحاضر ينبغي تغييره ". [3]

ويطالب د/ محمد أحمد خلف الله بتطبيق القانون الوضعي ؛ بحجة أنه يحقق الحرية والتقدم اللذين تعجز الشريعة عن تحقيقهما . يقول في ذلك : إنه لابد من " ضرورة انعتاق الأحكام من إسار الشريعة إلى بحبوحة القوانين الوضعية ، التي تحقق لها الحرية والتقدم المذهلين . وإن خروج المعاملات من نطاق الشرع إلى نطاق القانون ؛ قد حقق لها ألوانا من الحرية والانطلاق " . [4]

ومن هذه النصوص نلاحظ تصريحا أو تلميحا في الهجوم على الشريعة الإسلامية والمطالبة بتطويرها حسب مايتفق مع القانون الوضعي لعدم ملاءمتها للعصر الحديث . ولاشك أنها دعوة خطيرة

---

[1] المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .
[2] ماذا يريدون من المرأة ، ص ٥١ .
[3] المرجع السابق ، ص ٧٢هـ ١ .
[4] العصرانيون ، ص ٢٧٥ .

تهدف إلى إلغاء الشريعة الإسلامية تماما ، وإقصائها عن البلاد الإسلامية ليتخذ بدلا عنها القانون الوضعي ، الذي يسمح لدعاة التغريب بتنفيذ أغراضهم دون قيد أو شرط ٠ كما أن هذه الدعوات تزلزل قيمة التشريع في نفوس المسلمين ، وإذا ماتم ذلك هان عليهم الابتعاد عنها ، ومن ثم السقوط في وحل التغريب ٠ ولأهمية هذا الموضوع وجب علينا بيان فساد هذه الشبهة ، وماتحمله من باطل ثم تفنيده ٠

الرد على هذه الشبهة :

لقد ذكرنا سابقاً أن دعاة التغريب اعتمدوا في هذه الشبهة على أن الإسلام دين ديناميكي قابل للتغيير والتبديل في الأحكام والشرائع حسب مقتضيات العصر ، وأن الإسلام قد أمرنا أن نأخذ بالأصلح ، الذي يتلاءم مع زماننا ومكاننا ، وفي هذا بعض الحق ٠ لأن الشريعة الإسلامية تتسم بعدة مميزات ، أكسبتها القدرة على مواكبة كل عصر ، والوفاء بمتطلبات الحياة الجديدة ، ولعل من أهم مميزاتها التي أكسبتها هذه القدرة ؛ أنها ربانية المصدر ، أي أنها منزلة من رب العالمين ، العالم بأحوال الناس ، ومايحتاجه معاشهم ؛ ومايسعدهم في معادهم:" ولقد حرص التشريع الإسلامي على تأصيل معنى الربانية وتثبيته في نفوس أتباعه ٠ يدل على ذلك ٠٠مزج التوجيه والإرشاد بالأحكام والتعقيب بالتحذير والتهديد ٠ كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1] "[2] هذه المصدرية الربانية جعلت من

---

[1] سورة البقرة ، آية : (٢٢٩) ٠

[2] محمد الصباغ ـ التشريع الإسلامي وحاجتنا إليه ، المكتب الإسلامي ،بيروت ـ ط٢ ١٣٩٧هـ ، ص٢٢ ٠

الشريعة الإسلامية شريعة صالحة لكل زمان ومكان • فأكسبتها المرونة والثبات • ذلك أن الله تعالى قضى أن يكون هذا الدين عاما لجميع الثقلين الإنس والجن ، ورسالته خالدة إلى يوم القيامة • فكان من رحمته بعباده أن ترك لهم أمورا لم يصدر فيها تشريع ، ولم يكن ذلك نسيانا، وإنما ليتمكن المسلمون من تصريف مايجد في حياتهم وفق الأسس العامة ،التي وضعها التشريع ، فأصبحت تتسع لكل حادثة ،وتعالج كل جديد ، بمايفي بمصالح الخلق ، ويحقق مقاصد الشرع بغير عنت ولا إرهاق • وقد وسعت العالم الإسلامي كله على اتساعه؛ وتعدد أجناسه ؛ وتنوع بيئاته ؛ وتجدد مشكلاته •

يقول سيد قطب : " إنها الرسالة الأخيرة ، فهي الرسالة الشاملة التي لاتختص بقوم ولاأرض ولاجيل ، ولقد كانت الرسالات قبلها رسالات محلية ، قومية ، محدودة بفترة من الزمان ، وكانت البشرية تخطو على هدي هذه الرسالات خطوات محدودة تأهيلا لها للرسالة الأخيرة ، وكانت كل رسالة تتضمن تعديلا وتحويرا في الشريعة ؛ يناسب تدرج البشرية • حتى إذا جاءت الرسالة الأخيرة جاءت كاملة في أصولها ، قابلة للتطبيق المتجدد في فروعها ، وجاءت للبشر جميعا ، لأنه ليست هنالك رسالات بعدها للأقوام والأجيال في كل مكان " • [1]

هذا الشمول الذي تميزت به الشريعة الإسلامية جعلها مصدرا أساسيا يستقي منه المسلم في أي أمر يحتاج إليه • فقد بين لنا نبينا محمد ﷺ كل أمر ، حتى لم نعد نحتاج إلى القوانين الوضعية ، التي تكمل مانقص • فالشريعة كاملة لانقص فيها ، بينها نبينا أتم بيان •

---

[1] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٧ ، ١٤١٢هـ ، (٣ : ١٣٧٩) •

يقول الإمام بن القيم عن هذه المسألة :

" فلرسالته ﷺ عمومان محفوظان ، لايتطرق إليهما تخصيص : عموم بالنسبة إلى المرسل إليهم ، وعموم بالنسبة إلى كل مايحتاج إليه من بعث إليه في أصول الدين وفروعه ، فرسالته كافية شافية عامة ، لاتحوج إلى سواها .. وقد توفي رسول الله ﷺ ؛ وماطائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علما ؛ وعلمهم كل شيء حتى آداب التخلي ، وآداب الجماع والنوم ،والقيام والقعود ، والأكل والشرب ،والركوب والنزول ، والسفر والإقامة ، والصمت والكلام ، .. ووصف لهم العرش والكرسي ، والملائكة والجن ،والجنة والنار ، ويوم القيامة.. وعرفهم معبودهم وإلههم أتم تعريف ، حتى كأنهم يرونه ؛ ويشاهدونه بأوصاف كماله ؛ ونعوت جلاله ، وعرفهم الأنبياء وأممهم ، وماجرى لهم ، وماجرى عليهم معهم ، حتى كأنهم كانوا بينهم ، وعرفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها ، مالم يعرفه نبي لأمة قبله .

وكذلك عرفهم ﷺ من أمور معايشهم مالوعلموه ، وعملوه ، لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة ،وبالجملة فجاءهم بخيري الدنيا والآخرة برمته ،ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه ، فكيف يظن أن شريعته الكاملة التي ماطرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة ، تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها ، أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارج عنها ؟!

ومن ظن ذلك ، فهو كمن ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده . وسبب هذا كله خفاء ماجاء به على من ظن ذلك ؛وقلة نصيبه من الفهم ؛ الذي وفق الله له أصحاب نبيه ﷺ ، الذين اكتفوا

بما جاء به ، واستغنوا بـه عماسـواه ، وفتحـوا بـه القلـوب والبـلاد ، وقالوا : هذاعهد نبينا إلينا وهو عهدنا إليكم " ٠ [1]

هذه الشمولية في التشريع الإسلامي أكدت أن الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق في كل عصر ومصر ٠ وهذا ماعترف بـه مؤتمـر حقوقـي فـي بـاريس ، فقـد جـاء فـي قراراتـه :" إن لمبـاديء الفقـه الإسلامي قيمة تشريعية ، لايماري فيها أحد ٠ وإن الفقـه الإسـلامي بمذاهبه يستطيع أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة" ٠ [2]

وإضافة إلى الشـمول والمرونـة نجـد ميـزة الثبـات ، فالشـريعة الإسلامية شـريعة ثابتـة فـي أصولـها وقواعدهـا ، فـالقيم والأخـلاق والفضائل ثابتة لاتتغير النظرة إليها من زمن إلى زمن آخـر؛ أومـن مكان إلى مكان ٠ وكذا العقائد والحلال والحرام ٠ أما مافيه مجـال فهذا نوع آخـر. إذ يمكـن فيـه التوسـع والتطويـر ٠ فتطـور الشـريعة ومواكبتها روح العصر يكون فـي نـوع خـاص مـن الأحكـام ٠وبـذا تجمع الشريعة الإسلامية بين المرونة والثبات ٠

يقول ابن القيم : " والأحكـام نوعـان :نـوع لايتغـير عـن حالـة واحدة هو عليها ٠ لابحسب الأزمنة ولاالأمكنة ، ولااجتهاد الأئمة : كوجوب الواجبات ،وتحريم المحرمات ، والحـدود المقـدرة بالشـرع علـى الجرائـم ونحوذلـك ، فـهذا لايتطـرق إليـه تغيير ولا اجتـهاد ، يخالف ماوضع عليه ٠

والنـوع الثـاني : مـايتغير بحسـب اقتضـاء المصلحـة لـه زمانـا ومكانـا و حـالا : كمقـادير التعزيـرات وأجناســها وصفاتــها ، فـإن

---

[1] ابن القيم الجوزية ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تعليق ومراجعة وتقديم طه عبدالرؤوف سعد ، دار الجيل ،بيروت ،(٤ : ٣٧٥ ــ ٣٧٦) ٠

[2] التشريع الإسلامي وحاجتنا إليه ، ص ١٨ ٠

الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة ".[1]

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن قول دعاة التغريب أن الإسلام ديناميكي وقابل للتغيير والتبديل فيه جزء من الحق وليس الحق كله.

نعم فالإسلام يتصف بصفة المرونة التي تجعله قابل للتطبيق وصالح لجميع الأزمنة والأمكنة ، ولكن تطبيق هذا القول على كل نواحي التشريع أمر باطل . لأنه مامن تشريع وإن كان وضعيا إلا وله ثوابت وأسس ؛ لاتقبل التعديل ، مع وجود نواح تفصيلية ،يمكن تطوير الشرع فيها حسب مقتضيات العصر .

وكذا الحال بالنسبة للشريعة الإسلامية ، حيث تتضمن نصوصا محكمة شرعها الله سبحانه وتعالى ،وأمر بتطبيقها إلى قيام الساعة . وهذه الثوابت ليس فيها مجال للاجتهاد أو التعديل أو التبديل ، فلايجوز التعرض لها أو الاعتراض عليها . مثال على ذلك إقامة الأركان الخمسة ، وتحريم المحرمات من الربى والزنا وشرب الخمر ، والالتزام بالفضائل الخلقية . فالكذب والظلم والنفاق وغيرها كلها رذائل في نظر الإسلام .

فلايمكن أن تكون مطلبا إسلاميا في عصر من العصور .

وقد جاءت هذا النصوص محكمة ، لأنه سبق في علم الله أنها صالحة للتطبيق ، فلاتتعارض مع المتغيرات الزمانية والمكانية.كما أنها لاتتسم بالإعسار أو الضرر على الناس بل إنها تصب في مصلحة المجتمع الإسلامي .

---

[1] إغاثة اللهفان ، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

النصوص المحتملة :

وهذه النصوص محل اجتهاد المجتهدين والمختصين ، بحيث يمكن التوسع فيها حسب ماتقتضيه مصلحة المجتمع زماناً ومكاناً ، على أن تكون داخلة تحت إطار التشريع ومتوافقة مع النصوص المحكمة ومقاصد التشريع .

منطقة المباح :

وهذه المنطقة هي ماسكت عنه الشارع رحمة منه بعباده .

جاء في الحديث عن النبي ﷺ " إن الله حد حدوداً فلاتعتدوها ، وفرض لكم فرائض فلاتضيعوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وترك أشياء من غير نسيان من ربكم ،ولكن رحمة منه لكم فاقبلوها ، ولاتبحثوا فيها " .[1]

ويتحدث الشيخ القرضاوي عن هذه المنطقة فيقول :

" تلك المنطقة التي تركتها النصوص قصداً لاجتهاد أولى الأمر والرأي وأهل الحل والعقد في الأمة بمايحقق المصلحة العامة ، ويرعى المقاصد الشرعية من غير أن يقيدنا الشارع فيها بأمر أو نهي ... فهي أمور مسكوت عنها ، متروكة للاجتهاد ، رحمة بالأمة وتيسيراً وتوسعة عليها ، وبهذا تجد أمامها مجالاً رحباً مرناً، تتحرك فيه بيسر وسهولة ، دون أن تشعر بالإثم في دينها ، أو

---

[1] الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين في الحديث ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ (٤: ١١٥) ، صححه الحاكم ووافقه الذهبي .

الحرج في دنياها ". [1]

وبناء على هذا يمكن للمسلمين أن يقوموا بمايحقق مصالحهم حسب عاداتهم وأعرافهم ؛ التي يسيرون عليها ؛ مالم يتعارض مع أصل من أصول الدين .

ويدخل تحت هذا الباب النواحي العلمية والتكنولوجية في جميع المجالات . مثل الهندسة المعمارية ؛ وتخطيط المدن ؛ وفتح الأنفاق؛ واستخدام وسائل المواصلات الحديثة ،وكل مايسعى لتطوير المجتمع الإسلامي في المجال العلمي ، ويجعله مواكبا لتطورات العصر ، فهذا مماتسمح به الشريعة الإسلامية ، على أن يكون مقيدا بالمصلحة البشرية والضوابط الشرعية .

وهذا باب واسع يجعل من الشريعة الإسلامية شريعة مرنة ، قابلة للتطبيق في كل مكان وزمان ، قادرة على الوفاء بمتطلبات العصر ، مع احتفاظها بثوابتها العقدية وقيمها الأخلاقية .

أما مايطالب به دعاة التغريب من تحكيم القونين الوضعية ، فإن حجتهم في ذلك هوتحقيق الحرية والانطلاق .

فهل القوانين الوضعية تحقق الحرية فعلا ؟

إن القوانين الوضعية عمل بشري ، لذا يعتريه مايعتري الأعمال البشرية من النقص والإخلال ، فهي بحاجة إلى التطوير والإكمال والتصحيح ، كذلك فإن القانون كما أنه يحمل نواحي إيجابية ، فهو يحمل نواحي سلبية ، تتمثل في محاباة أفراد على أفراد ؛ وجماعة على جماعة ؛ بحسب القوة المسيطرة حال وضع القانون .

---

[1] يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، نشر مكتبة وهبه القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٧هـ ، ص ٢٢٨ ، ٢٣٠ .

ولكي تكسب هذه القوانين وجودها وتطبيقها ؛ أباحت للناس قضاء شهواتهم ونزواتهم ؛ وكل ماتهفو إليه نفوسهم باسم الحرية. فمثلا القانون الوضعي يبيح لهم الربى والزنا وشرب الخمر وغيرها من المحرمات ، ولايعاقب على ارتكابها ،وهذا الوضع بالنسبة لهم حرية وانطلاق يحقق رغباتهم ؛ بالمقارنة مع تحريم الإسلام لهذه الأشياء ؛ وفرض العقوبات الزاجرة عليها .

فالشريعة في نظرهم أسر وإلزام وقيد ، وهذا صحيح ذلك أن الإسلام ينظر إلى هذه الحرية على أنها فوضى ، تهدد المجتمعات بالانهيار والإغراق في عالم الشهوات . أما ضوابط الشريعة وإلزامها فهي عصمة وسياج أمن للفرد والمجتمع من الانحراف والزلل . فالشريعة تكبح جماح الأهواء والنزعات، ليستقيم سلوك المسلم على مافيه خيره وخير مجتمعه .

وعلىهذا فلايمكن أن يسمى مجتمع يشيع فيه الربى ، وتنتشر فيه العلاقات الجنسية الآثمة والشذوذ الجنسي والمخدرات والمسكرات مجتمعا حرا ، إنماهومجتمع فوضوي ، لاتتحقق فيه المصلحة العامة ،ولا الأمن النفسي .

ولعل أكبر دليل علىذلك هو محاربة المجتمع الغربي نفسه لعصابات المجرمين وتجار المخدرات ، الذين يهددون أمن الدول ، لأنهاتتعارض مع مصلحة الدولة والأفراد.فإعطاء الحرية لمثل هؤلاء يعد فوضى ، لاتستقيم معها حياة الأمم والشعوب .

فكيف يكون ذلك في واقعهم ،ثم ينكر على شرع الله الحدود التي وضعها لاستقامة الحياة ؟!

وهكذا نجد أن هذه القوانين الوضعية قاصرة عن توفير الحماية

والأمان ، والحرية الحقيقة للأفراد والمجتمعات • لذا فإن الجريمة في هذه المجتمعات دائما في اطراد مستمر ، بينما نجد المجتمعات التي تلتزم التزاما كاملا بشرع الله يكون معدل الجريمة فيها منخفضا جدا ، إن لم يكن معدوما •

أضف إلى هذا ماتتميز به الشريعة الإسلامية من خصائص لاتتوفر لدى غيرها من القوانين والشرائع • ومن هذه المميزات التيسير ورفع المشقة والحرج • قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ • [1]

كذلك تتسم شريعتنا بمبدأ العدالة الإجتماعية ، وتؤكد أن الأفضلية في الإسلام على أساس التقوى • قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [2] كما تسعى دائمابكل تشريع لها لتحقيق مصالح البلاد والعباد مراعية في ذلك الموازنة بين مصالح الفرد والمجتمع •

هذه بعض خصائص التشريع الإسلامي ولمن أراد التوسع الرجوع إليها في مظانها • [3]

وبعد هذا فلابد من التأكيد على أن : " هذا المنهج التشريعي لفروع الحياة الإنسانية بكافة صورها ، يمثل وحدة متكاملة لاتقبل التجزئة •• فلايجوز أن يأخذ الناس بعض هذه الشريعة دون بعض•• والأخذ بجزء دون آخر يخل بهذه الشريعة ،ويشوه حقيقتها

---

[1] سورة البقرة ، آية : (١٨٥) •

[2] سورة الحجرات ، آية : (١٣) •

[3] انظر المراجع التالية : عمر الأشقر ، خصائص الشريعة الإسلامية ، مكتبة الفلاح ، ط١ ، ١٩٨٢م • الخصائص العامة للإسلام القرضاوي ، سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، دار الشروق ، ط١٠ ، ١٤٠٨هـ •

والمجتمعات التي تنسب إلى الإسلام ،وتعمل بجانب منه وتترك جوانب أخرى ، لايتحمل الإسلام أوزارها ومفاسدها "٠ [1]

جميع هذه المميزات جعلتمن الشريعة الإسلامية شريعة صالحة للتطبيق المستمر وهاهي وبعد أربعة عشر قرنا مازالت صالحة للتطبيق ، ويعمل بها ، وتفي بمتطلبات المجتمعات الإسلامية ، ومايجد من أمورها ، ويحل مشكلاتها ٠

كذلك فإن دعاة التغريب قد استقوا هذه الدعوة من الغربيين أنفسهم ،ذلك أنهم أول من قدح في الشريعة الإسلامية حيث استخدموا في هذه الدعوة أسلوب التعمية والاستقطاب ، حتى لايتهموا بالتعصب ضد الدين الإسلامي ،وليجدوا من يغتر بقولهم فيصدقهم ، فقاموا بدس السم في الدسم ٠ فتراهم يمدحون الإسلام ويذمونه في آن واحد ،مع أنه ليست لهم حجة فيما يذمونه به ٠ وعلى هذا المنوال سار دعاة التغريب كما رأينا في أقوالهم ٠

ومن هؤلاء كرومر الذي يقول : " إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين ، ولكنه فاشل كنظام اجتماعي ؛ وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي.ولكنه مع ذلك أبدي ، لايسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنساني "٠[2]

ومن هؤلاء د/شوليكال ٠ الذي يقول :" إن هناك مشكلات كثيرة في الحياة العصرية ، ولانجد قوانين بشأنها في الكتب الدينية٠ وعلى سبيل المثال مشكلة تخطيط المدن ٠ ففي مثل هذه الحال كيف يمكن تنفيذ الدين كنظام كامل للحياة " ٠ [3]

---

[1] التشريع والفقه في الإسلام ، ص ١١٢ ٠
[2] الاتجاهات الوطنية،(١ : ٢٥٩ ــ ٢٦٠) ٠
[3] الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ، ص ١٣٤ ٠

وممن أدلى بدلوه في هذه القضية لوبون إذ يقول :

" **لوكان القرآن الكريم دستوراً دينيـاً فقـط ؛ ماكـان هنـاك كبـير** محذور ، ولكن القرآن إذ كان دستوراً سياسياً ومدنياً أيضاً ، وكان بطبيعته ثابتاً ، بدت عدم المطابقة بين الاحتياجـات الدائمـة التحـول وبين نظمه الثابتة ، وحالت هذه النظـم دون تقـدم تلـك الأمـم ، التـي قيدت بقيود الماضي " .[1]

ويظهر فســاد هـذه الأقـوال ومثيلاتـها بتنفيذهـا . فقـول كرومـر السابق بخصوصية التشريع بزمن ظهور الإســلام دعـوى بـلا دليـل فتاريخ الإسلام كفيل بالرد على دعواه ، فما من فترة ألـتزمت فيـها أمة الإسلام أو جزء منها مباديء دينها ، إلا وتبدل حالها مـن سـيء إلى حسن ، ومن ضعف إلى قوة .

أما تخطيط المدن الذي استشهد به شوليكال فهو دليل علـى عـدم فهم هـؤلاء لـروح التشـريع الإسـلامي ، أو إلـى خبثـهم فـي عـرض القضـايا ، أو الاثنين معاً .

فقد سبق التصريح بأن هذه الأمور المعاشية ترك الإسلام البـاب فيـها مفتوحـاً علـى مصراعيـه للعقـل البشــري ، ومــاتتحقق معــه المصلحة العامة وفق الضوابط الشـرعية الكليـة مماتحدثنـا عنـه قبـل قليل تحت عنوان منطقة المباح .

أما لوبون فقد احتوى كلامه على إقـرار بمـافي نفسـه مـن حيـث لايشعر ؛ واتهام بغير دليل .

أمـا اتهامـه بوصـف التشـريع بعـدم الثبـات وعـدم المطابقـة بيـن

[1] رؤية إسلامية للإستشراق ، ص ١٢٨ .

الاحتياجات و التشريع ؛ فهذا ينافي ماسبق أن بيناه من أن خصائص التشريع جمعت بين الثبات والمرونة ٠

أما ماأوضح به مكنون نفسه فهو قوله : إن الحياة تستقيم بكل مرافقها في هذا الشرع ٠

فأنى لهم في مواجهة الإسلام ، والمسلمون ملتزمون بدينهم رفعة وقوة ٠

إن الإسلام إذا طبق دستوراً دينياً وسياسياً ، فهذا مايخافه هؤلاء أما إذا بقي داخل جدران المساجد ، فليس فيه كبير محظور وعندئذ تنفصل عرى الحياة عن منابع الدين ٠

وهذا القول يجسد عقيدة هؤلاء وإدراكهم لقوته ، وحقدهم عليه وحرصهم على إطفاء نوره ، ماستطاعوا إلى ذلك سبيلاً ٠

وهكذا ظهر الدور البارز للغرب في إشاعة هذه الشبهة في المحيط الإسلامي عن طريق دعاة التغريب ، الذين تلقفوا ماأشاعه أسيادهم ، لينشروه في العالم الإسلامي مرددين بضرورة تنحية الشريعة الإسلامية ، واستبدالها بالقوانين الوضعية ٠

وبالفعل لقد كان لهذه الدعوة أثرها المؤلم في العالم الإسلامي بسبب تخلي بعض الدول الإسلامية عن تطبيق الشريعة الإسلامية واستبدالها بالقوانين الوضعية ، مماكان له عظيم الأثر في حياة المسلمين ، إذ شاعت بينهم الرذيلة ، واستهانوا بحرمات الله ، حتى انتهكوها بحجة أن القانون لايمنعها ، وقد شمل هذا التأثير المرأة المسلمة باعتبارها جزءاً من المجتمع ، فتزعزعت مكانة الشريعة الإسلامية في نفسها ، واستهانت بأحكامها ، وغفلت عن أوامر ربها ٠ فأصبحنا نرى من نساء المسلمين من تخرج كاسية عارية ،

تخالط الرجال ،وتزاحمهم ،وتظهر في وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها ٠ فعلى شاشات التلفاز تصور أقبح المناظر ، وعلى أغلفة المجلات تكون وسيلة للإغراء والدعاية ،ولم يهدأ دعاة التغريب حتى نزلوا بها المهاوي وأوردوها المهالك ٠ وهكذا حتى شاعت الرذائل ،وانتشر الانحلال الخلقي ، ففسد المجتمع بفساد المرأة ،وعم فيه البلاء ،وتكالب عليه الأعداء ٠ وكل ذلك لأن الكثير من المسلمات لم يجعلن للشريعة الإسلامية وأحكامها وزنا أو قيمة فيأتمرن بماأمرتهن وينتهين عما نهتهن ٠

إن هذا الواقع المؤلم للعالم الإسلامي ليشهد بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية ، وأنه لايمكن لأي قانون في العالم أن يحقق ماتحققه هذه الشريعة لسلامة الفرد والمجتمع ٠ ويؤكد ذلك وضع العالم الإسلامي ؛ حينما كان يطبق الشريعة الإسلامية ، وكيف صلح حال المجتمع الإسلامي من جميع النواحي العقدية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية ، لأن المقصد الأصلي للتشريع الإسلامي هو تحقيق المصلحة الدينية والدنيوية ٠

وإذا أرادت المجتمعات الإسلامية العودة إلى سابق عهدها ، فيشيع فيها الأمن والأمان ، وتحقق الحرية الحقيقة المتمثلة في عبودية الله ، فعليها أن تعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية وتنفيذ أحكامها وعندئذ تكون قد عرفت الطريق إلى الصلاح والفلاح ٠

المبحث الرابع

" شبهاتهم حول الدعوة إلى تقليد المرأة الغربية "

المفهوم اللغوي للتقليد :

جاء في لسان العرب :

" قَلَدَ الماء في الحوض ٠٠ يقلده قلداً : جمعه فيه ٠

القلدُ : لي الشيء على الشيء ٠

قلد القُلْبَ على القلب يقلده قلداً : لواه ، وكذلك الجريدة إذا رققها ولواها على شيء ٠ وكل مالوي على شيء : فقد قلد ٠٠٠

وتقلّد الأمر : احتمله ، وكذلك تَقَلَّد السيف ٠٠

وقلد الحبل يقلده قلداً : فتله ، وكل قوة انطوت من الحبل على قوة فهو : قلد ، والجمع : أقلاد " ٠ [1]

وفي المعجم الوسيط قال :

"قلد فلان نعمة : أعطاه عطية ، وأسدى إليه معروفاً ٠

قلّده فلاناً : اتبعه فيما يقول أو يفعل من غير حجة ولادليل ٠٠

" قلد الشيء قلداً : لواه ٠٠٠ والجبل : فتله ، والماء في الحوض ونحوه : جمعه فيه ٠٠٠ "٠ [2]

من هنا نجد أن كل مدلولات التقليد معان سلبية ٠كالتسليم والإحكام والإعطاء ، والاتباع من غيرنظر ولاروية ٠

المفهوم الاصطلاحي للتقليد :

اختلف مفهوم التقليد بين المؤلفين ،كل بحسب العلم الذي يبحث فيه ٠ فعند علماء الأصول كان له عدة مفاهيم منها أنه :

---

[1] لسان العرب ، (٣ : ٣٦٥ ــ ٣٦٨) ٠

[2] المعجم الوسيط ، (٢ : ٧٦٠) ٠

" قبول قول الغير من غير حجة " .[1]

وعرفه الإمام الشوكاني بأنه " العمل بقول الغير من غير حجة" .[2]

أما الآمدي في الإحكام فعرفه :

" العمل بقول الغير من غيرحجة ملزمة ".[3]

وذكره الصنعاني بقوله :

" قبول قول الغير بلامطالبة بحجة ".[4]

وفي نشر البنود عرفه :

" هو التزام مذهب الغير بلا   علم دليله الذي تأصلا ".[5]

وفي كتاب التقليد عرفه الشثري :

" التزام المكلف في حكم شرعي مذهبا من ليس قوله حجة في ذاته "[6] .

وقد تحدث بعض كتاب التغريب عنه ضمنا . يقول د/ سليمان الخطيب : " إن التغريب يعبر عن حالة مرض حضاري ناشيء من الإحساس بالدونية أمام سيطرة واستعلاء أكذوبه واحديه الحضارة

---

[1] عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني ، البرهان في أصول الفقه ، تحقيق عبدالعظيم الديب ، ط1 ، 1399هـ (2 : 1357) محفوظ أبو الخطاب الحنبلي ، التمهيد في أصول الفقه ، تحقيق محمد علي إبراهيم ، ط1 ، 1406 هـ ، (4: 395) .

[2] محمد بن علي الشوكاني ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، مطبعة مصطفى الحلبي ، ط1 ، 1356 هـ ، ص 265 .

[3] علي بن أبي علي الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام ، مطبعة محمد علي صبيح ، 1378هـ ، (3 : 245) .

[4] محمد بن إسماعيل الصنعاني ، أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل ، تحقيق حسين السياغي ، حسن الأهدل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1406هـ ، ص 404 .

[5] عبدالله إبراهيم الشنقيطي ،نشر البنود على مراقي السعود ، ص 335 .

[6] سعد بن ناصر الشثري ، التقليد وأحكامه ، دار الوطن ، ط1 ، 1416هـ ، ص 29 .

الغربية " . [1]

وبقول السيد أحمد فرج عنه :

" متابعة الأوروبيين فيما ألفوه من عادات على سبيل اتباع الضعيف للأقوى " . [2]

وفي حديث عن المجددين يقول د/ محمد محمد حسين :

"فكان هناك مجددون - أو مقلدون للغرب إن شئت - يبغضون إلى الناس قديمهم وتراثهم ، ويصرفونهم عنه ، داعين إلى مسايرة العصر ، والأخذ بكل مستحدث طريف " . [3]

وفي كتاب الإسلام على مفترق الطرق

يقول التقليد : " محاكاة أوروبة واقتباس الآراء والمثل العليا الغربية " . [4]

وتظهر المفاهيم السابقة أن التقليد في مجال بحثنا هو : اتباع الأساليب الغربية في المظاهر السلوكية دون نظر أو تمحيص .

موقف دعاة التغريب :

إن من أهم أهداف دعاة التغريب صبغ المجتمع الإسلامي بالصبغة الغربية ولاشك أن تغريب المرأة المسلمة خطوة هامة لتحقيق هذا الهدف . لذا طالب دعاة التغريب المرأة المسلمة بتقليد المرأة الغربية ، معتمدين في هذه الشبهة على أن العالم الغربي متقدم في المجالات العلمية ، وأن للمرأة الغربية دور كبير في هذا التقدم

---

[1] د/ سليمان الخطيب – التغريب والمأزق الحضاري ، المركز الإسلامي لدراسات الحضارة،ط١ ، ١٤١٢هـ ، ص٧ .

[2] المؤامرة على المرأة المسلمة ، ص ١٠ .

[3] الاتجاهات الوطنية ، (١ – ٢٥٥).

[4] .محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ترجمة عمر فروخ – دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٨ ، ١٩٧٤م ، ص ٨٤ .

العلمي ، حيث ساهمت بمجهوداتها العلمية في دفع عجلة التقدم ، وعلى المرأة المسلمة إذا أرادت التقدم لمجتمعها أن تقلد المرأة الغربية فيما فعلت • وكان على رأس الداعين لذلك قاسم أمين ، الذي يرى : " أنه من المستحيل أن يتم إصلاح مافي أحوالنا ، إذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة •• هذا هو الذي جعلنا نضرب الأمثال بالأوروبيين ، ونشيد بتقليدهم ، وحملنا على أن نستلفت الأنظار إلى المرأة الأوروبية "• [1]

وعندما ألف كتابه المرأة الجديدة قصد بتسميته هذه تلك المرأة التي يسعى جاهداً لتحويل المرأة المصرية إليها ،يقول : " هذا التحول هو كل مانقصد ،وغاية مانسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع ،وأن تخطو هذه الخطوة على سلم الكمال ، وأن تكون مثلها تحرراً وإرادة " • [2]

فهذه دعوة صريحة لتقليد المرأة الغربية ، بل إنه يعتبر أن ماهي عليه مقام رفيع ؛ يجب الوصول إليه ؛ ليتم صلاح أحوالنا •

كما دعت بهذه الدعوة هدى شعراوي * بل وطبقتها فعلاً • حينما نزعت حجابها اقتداء بالمرأة الغربية •

تقول وداد السكاكيني في ترجمة عن هدى شعراوي مفتخرة بمافعلت " لماعادت هدى شعراوي للمرة الأولى من الغرب ، كانت تفكر في هذه التقاليد الموروثة ، التي لاتسمح لها بالظهور سافرة في

---

[1] المرأة الجديدة ، ص ١١٤ ــ ١١٥ •

[2] المرجع السابق ، ص ٦ •

* هدى محمد سلطان باشا (١٢٩٦هـ ــ ١٣٦٧ هـ) ترأست الحركة النسائية في عصرها • نشأت بالقاهرة ، تلقت مبادىء العلوم واللغتين التركية والفرنسية والموسيقى ، أول مصرية مسلمة رفعت الحجاب ، حضرت عدة مؤتمرات نسائية عالمية • أصدرت مجلة المصرية ،توفيت بالقاهرة • الأعلام ، (٨: ٧٨) •

بلادها ، فثارت عليها ، وماكادت تطل على الإسكندرية ، حتى ألقت الحجاب جانباً ،ودخلت مصر ٠٠ دون نقاب ٠٠ ولم يكن هذا الأمر من رائدة النهضة النسوية بدعاً أو خروجاً على الحشمة والوقار ،بل كان منها سلوكاً مثالياً في السفور السليم (؟!) واستنكاراً للانحراف والتبرج (!!) " ٠ [1]

كذلك فقد شاركت هدى في عدد من المظاهرات والندوات والمؤتمرات ، ومن المؤتمرات التي حضرتها :

* في عام ١٩٢٣م مؤتمر روما النسائي الدولي الأول
* وفي عام ١٩٢٤م مؤتمر جراتز الدولي بالنمسا ٠
* وفي عام ١٩٢٦م مؤتمر باريس النسائي الدولي ٠
* وفي عام ١٩٢٧م مؤتمر أمستردام ٠
* وفي عام ١٩٢٩م مؤتمر برلين ٠
* وفي عام ١٩٢٩م مؤتمر كوبنهاجن ٠
* وفي عام ١٩٣٣ م مؤتمر مارسيليا ٠
* وفي عام ١٩٣٤ م مؤتمر باريس النسائي الثاني ٠
* وفي ١٩٣٥ م مؤتمر استانبول ٠ وفيه اختيرت نائبة لرئيسة الاتحاد النسائي الدولي ، وظلت تشغل هذا المنصب إلى وفاتها عام ١٩٤٧م ٠
* وفي عام ١٩٣٦م مؤتمر بروكسل ٠
* وفي عام ١٩٣٧م مؤتمر بودابست ٠
* وفي عام ١٩٤٥م مؤتمر انترا لاكن ٠

---

[1] وداد سكاكيني ، نساء شهيرات من الشرق والغرب ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبي وشركاه ، ١٩٥٩ م ، ص٦ ٠

* وفي عام ١٩٤٦م مؤتمر جنيف ، ومؤتمر حيدر آباد النسائي

* وفي عام ١٩٤٧م مؤتمر نيودلهي .

كذلك فقد كونت الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٢٣م " [١]

ومما يؤكد رغبتها في تقليد المرأة الغربية ؛ ماجاء في كلمتها التي ألقتها بمناسبة الاحتفال بالعيد العشرين للاتحاد النسائي الدولي - أي في عام ١٩٤٣م - حيث قالت : " منذ ذلك اليوم - أي يوم قبلت عضوية مصر في الاتحاد النسائي الدولي - قطعنا على أنفسنا عهداً أن نحذو حذو أخواتنا الغربيات في النهوض بجنسنا مهما كلفنا ذلك" [٢]

ولم تكتف هدى شعراوي بذلك ؛ بل إنها طالبت بتقليد المرأة الغربية في أخلاقها وعاداتها . وهذا بلاريب يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي وأخلاق المرأة المسلمة وعاداتها فقد كتبت في مذكراتها : " إن المرأة المصرية في أشد الحاجة إلى الاشتراك مع المرأة الغربية ، لتقتبس من أخلاقها وعاداتها ومدنيتها ؛ وكل مايتفق مع النهضة العامة " [٣]

ثم هاهي تفتخر بتقليد المرأة الغربية عندما قالت : " فقد أصبح مظهر المرأة المصرية كمظهر الغربية تماماً ، بعد أن رفعت الحجاب ، وشاركت في المؤتمرات النسائية الدولية ، وصارت تتمثل الأوروبية في كل شيء ، وتقلدها في كل وجهات حياتها " . [٤]

---

[١] انظر د/ نبيل راغب ، هدى شعراوي وعصر التنوير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م ، ص١٣٤ ــ ١٤٦ . وانظر د/ آمال السبكي ، الحركة النسائية في مصر مابين الثورتين ١٩١٩م و١٩٥٢م الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م ، ص ١٢٦ ــ ١٣٣ ، ١٠٥ .

[٢] عودة الحجاب ، (١ : ١١٥) .

[٣] المؤامرة على المرأة المسلمة ،ص ١٠٣ .

[٤] المؤامرة على المرأة المسلمة ، ص ١٠٣ .

هذا مادعت إليه هدى شعراوي قولا وطبقته فعلا ٠ ممايدل على انهزامية نفسية وشعور قوي لديها بأفضلية المرأة الغربية على المرأة المسلمة ٠ لذا حاولت بكل ماأوتيت من قوة ، أن تقتفي أثرها ، وتبتعد عما كانت تعيشه المرأة المسلمة في زمنها ، فسافرت ورفعت الحجاب ، وتنازلت عن اسم أبيها محمد باشا ، والتصقت باسم زوجها علي شعراوي تبعا للطريقة الأوروبية ٠

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن هدى شعراوي قد دعت وبكل حماسة إلى تقليد المرأة الغربية ، وسعت جاهدة لتحويل المرأة المصرية إليها ٠

وممن رفع لواء هذه الدعوة د/ درية شفيق ، حيث طالبت بتقليد المرأة الغربية عموما والإنجليزية على وجه الخصوص ٠

تقول:إننا " لانجد في ظروفنا الحاضرة مثلا أرفع من مثل الإنجليزية المثالية ، التي نرجو أن نخطو في نشاطنا النسائي على نهجها وهداها " ٠ [1]

وتقول أيضا :

" فلنأخذالقدوة من أهل القدوة ، وليكن في السيدة الإنجليزية وعلى رأسها ملكة إنجلترا ٠ مثالا لنا في كفاحنا من أجل السيدة المصرية ؛ ونصيبها في الحياة " ٠ [2]

ولايستغرب هذا الافتخار والتخصيص إذا عرفنا العلاقة الوثيقة بين درية شفيق وبريطانيا ، حتى عدت عميلة لها في مصر ٠ فقد كانت بريطانيا تمد حزبها بنت النيل بألفين من الجنيهات سنويا ،

---

[1] عودة الحجاب ، (١ : ١٢٣) ٠
[2] نفس المرجع السابق ،(١ :١٢٣) ٠

عدا الورق المصقول وغيره . فضلا عن تقديم المشورة والتوجيه . كما وفرت لها أسباب الحماية والحرية ،وهيأت لها عوامل النشر والإذاعة . [1]

كذلك فقد ساهمت الصحافة أيضا في هذه الدعوة يقول أحد الكتاب : " المرأة الأوربية عندها واجبان مقدسان : بيتها ووطنها . وبين الواجبين تخص بساعة نفسها ، فتحضر حفل موسيقى ، أو تدعو أصحابها لليلة راقصة . ولاتنسى أن تقف أمام المرآة لتزين حالها ، فتتذكر دائما أنها امرأة ، إنها في نظري مثال المرأة الأعلى . ويحسن بالمرأة الشرقية أن تقتبس عنها كل شيء "[2]

هذه هي الدعوة التي ارتفعت في أجواء العالم الإسلامي ،وقد عمد دعاة التغريب إليها لعلمهم أن المرأة المسلمة هي«المحضن الأساسي لبناء الأمة ، فإذا استسلمت لداء التقليد الأعمى . لم تعد قادرة على تخريج الأجيال المسلمة ".[3]

ومما يؤسف له حقا أن لهذه الشبهة أثرها الذي لاينكر على المرأة المسلمة إلا من رحم الله ، فقد رضخت الكثيرات لهذه الدعوات المسمومة وأصبحن يرين في النموذج الغربي المثل الأعلى الذي يردن احتذاءه ، وأصبح من الممكن ملاحظة التشابه بين المرأة المسلمة والمرأة الغربية إلى حد كبير في نمط الحياة والطرق السلوكية . فنراها تلبس آخر صيحات الموضة الأوربية ، وتتمتع بحرية الاختلاط ، والعلاقات الجنسية المشبوهة ، وتعمل ممثلة ،

---

[1] المرجع السابق ، (١ : ١١٩) .
[2] المؤامرة على المرأة المسلمة ، ص ٢٢ .
[3] الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ، ص ١٤٩ .

وراقصة ، وعارضة أزياء ، وغيرها من الأعمال التي لاتتوافق مع دينها • وهكذا تطابقت المرأة المسلمة مع نظيرتها الغربية نتيجة مارسخ في اعتقادها؛ من أن ماوصلت إليه المرأة الغربية هو التقدم والمدنية والتطور • وأن ماهي عليه من التمسك بدين الله هو رجعية و تخلف ، جمود وقيود ، لابد من التخلص منها •

لذا كان من الواجب تفنيد هذه الشبهة والرد عليها لبيان فسادها وبطلانها •

الرد على هذه الشبهة :

استند دعاة التغريب في هذه الشبهة على تقدم الأمم الغربية في المجال العلمي ؛ ومساهمة المرأة الغربية في هذا المجال • ومن هنا طالبوا المرأة المسلمة بالاقتداء بها ، وجعلها المثل الأعلى الذي يجب أن يحتذى ، إذا كانت تريد أن تساهم في تقدم مجتمعها •

وهذه فرية عظيمة اخترعها دعاة التغريب للتغرير بالمرأة المسلمة وحملها على تعظيم المرأة الغربية •

وحقا إن المرأة الغربية شاركت في المجال العلمي والعملي ، ولكن خروجها كان اضطراريا ، حيث أجبرتها الظروف المعيشية على الخروج للعمل ، فاستغل الرجل خروجها ، فجعل منها سلعة استهلاكية مسلية له •

أما إذا أمعنا النظر في الانتاجية العلمية الغربية ، فلن نجد من النساء النابغات في المجالات العلمية إلا النذر اليسير ، الذي لايمكن أن تكون له مساهمة فعلية في مدنية الغرب وتقدمه العلمي •

وهاهي جائزة نوبل * هذه الجائزة التي يخضع لها العلمانيون، ويتشدق بها دعاة التغريب ، تعطينا أرقاما لاتكذب عمن حصل عليها من عام ١٩٠١م إلى ١٩٩٣م في فروعها الستة المعتبرة ** ذكورا وإناثا حسب الجداول التالية :

فروع الجائزة	عدد الحاصلين عليها	عدد الحاصلات عليها	المجموع	نسبة الإناث إلى الذكور بالتقريب
١ ــ الفيزياء	١٣٩	٢	١٤١	٠١ر
٢ ــ الكيمياء	١١٦	٣	١١٩	٠٣ر
٣ ــ الطب	١٥٥	١	١٥٦	٠١ر
٤ ــ الأدب	٨٢	٨	٩٠	١ر
٥ ــ السلام ٠	٣٣	٦	٣٩	٢ر
٦ ــ الاقتصاد	٣٤	ــــ	٣٤	صفر
المجموع	٥٥٩	٢٠	٥٧٩	٠٤ر

* ألفرد بير نارد نوبل(١٨٣٣ ــ ١٨٩٦م) كيميائي سويد ي، اخترع الديناميت ، أنشأ جوائز نوبل ٠ أعد متفجرا من النتوجلسرين ، ولكنه استطاع خلطه مع مادة ممتصة ، بحيث يمكن شحن ومناولة هذه المادة بأمان ٠ كان مريضا وعصبيا ٠ أنشأ صندوقا بمبلغ ٩ ملايين دولار يستخدم العائد منه لمنح جوائز سنوية ٠ لأكثر الأعمال المؤثرة لتشجيع السلام العالمي ٠
الموسوعة العربية العالمية ، (٢٥ : ٤٤٢) ٠

** سوى فرع الاقتصاد الذي أنشيء منذ عام ١٩٦٩م ٠

فروع الجائزة	عدد الحاصلين عليها من		عدد الحاصلات عليها من	
	دول غربية	دول أخرى	دول غربية	دول أخرى
١ ــ الفيزياء	١٣٤	٥	٢	ــــ
٢ ــ الكيمياء	١١٤	٢	٣	ــــ
٣ ــ الطب	١٥١	٤	١	ــــ
٤ ــ الأدب	٧٥	٧	٧	١
٥ ــ السلام ٠	٢١	١٢	٤	٢
٦ ــ الاقتصاد	٣٤	ــــ	ــــ	ــــ

[1]

بالنظر إلى الجدول الأول يتضح لنا أن نسبة الإناث إلى الذكور لا تتعدى نسبة ٤ ٠ر ،وهذه النسبة لاتمثل قيمة ذات بال بالمقارنة مع نسبة الذكور وخصوصا في المجالات العلمية الفيزياء والكيمياء والطب ٠ وهذا يثبت وجود الفروق السيكولوجية بين الجنسين ٠ هذه الفروق التي طالما حاول دعاة التغريب تكذيبها ونفي وجودها ٠

لذا نجدهم يطالبون المرأة المسلمة بتقليد المرأة الغربية في العمل مع الرجال ، بحجة أنه لافرق بينهما ٠ مبررين عدم نبوغ المرأة في المجتمعات الإسلامية بسبب الدين ، الذي تعتقده ،والعادات والتقاليد التي تقيد حريتها وتحجر عليها ٠

[1] انظر عرضا مفصلا بالأسماء والجنسيات ، والأسباب التي استحقوا من أجلها الفوز بالجائزة في الموسوعة العربية العالمية ، (٢٥ : ٤٤٤ ــ ٤٥٦) ٠

والآن ماذا يقول دعاة التغريب ؟ فها هي المرأة الغربية لم تستطع أن تقارع الرجال رغم الإمكانات المتاحة لها ، ورغم اختلاطها بهم ، وتلقيها نفس العلوم التي يتلقونها ٠

فالاختلاف بينهما ناشيء إذن من اختلاف الجنسين ، وليس لسبب خارج عنهما ٠ كالدين والبيئة والمجتمع ،وهذا ماأكده الواقع الغربي ٠

كما يوضح الجدول الثاني أن نسبة النساء الغربيات متدنية جداً ، ولاتكاد تذكر بالمقارنة مع نسبة الرجال الغربيين وخاصة في المجالات العلمية كالفيزياء والكيمياء والطب ٠ وهذا يبرهن على أنه لافضل للمرأة الغربية في نهوض الأمة الغربية وتقدمها في المجال العلمي ، ذلك أن عطاء الرجل يفوقها بكثير ٠

فالواقع إذن يكذب ادعاءات دعاة التغريب في أن تقدم الأمم الغربية بسبب المرأة الغربية ؛ وخروجها وعملها جنباً إلى جنب مع الرجل الغربي ٠

وبذلك يتبين لنا أنها دعوة مغرضة ، لاتقوم على دليل ، قصد بها تغرير المرأة المسلمة ؛ ودفعها إلى تقليد المرأة الغربية في جانب السلوك والأخلاق السلبية ٠

ثم إننا إذا نظرنا إلى تبعات خروج المرأة الغربية ، نجد أن الجانب السلبي لخروجها أكبر بكثير من الجوانب الإيجابية التي حققتها ٠ فقد ظهرت آثار عملها السلبية على النواحي الخلقية والاجتماعية ، ذلك لأن المرأة الغربية عندما خرجت للعمل ، أهملت مسؤولياتها الأساسية ووظيفتها الأولى ، فانشغلت عن بيتها ، ورعاية أطفالها ، ومراقبة النشء الذي يحتاج إليها ٠

وقد نجم عن ذلك أخطار جسيمة ونتائج سلبية عديدة ٠ مثل : ظهور الانحراف الخلقي ، والمشكلات النفسية ، والجريمة، والمخدرات ، والتدخين بين المراهقين والأحداث ٠ وكل ذلك بسبب حرمانهم من حنان الأمهات ٠ ولم تقتصر مساويء عمل المرأة على الاضرار بالأطفال ،بل شملت النواحي الأسرية والاجتماعية ، حيث أدى ذلك إلى زيادة معدلات الطلاق بسبب شعور المرأة بالاستقلال الاقتصادي ، فأصبحت ترفض دور التابع ، وتريد أن تكون على قدم المساواة مع الزوج ، ممايثير المشكلات والتوترات اليومية ٠ ومن مساويء العمل أيضا أنه يزيد من الأعباء الملقاة على عاتقها ، وقد دفعتها هذه الأعباء إلى العزوف عن إنشاء الأسر، ممانجم عنه انتشار الزنا ، وكثرة اللقطاء ، والشذوذ الجنسي ، كما وصلت مساويء العمل إلى المرأة نفسها ، حيث إننا لو نظرنا إلى واقع العمل في حياة المرأة الغربية ، فلن نجد فيه ما يستدعي الاهتمام ، فمنهن من تعمل كانسة شوارع ، أو عاملة في المناجم ، أو خادمة في البارات ، أو تاجرة مخدرات ، أو عضو في عصابات التهريب ، أو تاجرة بجسدها في سبيل الشهرة والمال ٠

جميع هذه المساويء تعد منطقية متسلسلة لخروج المرأة الغربية ،كما أنها تثبت وبجلاء أن خروجها خروج غير مغني للمجتمع الغربي ، بل إنه سبب بلائه وشقائه فعمل المرأة الغربية في ميزان السلبيات والإيجابيات يؤكد أن سلبيات عملها أكبر بكثير من إيجابياته ٠ فالمرأة الغربية نجحت في مجال العمل ، أما الجانب الآخر جانب الأخلاق ففشلت فيه فشلا ذريعا ، ولايمكن أن يعد هذا نجاحا إذ النجاح يكون في التوازن بين الواجبات والحقوق ، وليس

النجاح في جانب على حساب آخر .

فهل يريد دعاة التغريب الهدم أم البناء ؟ ! .

إن أرادوا البناء كمايدعون فهنا يأتي دور الإسلام حيث التوازن بين الحقوق والواجبات ، فالشريعة الإسلامية رسمت التكاتف بين الرجل والمرأة في الأعمال ، وضمنت للمرأة حقها في العمل مقيدا بضوابطه الشرعية . مماجعل في عملها الفائدة والغنى للمجتمع الإسلامي ،حيث ساهم في تقدمه ورقيه ، وحافظ في نفس الوقت على كرامة المرأة وعفافها .

وقد شهد بذلك عقلاء الغرب يقول هملتن :

" إن أحكام الإسلام في شأن المرأة صريحة في وفرة العناية بوقايتها من كل مايؤذيها ، ويشين سمعتها " . [1]

ويقول غوستاف لوبون :

" إن الإسلام حسن حال المرأة كثيرا ،وإنه أول دين رفع شأنها، وإن المرأة في الشرق أكثر احتراما وثقافة وسعادة منها في أوروبة على العموم ". [2]

فالمرأة في الإسلام تستطيع أن تبذل مجهوداتها العلمية ، التي تساهم في رفعة مجتمعها ، دون أن تنسلخ من دينها . فالمجتمعات الإسلامية مليئة بالجامعات والكليات المكتظة بالفتيات المسلمات ، سواء في المجالات العلمية أو الأدبية ،وكلهن يساهمن في نماء المجتمع الإسلامي وتقدمه .

ومن هنا نستطيع أن نقول أن الدعوة إلى تقليد المرأة الغربية

---

[1] المرأة بين الفقه والقانون ، ص ٢١٨ .

[2] غوستاف لوبون ــ حضارة العرب ــ ترجمة عادل زعيتر ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ص ٤١٥ .

دعوة مغرضة ، لاتفيد المرأة المسلمة ولاالمجتمع الإسلامي ، بل إنها دعوة تسعى إلى زلزلة الثوابت الإيمانية ، التي تركن إليها المرأة المسلمة ٠ ويؤكد ذلك الواقع المؤلم الذي تعيشه المرأة المسلمة ـ إلا من رحم ربي ـ حيث تحللت وتبرجت وخالطت الرجال ، وشاركت في المؤتمرات ، وغير ذلك ممايضر دينها ،ويزعزع عقيدتها وإيمانها بربها ٠ وبذلك وقعت في دائرة التقليد الأعمى ، حتى مسخت شخصيتها ، وضاعت أصالتها ، وفقدت انتمائها لدينها ٠ فلم يعد هناك فرق بينهما في الملبس وطريقة المأكل والمشرب والأعمال ، سواء ناسب المرأة المسلمة أو لم يناسبها ٠

ولاريب أن تقليد المرأة الغربية بهذه الصورة يدل على الأثر النفسي والانهزامية التي منيت بها المرأة المسلمة ٠

نتيجة اقتناعها بأن كل ماتفعله الغربية هو التقدم والحضارة ٠ وقد ترسخت هذه القناعات بفضل الدعوات المغرضة ؛ والمفاهيم المغلوطة التي يروج لها في المجتمع المسلم دعاة التغريب وأعوانهم؛ خاصة بين الناشئة ٠

فصاروا يشعرون بعقدة النقص ، كلما نظروا إلى مايصاحب التقدم العلمي والحياة الغربية من صخب وضجيج ٠

لذا نجد ابن خلدون وقد عقد فصلا :" في أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائرأحواله وعوائده ٠ **والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها ،** وانقادت إليه ٠٠ ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه " [1] ٠

---

[1] مقدمة ابن خلدون ، ص ١٤٧ ٠

من هنا يتضح أن هذه الدعوة مؤامرة صريحة مكشوفة تهدف إلى إفساد المجتمع الإسلامي بإفساد أسرة ، وإشاعة الرذيلة والانحلال الخلقي ، والعمل على زحزحة القيم المتبقية لدى المجتمع، وخلق طابع جديد من الإباحية والفوضى والتحلل ٠

لذا فحري بالمرأة المسلمة أن تعتز بدينها ،وتؤمن بشرع ربها،وإذا أرادت أن تستفيد من بعض أحوال المرأة الغربية ، فعليها أن تقتبس ماتستفيده منها ، ممالايتعارض مع تعاليم ربها ٠ وهذا الحق الذي ينبغي اتباعه ٠

يقول الأستاذ / مصطفى الرافعي :" وإني أرى أنه لاينبغي لأهل الأقطار العربية أن يقتبسوا من عناصر المدنية الغربية اقتباس التقليد ، بل اقتباس التحقيق ، بعد أن يعطوا كل شيء حقه من التمحيص ٠٠ فإن التقليد لايكون طبيعة إلا في الطبقات المنحطة ، على إننا لانريد من ذلك ألا نأخذ من القوم شيئا ، فإن الفرق بعيد بين الأخذ من العلوم والمخترعات ؛ وبين الأخذ من زخرف المدنية وأهواء النفس " ٠ [1]

فعلى المرأة المسلمة أن تفرق بين مايصح اقتباسه ، ومالايصح٠ فمن الخطأ أن نقتبس ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، فإن لنا ثقافتنا وعاداتنا ؛ التي تغنينا وتجعلنا نرفض هذه الدعوة ، التي تهدف إلى احتوائنا والسيطرة علينا ٠

كذلك فإن التقليد يدل على الإعجاب بهم وبأسلوب حياتهم ، ممايولد الميل نحو الرضا بالحياة الأوربية ؛ والدخول في دائرة التغريب ٠ لذا علينا الحذر فيما يقتبس عنهم ٠ وقد حذر الإمام ابن

---

[1] مصطفى الرافعي ، وحي القلم ، دار المعارف ، ط٢ ، (٣ : ١٧٣ ــ ١٧٤) ٠

تيمية من ذلك ، عندما تحدث عن مخالفة الكفار حتى فيما اتقنوه من أمور دنياهم ، يقول : " فإذا المخالفة لهم منفعة وصلاح لنا في كل أمورنا ، حتى ماهم عليه من إتقان أمور دنياهم ، قد يكون مضرا بآخرتنا ، أو بماهو أهم منه من أمر دنيانا . فالمخالفة فيه صلاح لنا" .[1]

ويضيف قائلاً " إن جميع أعمال الكافر وأموره لابد فيها من خلل يمنعهاأن تتم له منفعة بها . ولو فرض صلاح شيء من أموره على التمام ، لاستحق بذلك ثواب الآخرة ولكن كل أموره إما فاسدة وإما ناقصة " .[2]

وهكذا تبين لنا فساد هذه الشبهة ، وأنها شبهة مغرضة ، قصد منها تقليد المرأة المسلمة للمرأة الغربية في مجال الأخلاقيات ، حتى تنحل أخلاقياً وتتردى في مهاوي الرذيلة ، ليفسد بالتالي المجتمع الإسلامي بفساد المرأة المسلمة فيه . وهذا غاية مايسعى إليه دعاة التغريب .

من هنا كان من واجب المرأة المسلمة الوقوف في وجه هذه الدعوة وعدم الانصياع لها ، والإيمان بأن ماشرعه الله لها فيه الاستغناء عن غيره ، وتقول لما أمرها الله به ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [3]

---

[1] أحمدبن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، مطابع المجد التجارية ، ص ٥٧ .

[2] المرجع السابق ، ص ٥٧ .

[3] سورة البقرة ، آية : (٢٨٥) .

خلاصة الفصل الثاني :

بعد استعراض هذا الفصل نجد أن دعاة التغريب ؛ قد ركزوا في التأثير على المرأة المسلمة والمجتمع المسلم على شعارات براقة ، وكلمات رنانة ؛ ليتم لهم بها خداع وجذب من يستطيعون ، مثل التقدم والمدنية والحرية ولاشك أنها مطالب إنسانية يسعى كل إنسان لتحقيقها • من هنا جاءت الخطوة الثانية وهي تزييف معنى هذه الكلمات ، بما يتوافق مع أهداف دعاة التغريب ؛ التي يسعون إلى تحقيقها •

من ذلك أنهم صوروا مفهوم التقدم والمدنية بالتقدم العلمي فقط ، وأغفلوا الجانب الروحي والأخلاقي المنحط لديهم •

وتبعا لهذا التصوير أصبحنا ننظر إلى الغرب على أنه متقدم ومتمدن ، لأن واقعه كذلك في المجال المادي ، وأغفلنا نحن الجانب الروحي عند الغرب • لأن دعاة التغريب لم تعره اهتماما •

ومن ثم دعونا إلى أن نمقت ديننا ، لزعمهم أنه سبب تخلفنا وتأخرنا •

كذلك كان الوضع بالنسبة لشعار الحرية ، فقد زيف دعاة التغريب معنى هذه الكلمة ، وجعلوا منها طريقا للفساد الخلقي والانحلال من كل قيد ، فلا مراعاة لدين ولاقيم ولاأعراف •

وتناسى دعاة التغريب أن الغرب لايبيح هذه الحرية إلا في النواحي الأخلاقية ، أما في النواحي المادية فلا • إذ لابد من الالتزام والنظام • ولقد كانت هذه الحرية من أعظم الشعارات التي استخدمها دعاة التغريب ، لعلمهم بمالها من تأثير على النفوس والمجتمعات • ومأن تغلغلت هذه الشعارات بمفاهيمها المضللة في

نفوس المسلمين ، حتى جاءت الضربة القاصمة لمنبع من منابع الدين ، ألا وهو الشريعة الإسلامية ، فقد حوا فيها وشككوا في صلاحيتها لهذا العصر ٠

وطالبوا بوضع قوانين تتوافق مع متطلباته ، وهكذا يتم قطع آخر رابطة بين المسلمين ودينهم ٠

فماذا يبقى من الدين إذا حكمنا بغير شرع الله ؟

وماالذي يبقى بيننا وبين ربنا إن رغبنا عن شرعه بشرع غيره ؟ وقد قال سبحانه :﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]

وكانت هذه الشبهة قاصمة الدين التي تجرأ بعض المسلمين من خلالها على دين ربهم ، فنقضوا أحكامه ، وردوا أوامره ، واتبعوا أهواءهم ٠

وإذا ماتنازلت المرأة المسلمة عن شريعة ربها ، كان من السهل عليهم دعوتها إلى تقليد المرأة الغربية باعتبارها المثل الأعلى ، الذي يجب أن تصل إلى ماوصلت إليه بحيث تكون النموذج الذي يحتذى ، ناظرين إليها على أنها المرأة المتقدمة والمتحضرة ٠ ولقد أخفى دعاة التغريب الوجه الآخر للمرأة الغربية ، وماتشعر به من مهانة وإذلال ، ومافقدته من احترام وكرامة ، وماأهدر لهامن حقوق لازالت تطالب بها إلى اليوم ٠ وماأنتجه عملها وخروجها من بيتها من آثارسلبية على أطفالها ومجتمعها ونفسها ٠

وللأسف فإن من النساء المسلمات من انساقن وراء هذه الشبهات ، وتبعن المرأة الغربية في كل أمر ٠ مماكان له أعظم

---

[1] سورة المائدة ، آية : (٤٤) ٠

الأثر في إفساد المجتمع الإسلامي وتحقيق أهداف التغريب •

لذا كان علينا أن نتنبه لكل دعوة يلقيها دعـاة التغريـب ، وننظـر لـها بنظـر الواعـي الحصيـف ، ونسـتبين حقـها مـن باطلـها ، فنـرد الباطل ونـأخذ بـالحق ، ولاتسـتثيرنا الشـعارات البراقـة ؛ والكلمـات الجوفـاء • فنحفـظ بذلـك ديننـا ومجتمعنـا مـن الزلـل والانحـراف ، ونحبـط الأهـداف التـي يسـعى إليـها دعـاة التغريـب • ونحـول دون تحقيقها •

الباب الثاني :

أثار هذه الشبهات على المرأة المسلمة .

الفصل الأول :

النزوع إلى المساواة المطلقة .

الفصل الثاني :

الدعوة إلى السفور والاختلاط .

الفصل الثالث :

الدعوة إلى تقييد تعدد الزوجات وتقييد الطلاق .

الفصل الأول

النزوع إلى المساواة المطلقة

المبحث الأول : واقعها عند الغربيين

المبحث الثاني : تطبيقاتها في الميراث ، العمل ، الحياة السياسية .

المبحث الثالث : تفنيد الشبهة من خلال واقعها وبيان أثرها المؤلم في العالم الإسلامي .

المفهوم اللغوي للمساواة

جاء في لسان العرب :

"سوا : سواء الشيئ مثله ، والجمع أسواء

وسوى الشيء : نفسه ٠

وتساوت الأمور ، واستوت.وساويت بينهما أي : سويت ٠

واستوى الشيئان وتساويا : تماثلا ٠

وسويته به ، وساويت بينهما ، وسويت ، وساويت الشيئ ، وساويت به ، وأسويته به ٠

ويقال ساوى الشيئ الشيئ : إذا عادله ٠ وساويت بين الشيئين : إذا عدلت بينهما وسويت ٠

ويقال فلان وفلان سواء : أي متساويان "٠ [1]

وفي المعجم الوسيط :

"ساواه : ماثله وعادله ٠ ويقال : ساوى فلان : قرنه ، وبه في العلم ، وغيره : لحق به وهذا بذاك : رفعه حتى بلغ قدره ومبلغه ، وبينهما : جعلهما يتماثلان ويتعادلان

سوى الشيئ : قومه وعدله ، وجعله سويا

تساويا : تماثلا وتعادلا "٠ [2]

توضح المفاهيم السابقة أن المساواة : تعني التماثل والتعادل.

---

[1] لسان العرب ، (١٤: ٤٠٨- ٤١٠)٠

[2] المعجم الوسيط ، (١ : ٤٦٨)٠

تمهيد :

عاشت المرأة الغربية حياة قاسية ذاقت فيها كل أنواع الظلم والحرمان • فقدت فيها احترامها كإنسانة ، فلم يهتم بها أحد •

حرمت الكثير من حقوقها ، حرمت حقها في التصرف والأهلية ،حرمت حقها في التعليم والميراث، ثم حرمت المعيل والمنفق عليها •

هذه المظاهر دفعت المرأة إلى الخروج من البيت للعمل ، والاختلاط بالرجل • وهكذا وقعت فريسة لأطماعه وإضطهاداته • وفي ظل هذه الظروف طالبت المرأة الغربية بالمساواة مع الرجل في الأجر، ثم تطورت إلى المطالبة بالمساواة التامه في كل شيء•

من هنا كانت هذه المساواة نابعة من قضية ، حاولت المرأة الغربية الدفاع عنها.في هذا المبحث محاولة إلقاء الضوء على الأصول التاريخية لهذه القضية ، والنتائج المترتبة عليها •

المبحث الأول
واقع المساواة عند الغربيين

رفعت المرأة الغربية شعار المساواة مع الرجل تحت ضغط الظلم الواقع عليها ، فباسم المساواة طالبت بالحقوق ؛ مادامت قد فرضت عليها الواجبات.

فقد عاشت المرأة الغربية حياة قاسية ، حرمت فيها من أهم مقومات الحياة ، حرمت فيها لقمة العيش ، حرمت المنفق والمعيل عليها .

فعندما قامت الثورة الصناعية ؛ انتقل عدد كبير من أهل الأرياف إلى المدن الكبيرة جريا وراء لقمة العيش ؛ وطمعا في حياة أكثر حرية ورخاء.وتركوا وراءهم أهليهم وذرياتهم لمصيرهم المجهول.وبقيت المرأة الغربية وأطفالها دون معيل ولا منفق، يواجهون الموت جوعا . حينئذ اضطرت المرأة الغربية إلى النزوح إلى المدن بحثا عن عمل ، تسد به جوعها وجوع أطفالها. وبدأت تعمل ؛ وتكدح ؛ لتكسب قوت يومها . ومع ذلك لم يرحمها المجتمع الغربي ، فجعل لها نصف ما جعل للرجل من الأجر، بالرغم من أنهما يقومان بتأدية نفس العمل .

هذا البخس في الأجر ولد لدى المرأة الغربية شعورا بالنقص ككائن ،وبامتهان كرامتها ، مما دفعها إلى طلب المساواة مع الرجل في الأجر.وبدأ صوت المرأه الغربية يتعالى ، فصرخت ، وطالبت .وكان ذلك رد فعل طبيعي لسلب حقوقها،وإلزامها بواجبات لم تكن واجبة عليها ، وإنما صارت كذلك بتخلي الرجل عن تأديتها .

كما أنها لم تعط حقا يكافيء ما تخلت عنه من حقوق • من هنا كانت مطالبتها بالمساواة عادلة ومنطقية ، فالمساواة في الغرم ، تقتضي المساواة في الغنم • ومع هذه الأحقية في المساواة ؛ رفض الرجل التنازل ؛ أو منحها حق المساواة معه في الأجر،في حين بدأ هو في التخلي عن واجباته ؛ والتحلل من المسئولية الملقاةعلى عاتقه، وترك لها مسئولية إعالة نفسها وكفالة أطفالها •

هكذا وجدت المرأة الغربية نفسها مضطرة للعمل خارج البيت، وصار اختلاطها مع الرجل ضرورة يقتضيها هذا العمل، وما يجره هذا الاختلاط من خلوة ومؤانسة في الحديث •

في ظل هذه الظروف طغت الحياة المادية على المجتمع الغربي، فحرصت المرأة الغربية على عدم التنازل عما وصلت إليه من حق العمل والاستقلال المادي ؛ بعد أن كانت لا تملك شيئا•كما حرص الرجل على عدم منحها تلك المساواة ، بالرغم من تخليه عن مسئولياته في الأسرة •هذه المسئولية التي حملتها المرأة الغربية، وإستغنائها المادي ، جعلها تعزف عن تكوين حياة أسرية ، تباعدا عن مسئولية نفقة الأولاد • حتى وإن كونت هذه الأسرة فإنها لاترغب في الإنجاب ، الذي يعيقها عن أداء عملها،ويكلفها جهدا ومشقة •

وقد ساهم هذا العامل المهم في خروج المرأه الغربية إلى ساحة العمل ، ثم مطالبتها بالمساواة ، ولكن هناك عوامل أخرى دعتها إلى طلب المساواة منها حرمانها للكثير من حقوقها ولعل أهم ما حرمته من الحقوق هو حق الاحترام والتقدير لها • واعتبارها إنسانة لها روح وكيان • فنظرة المجتمع الغربي لها كانت نظرة امتهان

واحتقار، بل لقد وصل بهم الأمر إلى التباحث هل للمرأة روح أم لا؟ وهل هي إنسان أم لا ؟

كذلك حرمت حق الميراث ٠ فمثلا في النظام الاقطاعي ، كان الحق في الميراث للابن الأكبر فقط ٠

يقول د/ سعيد عاشور :

" حرص القانون الاقطاعي على أن ينص على انتقال الاقطاع كاملا في حالة وفاة صاحبه إلى أكبر أبنائه ".[1]

وعلى هذا فالبنت في حالة وجود الابن لاترث شيئا، وكذلك في حالة أنها الوارثة الوحيدة ، فليس لها حرية التصرف فيما ورثته ، وإنما يكون ماترثه تحت تصرف وليها.وذلك لاعتبارهم أن المرأة فاقدة أهلية التصرف ، وليس لها الحق في مباشرة أي عمل ، فلا تملك ولا تبيع ولا تشتري إنما هي تابعة للرجل،فهو السيد الذي يملك جميع الحقوق ، فيملك ، ويبيع ، ويشتري ، ويتعاقد ، وينفق ٠

أما المرأة فليست إلا آلة لاستيلاد الأطفال ٠ يقول ديموسين :

" إننا نتخذ الزوجات ليلدن لنا الأبناء الشرعيين " [2] وقد حرمت كذلك حقها في التعليم واستنارة العقل.فقد صدر مرسوم عام ٨٠٢م ينص على أن :

" يبعث كل فرد ابنه لتعلم القراءة والكتابة ، بشرط أن يبقى هذا الابن في المدرسة ، حتى يكتمل تعليمه" ٠ [3] والتخصيص للابن في هذا المرسوم ؛ يدل على حرمان البنت منه ٠ أضف إلى ذلك حرمانها من العناية بصحتها والاهتمام بها ، حيث عاشت : "

---

[1] سعيد عاشور – أوروبا العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠ ، (٢ : ٢٦١) ٠

[2] البهي الخولي ، الإسلام والمرأة المعاصرة ، دار القلم ، الكويت ، ط ٤ ، ١٤٠٤ هـ ، صـ ١٢

[3] أوروبا العصور الوسطى ، (٢: ٣٣٥) ٠

أوروبا العصور الوسطى في ظروف صعبة غير صحية ، مما أدى إلى كثير من الأوبئة والأمراض بين حين وآخر " .[1]

كذلك فقدت حق المساواة مع الرجل في الجزاء ، ففي القانون الروماني: " جعل الموت عقوبة للزانية بعد الزواج ، ولم تكن تلك العقوبة للرجل الزاني " .[2]

هكذا أهينت المرأة الغربية ، وفقدت كل حق لها كإنسانة ، فلم يعبأ بها أحد ، وهددها الجهل والمرض والفقر .

ومع كل هذا الحرمان لحقوقها ؛ فقد طولبت بواجباتها إذ :

" قامت في داخل المنزل بكل ما احتاجت إليه الأسرة من طعام وشراب وملبس ، فعملت في جز أصواف الأغنام . وغزلها ونسجها ، وتربية الدواجن، وصناعة مستخرجات الألبان .

أما خارج المنزل فقد أسهمت في بناء الأكواخ ، وقطع الأخشاب، وجمع المحصول وتخزينه " [3]

إضافة إلى مسئولية تربية أولادها .

كل هذه العوامل زادت من الضغط النفسي على المرأة الغربية، الأمر الذي حملها على الخروج للعمل والمطالبة بالمساواة مع الرجل . وقد عرفت د/اليس روسي مفهوم المساواة بين الجنسين بأنها " تخنيث أدوار النساء والرجال ، بحيث تتشابه أدوار النساء والرجال في مجالات النشاط العقلي والنفسي والسياسي والمهني .

وتضيف توضيحا آخر فتقول : إن المقصود بتخنيث الأدوار هو

---

[1] المرجع السابق ، (٢: ٢٨٨)

[2] عبد القادر أحمد اليوسف ، العصور الوسطى الأوروبية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٧م، ص٨١.

[3] أوروبا العصور الوسطى ، (٢ : ٢٩٩) .

أن يعمد كل جنس إلى تبني وتنمية الخصائص والصفات التي كانت تخص الجنس الآخر وحده • وبصفة عامة هو توسيع دائرة التشابه والمشاركة بين النساء والرجال في التفكير وفي السلوك وفي العادات ، بحيث يصبح كل ما صدر عن أحد الجنسين مقبولا أيضا من الجنس الآخر ، وبدون تمييز أوتفرقة " •[1]

ولقد أدى تبني المجتمع الغربي لهذه النظرية بهذا المفهوم إلى انحدار هذا المجتمع نحو الهاوية ، فشهد تدهورا في القيم والأخلاق ، وخروجا على المألوف من العادات والتقاليد ، وانتشار الفساد والمنكرات • ولا شك أن ضعف الوازع الديني ، وارتفاع شأن المال وسيطرة الروح المادية على مجريات الأمور ، كل هذا كان من الأسباب التي ساعدت على انحلال المجتمع ، وتدهور القيم الخلقية فيه •وهكذا استمر المجتمع الغربي في الانحلال والهبوط ، وانتشار الزنا وكثرة الأولاد غير الشرعيين كنتيجة طبيعية لانفلات المرأة الغربية وعزوفها عن الزواج • واستمر حال هذا المجتمع في السقوط والتردي في مهاوي الرذيلة ، والركون إلى شهوات النفس ، حتى وصل الحال بهم إلى قمة الانحلال والتفلت • كما أنتجت هذه المساواة في الغرب : " دورا خاصة للشذوذ الجنسي •• ولهؤلاء قوانين ومصحات بل في بعض دول أوروبا كإنجلترا صدرت قوانين تبيح تزوج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة ، وحتى بعض رجال الكنائس يباركون هذا الزواج ويبيحونه ".[2]

---

[1] علي القاضي ، وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني ، مؤسسة الشرق للنشر والترجمة ، ط ١ ، ١٩٨٤، ص ١٥٩-١٦٠•

[2] عبدالله التليدي ، المرأة المتبرجة وأثرها السيء في الأمة ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١١ هـ ، ص ٢٤•

ولا شك أن ذلك : " يدل على نزوع نفسي خطير ، يمثل الضيق بالأنوثة ، مع تصور الرفعة في مكانة الرجل وعليها أن ترضي هذا النزوع في نفسها بكل وسيلة ، وأن تحقق لهذا الكائن المتمرد في صدرها ؛ كل ما يرضيه من شارات الرجل الطبيعي "[1]

إلى هذا الحد وصل الانهيار الأخلاقي لدى المجتمع الغربي ٠ فخسرت المرأة الغربية أنوثتها وعفتها وكرامتها ، كما أنها لم تصل إلى المساواة التي طالبت بها ٠ وبخسارتها العظمى فقد المجتمع توازنه وسعادته وأمنه وراحته ، لذلك قامت بعض نساء الغرب بإطلاق صرخات تعبر عن أسفهن لمطالبتهن بمساواة ؛ لم ينلنها ٠

تقول الكاتبة الإنجليزية أجاثا كريستي :

" إن المرأة مغفلة لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءا يوما بعد يوم ، فنحن النساء نتصرف تصرفا أحمقا ، لأننا بذلنا الجهد الكبير خلال السنين الماضية للحصول على حق العمل والمساواة في العمل مع الرجل ٠ والرجال ليسوا أغبياء ، فقد شجعونا على ذلك معلنين أنه لا مانع مطلقا من أن تعمل ٠٠ ومن المحزن أن أثبتنا نحن النساء ، أننا الجنس اللطيف الضعيف ، نعود اليوم لنتساوى في الجهد والعرق ، الذي كان من نصيب الرجل وحده ".[2]

أما المحامية كريستين فتقول :

" انظر إلى المرأة فلا ترى أمامك إلا سلعة ، فالرجل يقول لها : انهضي لكسب خبزك ، فأنت قد طلبت المساواة ، وطالما أنا أعمل؛ فلا بد من أن تشاركيني في العمل ، لنكسب خبزنا معا.ومع الكد

---

[1] الإسلام والمرأة المعاصرة ، ص ٢٦١٠

[2] محمود الجوهري ، محمد خيال – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ص ٢٨٤ ٠

والتعب والعمل لكسب الخبز ، تنسى المرأة أنوثتها ، وينسى الرجل شريكته في الحياة ، وتبقى الحياة بلا معنى ولا هدف " [1].

هذه الكلمات التي تقطر أسى وحزنا تدل دلالة واضحة على ما وصلت إليه الغربية من إذلال ومهانة ، تألم لها أولو الألباب منهم . مما تقدم يظهر أن دعوة المرأة الغربية للمساواة ليست حبا فيها أو رغبة بها لذاتها ، وإنما هي محاولة للدفاع عن نفسها حين سلبها المجتمع حقوقها ، فلا هو أعالها ، ولا هو منحها تلك الحقوق . لذلك طالبت بها ، وصرخت من أجلها . وعندما بدأت في توسيع دائرة التشابه مع الرجل مظهريا وفكريا وسلوكيا ، لم يكن ذلك لمجرد التقليد ، وإنما لتتأهل شكلا ومضمونا لأداء العمل الذي ألزمت به ، بعد أن تخلى الرجل عنها وتركها .

---

[1] من أجل تحرير حقيقي للمرأة ، ص ٩٥.

المبحث الثاني

تطبيقاتها في الميراث والعمل والحياة السياسية

تمهيد :

يتضح مما سبق في المبحث الأول أن المرأة الغربية عندما صرخت بالمساواة ، كانت لها قضية تدافع عنها · ولو أن المرأة المسلمة رفعت صوتها تضامنا مع أختها في الإنسانية ، لتدفع عنها الظلم ولتبصرها بمحاسن الإسلام ، لكان جديرا بها ومقبولا منها· ولكن أن تطالب بما طالبت به المرأة الغربية فهذا مالا يقبل · لأنها لم تعش ظروف المرأة الغربية · ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا سقطت المرأة المسلمة في هذه الهوة ، ووقعت في هذا الفلك ؟! ·

والإجابة على ذلك جاءت في الباب الأول عند الحديث عن دور دعاة التغريب والاستشراق والبعثات الخارجية في فرض التغريب على المجتمع الإسلامي،والشبهات التي أثاروها في المحيط الإسلامي · هذه العوامل ساهمت في تكوين مفاهيم مغلوطة ، ترسخت في أذهان المسلمات.كالقول بأن الحضارة الغربية ما تقدمت إلا بطرح المعتقدات والموروثات · وأن تخلف المسلمين ونكستهم بسبب تمسكهم بتعاليم الدين · مستغلين في سبيل ذلك مظاهر الانحراف في الحياة الاجتماعية لدى بعض الأفراد ، واعتبارها مظاهر عامة سببها الدين ، فضلا عن توفر عامل الأهواء التي تحكمت في نفوس كثير من النساء ، وجعلتهن يتقبلن هذه المفاهيم ، ويعملن بهديها · هذه العوامل جعلتهن يشعرن بعقدة النقص ، وحتى ينفين عنهن هذا ، ويشعرن بالتقدم والحضارة ،

طالبن برفع قيود التشريع ، ليقمن الدليل على أنهن لسنا متخلفات ولا رجعيات ،

وسيود الحديث في هذا المبحث عن مطالبتها بالمساواة مع الرجل في الميراث – العمل – الحقوق السياسية ،

أ : في الميراث

تقيم الحضارة الغربية نظامها في الميراث على تخصيص الابن الأكبر به ، وإن ورثت المرأة في حالة فقدان الذكور ، فإنها تفقد أحقية التصرف به ، وفي الوقت الذي لم تكن المرأة الغربية تمتلك حقا في الميراث ، ولا ذمة مالية مستقلة ، كان الإسلام قد كرم المرأة ، فجعل لها نصيبا في الميراث ، وردت فيه أنصبة بنص قرآني ليس فيه تأويل ؛ حيث جعل لكل من الذكر والأنثى نصيبا مفروضا ومع ذلك فقد قامت بعض الدعوات في البلاد الإسلامية تطالب بضرورة تسوية المرأة في الميراث مع الرجل ، في حين لم تظهر مثل هذه الدعوات من المرأة الغربية ، التي حرمت منه وكأن هذه الدعوات لمجرد الإعتراض ، أو محاولة للوقوف أمام النص القرآني القطعي ؛ وهذا قمة المعارضة للدين والطرح للتشريع ،

ومن ضمن هذه المحاولات ، ماطالبت به بعض الحركات النسائية من : " ضرورة تعديل النظام القائم في الميراث ، بشأن البنت وحيدة أبويها ، وحقها في أخذ التركة كلها دون تدخل العصبة " ،[1]

وفي هذه المطالبة مناداة بمساواة الأنثى بالابن الذكر ، فمثلما أن الذكر ينفرد بالتركة ، فهم يطالبون بأن تكون الأنثى كذلك ،

---

[1] المؤامرة على المرأة المسلمة ، ص ١٥١ ،

وفي مصر طالبت جمعية ومجلة الأمل بمساواة المرأة مع الرجل في الميراث . فقد : " نادت بثورة على التقاليد ، أساسها هو تغيير قانون الميراث ، بمعنى أن تتساوى المرأة مع الرجل فيه ، وألا تكون كما نص الإسلام للرجل ضعف المرأة . والسعي لاستصدار قانون إنصاف المرأة المسلمة في الميراث " .[1]

كما أيدت د/ درية شفيق هذه المطالبة ويظهر ذلك من خلال حديثها عن المرأة الفرعونية تقول :

" وكانت – أي المرأة الفرعونية - تملك حق اقتسام الميراث في مساواة مع رجل أسرتها " [2]

كذلك طالبت أمينة السعيد بهذه المساواة.تقول :

" إنني لا أطمئن على حقوق المرأة ، إلا إذا تساوت مع الرجل في الميراث " [3].

ومن ضمن هذه المحاولات قيام سلامة موسى بتحريض هدى شعراوي للمطالبة بقانون يساوي بين المرأة والرجل في الميراث ، ولكنها رفضت ذلك بقولها :

" دعاني الأستاذ الفاضل سلامة أفندي موسى أن أطلب إلى وزارة الحقانية – العدل – سن قانون يساوي بين الرجل والمرأة في حق الميراث .. وأقول بصفتي الشخصية : إني لست من الموافقين على رأي الأستاذ الخطيب سلامة موسى ، فيما يتعلق بتعديل نصيب المرأة في الميراث " [4] .

---

[1] الحركة النسائية في مصر ، ص ١١١.

[2] أحمد عبد العزيز الحصين ، المرأة المسلمة أمام التحديات ، دار البخاري ، ط ٥ ، ١٤٠٦هـ ، ص٣٠٧ .

[3] الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

[4] المرأة بين الفقه والقانون ، ص ٢٢٠.

كما تمت هذه المطالبة في مؤتمر الخريجين الدائم لقضايا الوطن العربي ، حيث قال أحد خريجي الجامعات الأمريكيـة فـي الشـرق ، وهو ماجد فخري :

" وإذا ذكرنا أن عامة الأمم المتمدنة اليوم تقر حق المساواة بين الرجل والمـرأة ، وجدنـا أن التشـريع الإسـلامي الخـاص بـالميراث مجحف بحق المرأة ، فلا يصلح للمجتمعات التي ساوت بينـها وبيـن الرجل في الحقوق والوجبات المدنية ، وفي فرص تحصيل المعـاش ، وجزاء العمل .. إلخ .. فاقتضى أن تتغير هـذه الأحكـام بتغير الأزمان وظروف الحياة العامة "[1] .

وفي تونس كانت هناك مطالب قانونية : " بإقرار مبدأ المسـاواة بين الأبناء والبنات في توزيع الإرث "[2] .

كما صدر قانون في تونس في " مجلة الأحوال الشخصية " عام ١٩٥٩م ينص على أنه :

" بالنسبة للإرث أحدثت تعديلات جديدة

" للوارثات البنات الحق في الإرث الكامل في غياب الذكور "[3]

وفي مجال تطبيق هذه المساواة نجد بدايـة هـذه التطبيـق مـا أصـدره مصطفى كمال أتاتورك لتطبيق هذا النظام في تركيا :

" فقد أصدر قانون العيلة ، الذي ساوي بين الذكور والإناث فـي الحقوق الإجتماعية وعلى رأسها الميراث "[4] .

---

[1] ظلام من الغرب ، ص ٥١ .

[2] صفيه فرحات ، حقوق النساء في العائلة بين التوجيهات الإصلاحية والمطالب النسوية بحث ضمن بحوث مؤتمر المرأة والقانون والتنمية ، مركز دراسات المرأة الجديدة ، ط ١ - ١٩٩٧م ،ص١٣

[3] المرجع السابق ، ص ١١

[4] محمد جميل بيهم – فتاة الشرق في حضارة الغرب – ١٣٧١هـ ، ص٨٨ .

وتؤيد أميمة هانم هذا العمل بقولها :

" فلعل إصلاحا كالذي وضعته تركيا في الإرث يأتي بثمرات طيبات ، في ناحيتي الإقبال على الزواج ، والتزام المرأة بيتها ٠

لعل الشاب الذي يتردد في أمر الزواج ؛ يقبل عليه ، إذا أيقن بأن شريكة حياته ستضم مالها غير منقوص ٠٠ وعسى أن المرأة التي تتحمل بخروجها للكسب عذاب الهون ، تختار بيتها المحبوب من بعد،إذا أتيح لها الحصول على النصيب الكامل في الإرث " [١] ٠

كما طبقت هذه المساواة في جمهورية الصومال ٠ حينما أعلن رئيس الجمهورية محمد زياد بري في عام ١٩٧٠م في الجريدة الرسمية : " كنا نسمع عن أقوال تقول الربع والثلث والخمس والسدس ، فإننا نقول : إن ذلك لاوجود له بعد اليوم ، وإن الولد والبنت متساويان في الإرث " [٢] ٠

وفي حوار أجرته جريدة السياسة مع فتحية محمد عبدالله السكرتيرة العامة لاتحاد نساء اليمن الديمقراطي ، تحدثت عن المرأة وقانون الأسرة ، تقول فيه :

" إن قانون الأسرة في اليمن الديمقراطي استطاع ٠٠ أن يحقق تحولات أساسية في العلاقة الاجتماعية ما بين الرجل والمرأة ؛ لجهة أنه ساوى بينهما مساواة مطلقة في الحقوق والواجبات ٠٠

أما بالنسبة للميراث ، فهناك تماثل كامل بين المرأة والرجل"٠[٣]

---

[١] المرجع السابق ، ص ٨٩ ٠

[٢] المرأة المسلمة أمام التحديات ، ص/ ٥٠، ٥١ ٠

[٣] جريدة السياسة الكويتية الجمعة ، ١٩٨١/٩/١٨م ، عدد ٤٧٥١/ص١١ ٠

ولما كانت اليمن بلد إسلامي وحرصا على تحري الحقيقة راسلت القنصلية اليمنية بجدة فأجابني الشيخ / حمود الغابري ، بقوله :ليس كل ما ينشر في الصحف يعتبر صحيحا ، إذا لم يستق من مصادره الصحيحة ، وأحيانا تعوزه الدقة والأمانة ٠

عام ١٩٨١م كانت المحافظات الجنوبية من الجمهورية اليمنية تحكم من قبل نظام يؤمن بالماركسية اللينينية ، والتي تتعارض مع الشريعة الإسلامية ، وكان الأمر يعتبر حالة استثنائية ، تتعارض وعقيدة الشعب اليمني - المقامة على أساس أن الإسلام عقيدة وشريعة ، وهي القاعدة ، والاستثناء لا حكم له ٠

الجمهورية اليمنية ودستورها ينص على : أن المصدر الأساسي للتشريع هو الشريعة الإسلامية ، وفيما يتعلق بالميراث ، فإنه يطبق ما نصت عليه الآيات الكريمة في سورة النساء ٠

{ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ }[1]٠

نسأل الله أن يكون هذا الرد من المسئول اليمني هو الواقع الذي يطبق في اليمن ، حمى الله أمتنا الإسلامية مما يحاك حولها ٠

مما سبق ذكره من الأقوال التي طالبت بمساواة المرأة مع الرجل في الميراث ، والتي نادت بها جمعيات وحركات نسائية ؛ أو أفراد من كلا الجنسين ، يتأكد أنها تعتبر جميعها تجرؤا على شرع الله ، لأنها تطالب بما يخالف دينه ، وقد نسي هؤلاء جميعا أن المولى لم يشرع شيئا إلا لحكمة وخير ، غفلت عنه المرأة المسلمة المطالبة بذلك ومن والاها ٠

وفي المبحث التالي سيأتي الرد على هذه المطالب ٠

---

[1] سورة النساء ، آية : (١٧٦) ٠

ب : في العمل .

خلق الله سبحانه وتعالى المرأة لتكون سكنا وأمنا وطمأنينة لبيتها وأسرتها ، وهيأ لها من الإمكانات والمؤهلات ما تستطيع به تأدية هذه الوظيفة الأساسية .

لذا كلفها الله تعالى بالعمل داخل المنزل ، تربي الأجيال ، وتعد **الرجال عماد الأمة ومستقبلها . ورغم هذا التكليف المتسق مع** تكوينها وطبيعتها ، فقد ألزم الرجل بالإنفاق عليها ، فجعلها لؤلؤة مصونة محفوظة من كل سوء . ولكن أبت بعض النفوس المريضة هذا المنهج الرباني ، ونظرت إلى أن عمل المرأة في بيتها لا قيمة له ، بل يدل على إذلالها وإمتهان كرامتها . ومن هؤلاء خليل أحمد خليل الذي يزعم:" أن قوامة الرجل على المرأة تبدو امتدادا لمعطيات وظروف استبدادية وتسلطية .. ويذهب إلى أن اعتبار المرأة سكنا للرجل وحرثا له . وغير ذلك من الأحكام النسائية كلها صور غير مشرقة.بل تؤكد عبودية المرأة العربية وقهرها " [1] .

ولقد طالبت هذه الأصوات بضرورة خروج المرأة للعمل ، ومشاركتها للرجل في ميدان عمله ، بلا اعتبار لتكوينها وطبيعتها ، ملتمسين في ذلك بعض المبررات منها :

أولا : الجدوى الاقتصادية .

نظر بعض المطالبين بمساواة المرأة مع الرجل في العمل إلى الفائدة المادية العائدة من وراء عمل المرأة . فقالوا : إن راتب الزوجة مع راتب الزوج أفضل ، وذا فائدة في المشاركة في أعباء المعيشة ، وتوفير متطلبات الحياة . فإذا كان دخل الزوج بمفرده

---

[1] ماذا يريدون من المرأة ، ص٢٢.

٧٠٠٠ ريال ، فإن إضافة مايعادلها من راتب الزوجة ، يزيد الدخل ، ويزيد من رفاهية الأسرة ٠ ثم إن هذه الزيادة يتبعها شعور المرأة بأهميتها واستقلالها المالي عن زوجها ٠

كذلك فإن : " نصف أمتنا هو من النساء تقريبا ، فإن هن تقاعسن عن العمل ٠٠ كان ذلك أدعى إلى حدوث الشلل الاجتماعي النصفي ، والأمة المشلولة لن تستطيع في عصر التناحر والتناطح مجاراة الأمم السليمة والحياة ميدان لا يجلي فيه إلا أرباب الأطراف الخفيفة المتينة " ٠ [1]

ولعل من أوائل من طالب بذلك رفاعة الطهطاوي ، الذي اعتبر عمل المرأة في منزلها بطالة ، لاتجني الأمة من ورائها شيئا ، ولابد أن تستغل طاقتها في العمل.يقول:

"يمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ؛ مايتعاطاه الرجل على قدر قوتها وطاقاتها ٠٠ وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة " ٠ [2]

كما رفعت هدى شعراوي لواء هذه الدعوة بناء على اهتمامها بعالم البناء والإنتاج المادي ٠غافلة أهمية البناء والإنتاج البشري ، الذي تقوم به المرأة في منزلها ٠

تقول عنها أمينة السعيد :

" وكانت البادئة ٠٠ بالمناداة بالمساواة الكاملة بين الجنسين ؛ لتمكين نصف الشعب العربي من الخروج عن عزلته الاجتماعية ، والانطلاق إلى عالم البناء والإنتاج ". [3]

---

[1] فتاة الشرق في حضارة الغرب ، ص ٣٣ ٠
[2] الإسلام والحضارة الغربية ، ص٤١ ٠
[3] هدى شعراوي وعصر التنوير ، ص ٠٤٦

ومن الذين شجعوا المـرأة علـى العمـل ، ودعاهـا إلـى مشـاركة الرجل في جميع الأعمال لبناء الوطن ، الرئيس المصري الراحـل جمال عبدالناصر ، وقد أكد ذلك في خطاب ألقاه في معسكر الفتيات، معلنا شعوره بالفخر ، يقول :

" المرأة العربية اليوم نصف المجتمع ، وعليها مسئولية كـبرى ، لتشارك الرجال في بناء هذا الوطن ، وفـي بنـاء المصـانع ، وفـي التعليم الفني ، وفي التدريب العسكري " . [1]

وممن ذهب إلى هذا الرأي " نوريـة السـداني " رئيسـة جمعيـة النهضة النسائية في الكويت . تقول : " الاضطهاد الاجتماعي الذي يحيط بالمرأة ماهو إلا نتيجة استعبادها اقتصاديا ،ولايمكن للمرأة أن تتحرر إلا إذا استطاعت الإسهام إلى حد بعيد في الإنتاج ، فلايشغلها العمل المنزلي إلا بصورة طفيفة . وهذا لم يصبح ممكنا إلا ضمن مجتمعـات الصناعـة الكـبرى الحديثـة ، التـي لاتفتـح المجـال لعمـل المرأة فحسب ، بل تتطلبه بصورة ملحة " . [2]

مـن خـلال هـذه النصـوص يظـهر الاهتمـام بالعـائد المـادي ، والمنفعة الاقتصادية .

فهل حقا لخروج المرأة من بيتها هذه المنفعة الاقتصادية ؟!.

---

[1] المؤامرة على المرأة المسلمة ، ص ١١٧ .
[2] بدرية العزاز - المرأة ماذا بعد السقوط ، مكتبة المنار الإسلامية،ص ٢٠٠ .

ثانيا : التخلص من السيطرة الرجالية :

نظرت بعض الداعيات إلى خروج المرأة للعمل على أنه وسيلة ؛ تمكن المرأة من استقلالها الاقتصادي ، الذي يساعدها على التخلص من سيطرة الرجل عليها ، ولتثبت أنها مثله ، ولا تنقص عنه في أي شيء ، وأن لديها القدرة على منافسته ومقارعته في كل ميدان .

وهذه نبوية موسى في تأييدها لعمل المرأة : تقول عنها : " إن كانت أقل جسما وقوة منه – أي الرجل – لكن لها من الأعضاء مايؤهلها لقضاء جميع حاجاتها ، فهي مستقلة عنه ، لاتحتاج إليه أكثر مما يحتاج هو إليها ، فهي تقوم بكل ما يمكنه عمله .. فالقول بأن الطبيعة أعدتها للمنزل لضعفها عن الرجل . قولا لا صحة له .. كما تصدت للقول بأن عاداتنا الشرقية لاتسمح للفتاة بالعمل ، وأوضحت أن هذه الأفكار فضلا عن فسادها ؛ وتقادم عهدها ، قد كذبتها الطبيعة وظواهر أحوال الشرق نفسه ، واضطرت الحال النساء إلى العمل " [1] . كما طالبت بذلك الأديبة مي زيادة تقول :

" نحن النساء لانرضى عن المساواة بديلا ، ولا نرضى أن نضحي بكرامتنا بأي ثمن كان ، فقد أصبحت أمانينا تتطلع إلى مشاركة الرجل في الكسب ، إدراكا للاستقلال الذي ننشده " [2] .

---

[1] محمد أبو الأسعاد ، نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٦٩-٧٠ .

[2] فتاة الشرق في حضارة الغرب ، ص ١٧

كما طالبت النهضة النسائية في مصر :

" بأن لاتمنع النساء من تعاطي بعض الأعمال ، بناء على أنها غير صالحة لها . إذ إن الافتراض خطأ محض ، وأن المتتبع لتاريخ الأمم يجد أمثلة كثيرة لنساء نجحن وبرزن في كل ميدان.إن الرجل والمرأة متساويان جسدا وعقلا، لذلك لا وجه مطلقا لمنع المرأة من عمل من الأعمال ، بدعوى أنها منحطة عن الرجل " [١] .

وبهذه النظرة للعمل نظرت نوال السعداوي ، فرأت في العمل الوسيلة لتحرير المرأة ، وفرض سيطرتها على الرجل ، ورفض إذلاله لها تقول :

" لاشك أن أول خطوة لتحرير المرأة هو أن تكون منتجة وعاملة في المجتمع ، بشرط أن تنال عن عملها أجرا .. إن الاستقلال الاقتصادي هو أول خطوات المرأة للتحرير ، لأن استقلال المرأة اقتصاديا عن زوجها سوف يعطيها الفرصة والقوة أن ترفض إذلاله لها .. فالمرأة في حاجة إلى استقلال اجتماعي عن الرجل ، بحيث يمكن أن تعيش وحدها بغير رجل إذا لزم الأمر ..

وهي في حاجة إلى استقلال نفسي ، بحيث تتغلب على الأزمات ، التي تواجهها من الرجل ، بسبب خروجها عن وصايته وطاعته. وهي في حاجة إلى استقلال في الشخصية وثقة بالنفس.لتواجه المجتمع ؛ بسبب خروجها عن النمط التقليدي لمفهوم الأنثى " [٢] .

---

[١] الحركة النسائية في مصر ، ص ١٧١.
[٢] الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، ص ٢٨٦.

وفي المؤتمر الإقليمي الثاني للمرأة في الخليج تحدثت د/ نوال السعداوي عن العقبات أمام المرأة العربية والتنمية ، وركزت فيه على سيطرة الرجال على النساء ، وأنه السبب في إعاقة التنمية تقول:

" إن نجاح تحقيق التنمية الحقيقية في بلادنا العربية ، يحتاج إلى تحرير النساء من سيطرة الرجال ، بمثل ما يحتاج إلى تحرير البلاد العربية من سيطرة الغرب والرأسمالية العالمية " [1] .

وفي موضع آخر تقول :

" إن نهضة البلاد المتخلفة مرهونة بتحرير النساء من سيطرة الرجال ، فليست هناك طبقة سادة في التاريخ ، تنازلت عن امتيازاتها لطبقة العبيد " . [2]

وتقول أيضا :

" تتحمل المرأة أكثر من الرجل نتائج فشل التنمية .. لأنها الجنس الأدنى الخاضع لسيادة الرجل قانونا وعرفا " [3] .

ويرى د/ ناصف عبد الخالق أنه لافرق بين المرأة والرجل في الحقيقة إنما الاختلاف بسبب عوامل اجتماعية ، رسخت في ذهن المرأة بأنها ضعيفة ، وأن للرجل السيطرة ولها الخضوع.يقول :

" إن الرجال قد صبوا في قوالب اجتماعية منذ الصغر ، على أنهم مستقلون أقوياء مشاركون إيجابيون ، ومن ثم تشكلت أنماطهم في هذا الإطار . بينما المرأة صبت في قالب آخر على أنها ضعيفة

---

[1] د/ نوال السعداوي – العقبات أمام المرأة العربية والتنمية مع التركيز على مشكلات المرأة الخليجية بحث ضمن بحوث المرأة والتنمية في الثمانيات المؤتمر الإقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٢م، (١: ١٣٢) .

[2] المرجع السابق ، (١ : ١٣١) .

[3] المرجع السابق ، (١: ١٣٢) .

حساسة مرهفة عاطفية ، تنتظر الآخرين ، وتعتمد عليهم.ومن ثم تشكلت أيضا في هذا الإطار ، ومضى تكوينها الاجتماعي ، يكرس ذلك ويعمقه " [1] .

كذلك ترى د/ صالحة سنقر/ كلية التربية / جامعة دمشق أن عمل المرأة يحقق لها حريتها ومساواتها بالرجل.تقول :

" إن تحرير المرأة ومساواتها بالرجل أمران ممكنان ، إذا ساهمت المرأة على نطاق واسع في العمل المنتج اجتماعيا ، وتحررت من العمل المنزلي ، بحيث لا تعود الواجبات المنزلية تستحوذ إلا على بعض انتباهها " [2] .

وتبين د/ إنعام سيد عبد الجواد العلاقة بين المرأة والرجل ٠ بقولها :

" إن العلاقة التي تحكم المرأة بالرجل هي علاقات تبعية ، فهي دائما تعامل كمخلوق ضعيف ، ويمارس عليها الوصاية منذ ولادتها ٠حتى وفاتها، وهي غير حرة التصرف بنفسها ولا بجسدها !! ، والرجل يرفض أن يرفع وصايته عنها، يسانده في ذلك القانون والعرف الاجتماعي السائد ، والذي يقوم على تقديس المجتمع الأبوي " [3] .

---

[1] ناصف عبد الخالق / دور المرأة الكويتية في إدارة التنمية من بحوث المرأةوالتنمية في الثمانيات ، (١: ٤٠٨- ٤٠٩) ٠

[2] صالحة سنقر – أثر تربية المرأة العربية في تحقيق التنمية الشاملة ، بحث ضمن بحوث المرأة في الثمانينات (١: ٢٢٦-٢٢٧) ٠

[3] إنعام سيد عبد الجواد – العوامل البنائية المحددة للمشاركة الاجتماعية للمرأة الخليجية من بحوث المرأة في الثمانيات ، (١: ١٦٤) ٠

وفي موضع آخر تقول :

" ولما كانت العلاقات السائدة في المجتمع الخليجي علاقات تبعية ، كما سبق وأشير ، فقد أتت هذه القوانين مكرسة لهذه التبعية ؛ ومدعمة لها ، ويبدو ذلك من خلال القوانين ، التي تؤكد على تبعية المرأة للرجل " [1] .

وفي المؤتمر الذي عقد مؤخرا تحت شعار " المرأة والقانون والتنمية " ، طالبت الأستاذة / هيفاء أسعد من دولة فلسطين بالمساواة مع الرجل في العمل ، ممتدحة القانون الإسرائيلي لمساواته بين المرأة والرجل في العمل . تقول :

" إن من الملامح الإيجابية في قانون العمل الإسرائيلي قانون المساواة في فرص العمل .

١-يفرض على صاحب العمل أن يقبل المرأة للعمل ، وأن لايرفضها على أساس كونها امرأة .

٢- يجب أن تنص الإعلانات للعمل على الذكور والإناث .

٣-عدم مضايقة المرأة على أساس الجنس والعمل .

كما صرحت بأن المساواة مع الرجل في العمل تؤدي بدورها إلى ثبات دخل المرأة العاملة في مدخول الأسرة ، وذلك يؤهل لتعديل السيطرة الذكورية في المجتمع .

كما حثت على البحث عن وسائل جديدة لتوعية المرأة والرجل معا من أجل المساواة التامة بين الجنسين ، التي هي لمصلحة الإثنين معا ، ولمصلحة المجتمع بأكمله " [2] .

---

[1] المرجع السابق ، (١: ١٦٤) .
[2] أنظر المرأة والقانون والتنمية ، ص ٥٥، ٨٣، ٨٤ .

ثالثا : مظهر من مظاهر التقليد :

اعتمدت بعض الطلبات التي تنادي بعمل المـرأة خـارج المـنزل على أساس التقليد الأعمى لكل ما يحدث في الغـرب فمثلمـا خرجـت المرأة الغربية للعمل ، فلا بد من خروج المرأة المسلمة للعمل ، مـع أنه سبق ذكر الظروف التي أجـبرت المـرأة الغربيـة علـى الخـروج للعمل ، واضطرارها لذلك ٠

ومن هؤلاء قاسم أمين الذي فتن بالغرب ، فدعا المـرأة المسـلمة أن تقلد المرأة الغربية التي تعمل في كل المجالات ٠ بقوله :

" كل مطلع على حركات النساء الغربيات وأعمالهن لايشك فـي أنـهن يـأتين مـن الأعمـال العظيمـة ٠٠ فـلا يوجـد فـرع مـن فــروع الصناعـة والتجـارة ؛ ولا علـم من العلـوم ولا فـن مــن الفنــون إلا والمرأة عاملة فيه مع الرجال كتفا بكتف "[1] ٠

رابعا : التخلص من ربقة القيود :

لم يكن لعمل المرأة في نظر هـؤلاء أهميتـه فـي دفـع ضـرر قد يحيق بالمرأة ، أو منفعة تعود على البلاد والعباد، وإنما كان العمـل في نظرهم مخلصا من القيود التي فرضها المجتمع على المرأة فـي العادات والتقاليد ٠

يقـول سـلامة موسـى دافعـا المـرأة للمطالبـة بـالتخلص منــها :

[1] قاسم أمين – تحرير المرأة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م ،ص ١٠٥٠

" انبذن تقاليدكن البالية ، واخرجن واختلطن بالرجال في جرأة، واقتحمن المصانع والمتاجر للعمل ، لا دفعا لضرورة ، ولكن فقط تحديا للتقاليد التي تحتجزكن للأمومة ورعاية الإنتاج البشري " [١] .

وفي دراسة سسيولوجية لدور المرأة في عملية التنمية ، تقول د/ سهير علي : " إن على المرأة دورا أساسيا في تحرير ذاتها .. فالمرأة كإنسان لها قيمتها الذاتية بقدرتها على العطاء والإنتاج والإبداع ..وعليها أن تدرك هذه الحقيقة بتخطي التقاليد والعادات والقيم السائدة في العالم النامي منذ قرون " [٢] .

بهذه المبررات قامت الدعوة إلى مساواة المرأة مع الرجل في العمل وسيبرز فساد هذه المبررات في المبحث القادم بإذن الله تعالى .

ج : في الحياة السياسية

من منطلق الدعوة إلى المساواة المطلقة بين المرأة والرجل ، طالبت المرأة المسلمة في معظم الدول الإسلامية بمساواتها مع الرجل في المجال السياسي ، واعتبرت ذلك حقا لها، لابد أن تتمتع به مثلها في ذلك مثل الرجل .

وقد تفاوتت مطالبة المرأة بالحصول على هذه المطالب السياسية في الدول الإسلامية حسب ظروف كل دولة .

فمثلا مصر كانت أسبق في المطالبة بهذا الدور ، أما تركيا فقد كانت أسبق في الحصول على هذه المطالب وتطبيقها ، نظرا للظروف السياسية في البلدين آنذاك .

---

[١] محمد قطب – شبهات حول الإسلام ، دار الشروق ، ط ١٤ ، ١٤٠١هـ ، ص ١٤٨.

[٢] د/ سهير لطفي علي – دراسة سسيولوجية لدور المرأة في عملية التنمية المجتمعية في العالم النامي ، بحث ضمن المؤتمر الإقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية ، (١: ٢٤).

ولما كان التطبيق أعظم أثرا في المرأة المسلمة من المطالبة به، سيستهل الحديث عن تركيا التي طبقته ٠

أولا : تركيا

حرصت المرأة التركية على الولوج إلى عالم السياسة في محاولة منها للمساواة مع الرجل ، وكان ذلك في عام ١٩٢٥م ، حيث قام وفد من النساء بمقابلة كمال أتاتورك : " وطلبن منه تغيير القانون لصالح المرأة ، ومنع تعدد الزوجات ، والمساواة في الميراث مع الرجل ٠

وقد استجابت الدولة لهن في المساواة في الميراث ، ثم طالبن بالحقوق السياسية ، فنالت المرأة في سنة ١٩٣٠م حق الانتخاب ، وفي سنة ١٩٣٣م رشحت للبرلمان " [1] ٠

وهكذا حصلت المرأة التركية على ما طالبت به في مدة وجيزة تقارب الخمس سنوات وهذا يؤكد مدى تغلغل التغريب في تركيا على يد كمال أتاتورك بعد سقوط الخلافة الإسلامية ٠

ثانيا : لبنان :

نالت المرأة اللبنانية ما طالبت به،وكان ذلك عام ١٩٥٣ م ٠ وأصبح لها الحق في الإدلاء بصوتها في الانتخابات والمشاركة السياسية ٠

وبينت الأستاذة هند عطوى عضو التجمع النسائي الديمقراطي اللبناني وضع المرأة اللبنانية في الناحية السياسية ٠

---

[1] عطية صقر ، الأسرة تحت رعاية الإسلام ، مؤسسة الصباح، ط ١ ، ١٤٠٠هـ،(٢: ٤٧٥) ٠

بقولها : " على مستوى المشاركة في القرار السياسي ، المرأة غائبة تماما عن السلطة التنفيذية ، ولم يحصل في تاريخ لبنان أن كان هناك امرأة وزيرة أورئيسة جمهورية أو رئيسة حكومة ٠

في انتخابات ١٩٩٢م انتخبت ثلاث سيدات ولأول مرة ترأست إحداهن لجنة نيابة ٠

*أما في السلطات المحلية ، فليس هناك أية امرأة وهناك قائمة مقام واحدة ، وثلاث نساء رئيسات بلديات وامرأة واحدة مختارة"[1] ٠

ولا شك أن لهذا الوضع دلالته ، إذ يثبت بكل جلاء أن هذه القضية بعيدة عن اهتمامات المرأة بمقتضى الفطرة.فالواقع الوجداني للمرأة يرفض هذه القضية ، لأن لديها اقتناع تام بأن وظيفتها الأساسية في الحياة،هي القيام بشئون البيت وتربية الأطفال ٠

إذ لو كان لديها أدنى اهتمام أو تفاعل مع هذا الأمر لكان عدد النساء المنتخبات أكبر من ذلك بكثير ، كما توضح هذه الإحصائيات هيمنة الذكور على المجال السياسي ، وانعدام الثقة بالنساء في هذا المجال ٠

ثالثا : مصر

تعد دولة مصر من أوائل الدول التي طالبت نساؤها بالمشاركة في المجال السياسي ، ولعل ذلك عائد إلى تركيز دعاة التغريب على هذه الدولة ٠

حيث أن لمصر أهميتها في العالم الإسلامي قديما وحديثا ، ويعد التأثير عليها تأثيرا على جميع الدول الإسلامية ٠

---

[1] المرأة والقانون والتنمية ، ص ٧٩

وقد كانت بداية ذلك كما يذكر د/ السيد فرج في عام ١٩١٩م ، عندما : " كانت منيرة ثابت تطالب بهذا الحق عام ١٩١٩م فكانت تكتب مقالاتها تحت عنوان ثابت هو خواطر منيرة ، ثم أنشأت مجلة الأمل سنة ١٩٢٥م فضمنت برنامجها السياسي وهو :

المطالبة الصريحة بحقوق المرأة السياسية ، والتي اصطلح على أن تكون ممارستها العملية : الترشيح والانتخاب وعضوية البرلمان"[١]. وتبعتها هدى شعراوي التي كانت تحرص على المشاركة في المؤتمرات الخارجية ، وتعرض مطالبها لتمنح تأييد تلك الدول .

لذلك " عندما أنعقد أول مؤتمر دولي للمرأة في روما عام ١٩٢٣م ، كانت هدى شعراوي أولى المستجيبات لدعوته ، حيث نادت في جلساته بتحرير المرأة ، وتحقيق مطالبها الطبيعية في ممارسة الحياة السياسية [٢]"

كما قام الاتحاد النسائي المصري الذي ترأسه هدى شعراوي في عام ١٩٤٧ م : " بوضع كتيب تضمن بعض مطالب المرأة ومن أهمها ضرورة تعديل قانون الانتخاب بإشراك النساء مع الرجال في حق الانتخاب ، كما يجب أن يكون للمرأة جميع الحقوق السياسية وعضوية المجالس المحلية والنيابية أسوة بالرجل " [٣] .

وكذلك عندما عقد مؤتمر نسائي في عام ١٩٥١م تقدمت النساء بطلب متضمنا عدة أمور منها :

---

[١] المؤامرة على المرأة المسلمة ،ص ١٠٦ .

[٢] مجلة الهلال ، ربيع ثاني عام ١٣٩٨هـ ، ص ٥٦ .

[٣] نادية قورة ، تاريخ المرأة في الحياة النيابية في مصر من ١٩٥٧م إلى ١٩٩٥م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م ـ ص ٢٢ .

" يجب أن يعطى النساء كافة الحقوق السياسية ، على قدم المساواة مع الرجال وتقرير حق الحرية والمساواة في كافة الحقوق والأجور " [1] .

وفي عام ١٩٥٤م تقدمت مجموعة من نساء مصر بمذكرة يطالبن فيها بالمشاركة في المجال السياسي .

" وكان نص المذكرة : إن المصريات يطالبن بحقوق المرأة الدستورية كاملة غير منقوصة ، وبضرورة تمثيلها في الجمعية التأسيسية ، وقد تتاح لها الفرصة في مناقشة الدستور ؛ الذي سيحكم المصريين جميعا نساء ورجالا " [2] .

بعد هذا الإلحاح من المرأة المصرية على دخول الحياة السياسية ، صدر أول دستور في مصر في يناير عام ١٩٥٦م ، يقرر المساواة بين الرجل والمرأة في المجال السياسي .

وبذلك تمكنت المرأة المصرية من الترشيح والانتخاب .

وفي عام ١٩٦٢م نص الميثاق الوطني على : " أن المرأة لابد أن تتساوى بالرجل ، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال ؛ التي تعوق حركتها الحرة ، حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية في صنع الحياة ".[3]

وفي كتاب " تاريخ المرأة في الحياة النيابية في مصر " ذكرت المؤلفة نادية قورة عددا من الشخصيات النسائية التي دخلت الحياة النيابية ويبلغ ٦٥ عضوة . وسيتطرق البحث إلى الحديث عن

---

[1] المؤامرة ، ص ١٠٩ .
[2] تاريخ المرأة ، ص ٥١ .
[3] المؤامرة ، ص ١١٦ .

بعضهن وأقوال لهن حسب ما يختص به المقام من هؤلاء العضوات

* مفيدة عبد الرحمن ومن أهم ما طالبت به :

١- إن المرأة تصلح وزيرة للشئون الاجتماعية، لأن أغلب شؤونها متصل بالمرأة ، وتصلح وزيرة أيضا للتربية والتعليم ، حيث تربية النشء ٠

٢- إن المرأة تصلح قاضية ، طالما درست الحقوق والقانون ٠

٣- نادت بفتح المجالات أمام المرأة ، بأن تشغل الوظائف القضائية ؛ ووظائف السلك الدبلوماسي ؛ وأن يفتح أمامها مجال للترقي ٠

٤- طالبت بالحقوق السياسية للمرأة حق الترشيح والانتخاب " [1].

* د / فوزية عبد الستار علي عضو بمجلس الشعب تقول :

" إن مشاركة المرأة في الحياة السياسية هو جزء من صميم واجبها في المجتمع ، فعليها أن تشارك في الأنشطة السياسية ، وعليها الإدلاء بصوتها في الانتخابات ، وأن ترشح نفسها لعضوية المجالس النيابية ، حتى يمكن أن تتفاعل مع المجتمع ، وتعرض أراءها وأفكارها بصورة تحقق لها استقلاليتها ، لتحقق مكانتها في المجتمع ، لا أن تكون تابعة للرجل " [2].

كما طالبت " بفتح المجال للمرأة للعمل وكيلة نيابة ، ثم قاضية ، ومستشارة وقالت : لا أتصور أن تساهم المرأة في وضع التشريعات

---

[1] تاريخ المرأة ، ص ٥٩- ٦٠ ٠

[2] السابق ، ص ٥٣٥ .

وفي شرح القانون داخل الجامعة ،ثم تحرم من تطبيق نفس القانون على منصة القضاء "[1] .

ومن الآراء التي طرحتها عودة المرأة إلى بيتها ، وتركها للعمل نكسة حضارية ، وتقهقر اجتماعي تقول في ذلك :

" الدعوة إلى ترك المرأة ميدان العمل هي ردة حضارية بكل المقاييس ، فالمرأة طاقة ضخمة ، يجب أن تستغل ، في الوقت الذي تتطلب فيه ظروفنا الاقتصادية أن تستغل كل الطاقات لزيادة الإنتاج "[2].

- **د / حورية مجاهد عضو في مجلس الشعب ترى أن :**

" المرأة في حاجة إلى فرصة لإثبات كفاءتها في البرلمان وفي العمل السياسي ، ولا فرق بين الرجل والمرأة الأساس هو الأداء"[3].

- **د / ليلى إبراهيم تكلا وقد كانت :**

" أول من طالبت في البرلمان بأن تتولى المرأة منصب القضاء"[4]

- **عنايات يوسف وكانت تطالب دائما :**

" بضرورة توعية المرأة من الناحية السياسية والعمل على مشاركتها مشاركة إيجابية في حل المشاكل الخاصة بالبلد "[5] .

بهذا يتضح لنا مدى حرص المرأة المصرية على أن يكون لها دور في الحياة السياسية ، وقد تحقق لها شيء مما نادت به ،وولجت

---

[1] السابق ، ص ٥٣٢ .
[2] السابق ، ص ٥٤١ .
[3] السابق ، ص ٥٥١ .
[4] السابق ، ص ٢٢١ .
[5] السابق ، ص ٣٤٣ .

المجال السياسي • وقد حرصت الإدارة المصرية على ذلك ؛ بأن خصصت مكانا ثابتا للعضوات ، وإن لم ينجحن في الانتخابات • فلرئيس الجمهورية الحق في تعيين عدد من العضوات بنسبة معلومة • وكذا في التشكيل الوزاري ؛ يوجد نسبة معينة للنساء.ولا شك أن هذا عمل مقصود ؛ يهدف من ورائه إلى بقاء العنصر النسائي داخل المجال السياسي •

رابعا : السودان

رفعت المرأة السودانية صوتها مطالبة بالمشاركة في المجال السياسي ففي سنة ١٩٥٢م " تكون أول اتحاد نسائي سوداني برياسة فاطمة أحمد إبراهيم •

تعددت مطالب الاتحاد وكان منها المساواة مع الرجل في فرص التعليم والعمل ، ثم نادى بالحقوق السياسية ، ورفع في سنة ١٩٥٦م مذكرة يطالب فيها بالانتخاب والترشيح •

فحصلت المرأة على حقوقها السياسية ، ووصلت إلى منصب وزير " [1] •

وقد صدر مرسوم : " إن للمرأة السودانية الحق في ممارسة حقوقها على قدم المساواة مع الرجل ، وتمتعت المرأة بحقها كاملا في تولي منصب القضاء " [2]•

ويذكر الأمين الحاج محمد " أن د/ حسن الترابي قد جوز للمرأة أن تكون إمامة أو وزيرة أو قاضية •

---

[1] الأسرة تحت رعاية الإسلام ، (٢: ٥٢٨) •
[2] المرأة والقانون والتنمية ، ص ٢٦ •

وذكر أن الآن في السودان عددا من النساء أسندت إليهن حقائب وزارية في الحكومة المركزية والولايات ، وهناك عدد كبير منهن تقلد منصب القضاء " [1] .

وبذلك تمكنت المرأة السودانية من ممارسة دورها السياسي على قدم المساواة مع الرجل .

خامسا : المغرب

صرح الدستور المغربي :" أن لكل مواطن ذكرا كان أو أنثى أن يكون ناخبا ، إذا كان بالغا سن الرشد ، متمتعا بحقوقه المدنية والسياسية " [2] .

ويذكر الأستاذ عطية صقر أن " الأميرة عائشة بنت الملك محمد الخامس نادت عام ١٩٤٧م بالاستقلال ، وعملت سفيرة لبلادها في إيطاليا عام ١٩٧١م ..

وفي سنة ١٩٦٧م عينت أول إمرأة للعمل بالقضاء المغربي ، وبعد تسع سنوات أصبحن خمسا وعشرين امرأة " [3]

وفي مؤتمر المرأة والقانون والتنمية ذكرت مليكة بن الراضي " أن في إنتخابات ١٩٩٣في المغرب ترشحت ١٠٨٦ امرأة ، فازت منهن ٧٣ فقط في الانتخابات المحلية ، أما الانتخابات التشريعية فلأول مرة في تاريخ المغرب دخلت امرأتان مجلس النواب " [4].

---

[1] أنظر الأمين الحاج محمد أحمد ، مناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور الترابي ، مركز الصف الألكتروني للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١٥هـ ، ص ١٣٤-١٣٥ بتصرف

[2] المرأة والقانون والتنمية ، ص٦٤ .

[3] الأسرة تحت رعاية الإسلام ، (٢ : ٥٢٤) .

[4] المرأة والقانون ، ص ٩٥ .

ولاشك أن لهذه الأرقام دلالتها، حيث تؤكد ما تقرر سابقا ، من أن المرأة بعيدة الاهتمام عن المجال السياسي ، وليس لديها الرغبة في التفاعل مع هذه القضية لمخالفتها لطبيعتها وفطرتها ٠

سادسا : الكويت

تابعت المرأة الكويتية النساء في معظم الدول الإسلامية في المطالبة بالمشاركة في المجال السياسي ٠

فقد طالبت بها رئيسة لجنة يوم المرأة الكويتية ؛ مدعية أن ذلك من الحقوق التي لابد وأن تتمتع بها المرأة ٠ تقول : " الحقوق السياسية للمرأة الكويتية كحق الانتخاب والترشيح إنما يأتي لصالح الوطن ، وذلك بمشاركة العنصرين الهامين في الوجود ؛ وهما المرأة و الرجل فكيف يحرم أحدهما هذا الحق ؟ ! [1] :

وقد عقدت المرأة الكويتية عدة مؤتمرات منها :

- **المؤتمر النسائي الكويتي الأول عام ١٩٧١م ٠**

وخرج هذا المؤتمر بعدة توصيات منها

" ١- المطالبة بحق المرأة في ممارسة عملية الانتخاب غير المشروط ٠

٢- المطالبة بمساواة المرأة العاملة بالرجل في وزارة الخارجية، وضرورة انخراطها في السلك الدبلوماسي " [2] ٠

***المؤتمر النسائي الكويتي الثاني عام ١٩٧٥م ٠**

وكان هذا المؤتمر قد عقد تحت شعار

(واجبات وحقوق المرأة الكويتية في ظل التنمية الشاملة)

---

[1] المرأة ماذا بعد السقوط ؟ ص ٤٠ ٠

[2] السابق ، ص ٤١ ٠

ومن التوصيات التي خرج بها :

" يوصي المؤتمر حكومته الرشيدة ونوابه الكرام بضرورة الوقوف بجانب المرأة في منحها حقها الذي قرره الإسلام لها ؛ وأيده الدستور الكويتي من كامل الحقوق السياسية ، أسوة بشقيقها الرجل " [1] .

كما قدمت المرأة الكويتية الوثيقة النسائية الكويتية الأولى عام ١٩٧٧م ، ورفعتها إلى سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد الصباح – آنذاك – يوم السبت ١٩٧٧/٧/٢م .

وتضمنت هذه الوثيقة المطالبة بالحق السياسي.فقد جاء فيها : " إن الإسلام العظيم لم يغلق في وجه المرأة أي باب من أبواب النشاط الاجتماعي والأدبي والسياسي ، بل قرر أنها مسئولة مسئولية عامة عن كل ما يعرض من أمور ؛ تمس الصالح العام .

والواقع أن حصول المرأة الكويتية على حقها السياسي ؛ ما هو إلا تكملة لمسيرة المرأة العربية حيث أننا نجد النساء حصلن على حقوقهن السياسية في كثير من الدول العربية ومعظم الدول الإسلامية .

ونحن على يقين بأن هذه المسألة الهامة ستلقى العناية الكافية من سموكم ، وفقكم الله لما فيه خير كويتنا الغالية

فاطمة عيسى الصالح	نورية السداني
رئيسة نادي الفتاة	رئيسة جمعية النهضة النسائية [2]

---

[1] السابق ، ص ٤٢ .

[2] المرجع السابق ، ص ٤٥ .

وقد شاركت بعض النساء الكويتيات في هذه المطالبة ، وأيدنها ، تقول : السيدة لولوة القطامي رئيسة الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية : " الإسلام ينظر للمرأة اليوم نظرة أكثر تقدمية وأكثر **تطورا من نظرته لها في القرن السابع الميلادي - عن بداية الهجرة النبوية – ومن ثم علينا إلى تطور [1] نظرتنا للمرأة ٠ وإن رسول الله** صلى الله عليه وسلم لو بعث حيا الآن ؛ فإنه لاشك سيغير من أفكاره ويطورها ، لأن الدين الإسلامي ليس دينا جامدا في قوالب مصبوبة ٠ إنه دين ديناميكي متجدد متحرك " [2].

ولاشك أن هذا الكلام ينم عن فهم مغلوط لما قرره الإسلام ٠

ويعد تطاولا على الدين الإسلامي ومبلغه صلى الله عليه وسلم ، ويعمد هؤلاء للتمسح بالدين واتهامه بما ليس فيه ، ليسوغ لهم ما يطالبون به ٠

وسيأتي بيان ذلك عند الرد إنشاء الله على هذه الأقوال ٠

وتابعتها د/ بدرية العوضي التي طالبت بحق المرأة السياسي ؛ وإعادة النظر في قانون الانتخاب وإنصاف المرأة الكويتية ٠ تقول :

" إن المرأة الكويتية في المرحلة الحالية لا تقل عن غيرها من نساء العرب أو نساء دول العالم الثالث ٠٠ وذلك لأن الشواهد والأدلة العملية لموقف المرأة داخل الكويت وفي خارجها وعلى جميع المستويات تدحض الآراء التي تنكر على المرأة الكويتية القدرة على ممارسة تلك الحقوق ٠

---

[1] العبارة غير مستقيمة ولعلها أرادت أن تقول (أن نطور) .

[2] المرجع السابق،ص ١٦٣.

وأعربت عن أملها في أن يقوم أصحاب القرار بإعادة النظر ..
لكي يتسنى للمرأة الإسهام بصورة أكثر فاعلية في عملية التنمية الشاملة ، وفي جميع المجالات ، وأهمها ممارسة العمل السياسي .

وذلك لأن المرأة طالما كانت محرومة من ممارسة ذلك الحق ، فإن مساهمتها في بناء المجتمع ستكون مساهمة هامشية وثانوية ، كما هو الحال في الوقت الحاضر ".[1]

وهكذا يتضح حرص كثير من النساء المسلمات على المساواة بالرجل حتى في المجالات التي لاتتفق مع طبيعتهن كالمجال السياسي .

---

[1] جريدة السياسة الكويتية / السبت ١٩٨٥/١/١٢م ، / عدد ٥٩٠١/ ص ٥ .

المبحث الثالث

" تفنيد الشبهة من خلال واقعها
وبيان أثرها المؤلم في العالم الإسلامي"

تمهيد :

ميز الله سبحانه وتعالى الشريعة الإسلامية بخصائص متعددة ، من ضمنها شمولية التشريع وتكامله بمعنى أن جميع أجزاء التشريع تمثل وحدة متكاملة ، لايمكن تعارض أجزائها أو انفصالها ٠ فالشريعة الإسلامية إذن نزلت من عند الله لتسع حياة الإنسان من كل أطرافها ، وحياة المجتمع الإسلامي بكل أبعادها ، فلاتضيق بالحياة ، ولاتضيق الحياة بها.لذا لايمكن أخذ جزء منها وترك آخر ٠ فإما أن تؤخذ كلها ، أو تترك كلها ٠

يقول الشيخ المودودي :

" هي الوحيدة - أي الشريعةالإسلامية - التي تحقق وحدة تامة ، وانسجاماً منقطع النظير بين كافة تفريعات الحياة ؛ وشعاب الفكر والعمل ٠ ويربط بين أجزاء هذه الوحدة نظام هادف ؛ وترتيب ذومغزى ".[1]

ويقول محمد أسد عن الإسلام :

" وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً ، ويشد بعضها بعضاً ،فليس هناك شيء لاحاجة إليه ، وليس هنالك نقص في شيء ، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص ٠٠ إن جميع مافي الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت في مواضعها " ٠[2]

---

[1] أبو الأعلى المودودي ـــ الحكومة الإسلامية ، المختار الإسلامي ، ص ١٠ ٠
[2] الإسلام على مفترق الطرق ، ص ١٥ ٠

لذا إذا أردنا إدراك الحكم التشريعية في جزئية ؛ فلابد من ضم جميع جزئيات التشريع إليها ، حيث أن الإسلام إذا منع في موضع، يربط ذلك المنع بموضع آخر ، يستلزم العطاء ٠ فالمرأة مثلاً عندما أخذت نصف ميراث الرجل ، وفر لها الإسلام من ينفق عليها ، فهي منعت في موضع ، وأعطيت في مكان آخر ٠

وهكذا يظهر انسجام التشريع وترابطه ، وبناءً على هذه التشريعات ٠ أعطى الله سبحانه وتعالى كلاً من الرجل والمرأة إمكانات يستطيع من خلالها تطبيق التكليفات ؛ التي فرضها الله عليهما٠

فالإسلام بعد أن أعلن موقفه الصريح من إنسانية المرأة وأهليتها وكرامتها ، نظر إلى طبيعتها ، وماتصلح له من أعمال الحياة ، فلم يساو بينها وبين الرجل في الواجبات والحقوق ٠

بناءً على عدم مساواتهما في الإمكانات المختصة بهما ٠

ومن ثم فمن الخطأ الخلط بينهما في الواجبات ، وأن نطالب المرأة بما نطالب به الرجل ، لأن الإمكانات أساساً مختلفة ٠ وكان هذا هو الخطأ الذي وقع فيه دعاة التغريب ، فطالبوا بالمساواة بينهما في الواجبات مع اختلاف الإمكانات ٠

ومن هنا وقع الظلم على المرأة المسلمة على وجه الخصوص ، إذ طولبت بماهو فوق طاقتها وإمكاناتها ، فتضاعف عليها الجهد والتعب ٠

بهذا تظهر رحمة الله تعالى بالمرأة ، إذ كلفها بماتطيق ، ولم يساو بينها وبين الرجل ، إذ في المساواة بينهما ظلم متحقق يقع على كاهل المرأة ٠

وقد أدركت نساء الغرب فساد هذه النظرية بعد أن طالبن بها ، وعشن حقيقتها ورأين ثمارها ٠

ففي دراسة أعدتها الكاتبة الأمريكية المعروفة " جوديت ستاسي " أستاذة علم الاجتماع بجامعة كاليفورنيا بينت فساد القول بالمساواة على جميع الأصعدة تقول :

" إن نظرية المساواة بين الجنسين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً أحد المبادىء الأساسية لحركة تحرير المرأة ٠٠ تواجه اليوم أزمة ثقة ، إذ زاد عدد الكاتبات والمفكرات البارزات في أمريكا ٠٠ -اللاتي - ينتقدن ويستنكرن - بل ، ويتحدين هذه النظرية ، بسبب مانتج عنها من أزمات في الحياة الشخصية ، وحياة الأسرة ٠ فقد خلقت - أنشأت - هذه النظرية مشكلة في حد ذاتها ، أكثر مماوفرت من حلول ، وقد علت صيحات هؤلاء المفكرات من أجل إنقاذ الأسرة ، التي هي مصدر القيم الضرورية ٠ ولذلك رفعت تلك الكاتبات البارزات بأمريكا شعارات الأنوثة والإنجاب وتربية الأبناء٠

وتضيف قائلة : لقد جاء الرفض المتزايد لنظرية المساواة بين الرجل والمرأة ؛ بسبب ماتسفر عنه دائماً من تحطيم للأسرة ".[1]

وفي هذا المبحث سيتضح فساد هذه النظرية في الميراث والعمل والحياة السياسية ٠

---

[1] المواجهة ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ٠

أ - في الميراث

كرم الله سبحانه وتعالى المرأة المسلمة ، ورفع شأنها ، وأعلى قدرها ، وحفظ لها كرامتها المهدرة • فساوى بينها وبين الرجل في أصل الميراث • حيث جعل لها حقا في الإرث ، بعد أن كانت تحرم منه • فالمرأة المسلمة هي الوحيدة بين نساء العالم التي ترث ولها حرية التصرف بمالها قديما وحديثا •

وهذا مماأكرمها الله به ، فكان من مميزاتها الخاصة بها ، التي امتن بها الإسلام عليها •

ولكن هذه التسوية في الأصل ، لم تتبعها تسوية في القدر ، إذ جعل الله تعالى ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ •[1]

وقد شرع الله تعالى ذلك لحكمة اقتضاها بناء المجتمع الإسلامي ، فواقع وطبيعة الحياة الإسلامية تفرض ذلك •

فقد فرض الإسلام على كل من الرجل والمرأة أعباء تتناسب مع خصائصهم ، فلزم العدل بينهما ليتمكن كل منهما من القيام بمافرضه الله عليه ،وينتظم المجتمع الإسلامي على ذلك •

فالعبرة إذن في تقدير الميراث هي في الأعباء والالتزامات التي يكلف بها الشخص ، فكلما كانت أكبر وأضخم كان نصيبه بمنطق العدل والإنصاف أكثر وأوفر •

يقول الأستاذ محمد عثمان الخشت :

" هي مسألة حساب ؛ وليست محاباة لأحد الجنسين على الآخر ، ولاإقلالا من قيمة جنس لأجل جنس ، وإنما الأمر كله لايتعدى مجرد ملاحظة الحاجة ، وذلك أن الرجل مكلف بالقيام على إعالة

---

[1] سورة النساء ، آية : (١١) •

أسرة مكونة بطبيعة الحال من امرأة وأولاد ، وليست المرأة مكلفة بشيء البتة ..

فمراعاة التوازن بين أعباء الذكر وأعباء الأنثى ؛ هي التي جعلت الذكر يأخذ ضعف الأنثى ، والمساواة العادلة ؛ هي التوريث وفقاً لمقدار الحاجة . أما المساواة عند تفاوت الحاجة والعبء ؛ فهي المساواة الظالمة ، التي تهضم الحقوق وتغفل عن مراعاة الظروف". [1]

من هنا يتضح أن فرض الأعباء على الرجل ؛ جعل له الحق في زيادة نصيبه على نصيب المرأة . وقد أشار إلى ذلك بن كثير في تفسيره . يقول : " أمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث ، وفاوت بين الصنفين ، فجعل للذكرمثل حظ الأنثيين . وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب وتحمل المشاق ، فناسب أن يعطى ضعفء ماتأخذه الأنثى ". [2]

ويقول النووي في شرحه لصحيح مسلم :

" إن الرجل تلحقهم مؤن كثيرة بالقيام بالعيال ، والضيفان ، والأرقاء ، والقاصدين ، ومواساة السائلين ، وتحمل الغرامات ، وغير ذلك ". [3]

كما يرى الشيخ علي أحمد الجرجاوي أن أفضلية الرجل في الميراث نابعة من قيامه بمصالح الأمة . يقول : " إن الذكر يكد ويكدح في طلب الرزق للإنفاق على بيته وأولاده ؛ ومن تجب عليه

---

[1] محمد عثمان الخشت ، من إعجاز القرآن وليس الذكر كالأنثى ، مكتبة القرآ ن ،ص ١٠٩ .

[2] تفسير القرآن العظيم ، (١ : ٤٩٧) .

[3] يحيى بن شرف النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ــ لبنان ، (١١ ــ ٥٣) .

نفقته شرعاً ٠ بل هو الذي عليه الاعتماد في تدبير الشئون الخاصة والعامة ٠٠ وأيضاً إن الذكر يكلف نفسه متاعب الحياة مالاتقدر عليه الأنثى ٠٠ وهو الذي يباشر الحروب ، ويعرض نفسه لخطر الموت في نصرة الدين ٠٠ وهو الذي يؤدي الأعمال ؛ التي تلزم لمصلحة الأمة ٠٠ من أجل ذلك جعل الشارع الحكيم نصيبه ضعف نصيب الأنثى ، إذ المال أكبر مساعد للإنسان على تخفيف متاعب العيش ،وتسهيل أسباب الكسب " ٠ [1]

أما الشيخ محمد رشيد رضا فيعلل هذا التقسيم بقوله : " وحكمة جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ؛ أن الشرع الإسلامي أوجب أن ينفق على المرأة ، فبهذا يكون نصيب المرأة مساوياً لنصيب الرجل تارة ، وزائداً عليه تارة أخرى باختلاف الأحوال ٠٠ فيكون إعطاؤهن نصف الميراث تفضيلاً لهن عليهم ٠٠ إلا أن سببه أن المرأة أضعف من الرجل عن الكسب ، ولها من شواغل الزوجية ومايتصل بها ٠٠ مايصرفها عن الكسب الذي تقدر عليه ٠٠

ووجه إعطاء المرأة ماتعطى من الميراث ؛ أن يكون لها مال تنفق منه على نفسها ، إذا لم يتح لها الزواج ،أومات زوجها ولم يترك لها مايقوم بأودها ، فهومن قبيل المال الاحتياطي لها وللأسرة" ٠[2]

مماتقدم يظهر تكريم الإسلام للمرأة المسلمة ، فمع إيجاب النفقة لها ؛ يعطيها نصف مايرثه المنفق عليها ٠ فالمرأة إن كانت بدون زوج ، فهي تحت وصاية أبيها ، يرعاها وينفق عليها ٠ وإن

---

[1] علي أحمد الجرجاوي ، حكمة التشريع وفلسفته ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (٢ : ٤٠١) ٠

[2] محمد رشيد رضا ، حقوق النساء في الإسلام ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ص ١٦ ٠

تزوجت ،فالرجل يمهرها ، وينفق عليها مادامت في عصمته ؛ مع احتفاظها بمالها ٠ وإن توفي ، وجدت من ينفق عليها من أب أو ابن أو أخ ، فهي محفوظة مصونة منفق عليها ٠

يقول سيد قطب في الظلال :

" الرجل يتزوج امرأة ، ويكلف إعالتها وإعالة أبنائها ٠٠ أما هي فإما أن تقوم بنفسها فقط ، وإما أن يقوم بها رجل قبل الزواج وبعده سواء ٠ وليست مكلفة نفقة للزوج ؛ولا للأبناء في أي حال ٠ فالرجل مكلف على الأقل ضعف أعباء المرأة في التكوين العائلي ، وفي النظام الاجتماعي الإسلامي ٠ ومن ثم يبدو العدل ،كمايبدو التناسق بين الغنم والغرم في هذا التوزيع الحكيم ٠ويبدو كل كلام في هذا التوزيع جهالة من ناحية ، وسوء أدب مع الله من ناحية أخرى ، وزعزعة للنظام الاجتماعي والأسري لاتستقيم معها حياة" ٠[1]

ويذكر الشيخ الشنقيطي أن الله سبحانه وتعالى أشار لهذه الحكمة في آية أخرى من القرآن الكريم: " قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ ، لم يبين هنا حكمة تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث مع أنهما سواء في القربى ، ولكنه أشار إلى ذلك في موضع آخر ، وهو قوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا

---

[1] في ظلال القرآن ، (١ : ٥٩١)٠

كَبيراً ﴾[1] لأن القائم على غيره ،المنفق ماله عليه ، مترقب للنقص دائماً ، والمقوم عليه ، المنفق عليه المال ، مرتقب للزيادة دائماً • والحكمة في إيثار مترقب النقص على مترقب الزيادة جبراً لنقصه المترقب ظاهرة جداً "• [2]

مماتقدم تظهر الحكمة من جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل • فالمرأة بالمنظور الإسلامي لاتنفق ؛إنماهي منفق عليها دائماً • فمالها قابل للنماء والزيادة •لذلك أصبح ماتأخذه ؛ إنما هو زيادة ، تحسباً لظروف مستقبلية قد تحيق بالمرأة ؛ فتضطرها إلى إنفاق مال • فيكون ميراثها مال تنفق منه •

كذلك أصبح المال تحقيقاً لاستقلاليتها في الذمة المالية • ثم إن المال إن لم يتداول ينقص ، وفرصة التداول مع المرأة أقل من فرصة التداول مع الرجل ، لذلك جعل نصيبه أكبر من نصيب المرأة ، فيكون العائد عليه وعلى أسرته أكبر •

لهذه الحكمة جعل الشارع الحكيم نصيب الذكر أكبر من نصيب الأنثى ، وإن أي قدح في هذا التوزيع ؛ إنماهو جهالة ؛ وسوء أدب مع الله سبحانه وتعالى •

أما القول بأخذ البنات كامل التركة في حالة فقد الذكور قول مردود لمخالفته للشرع ، ولأن عصبة الرجل هم أهله وذووه والقائمون عليه وقت حاجتهم له ، ولزيادة هذا التكافل الأسري شرع لهم نصيباً مفروضاً •

---

[1] سورة النساء ، آية : (٣٤) •

[2] محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، (١ : ٣٠٨) •

يقول سيد قطب :

" إنـه ـ أي نظـام المواريـث فـي الإسـلام ـ نظـام يراعـي معنـى التكافل العائلي كاملاً فعصبة الميت هم أولـى مـن يرثـه ، لأنـهم هـم كذلك أقرب من يتكفل به ، ومن يؤدي عنه في الديات والمغارم " [1]

فالمطالبة إذن بتغيير هذا النظام بناءً على تغيرات الحياة وتقلبات الزمان تدل على فهم مغلوط ، أثرت فيه شبهة دعاة التغريب ، التـي تصـور أن الديـن الإسـلامي ديـن ديناميكي ومتجـدد ، وقـادر علـى مواكبة العصر ٠

والحق أن توزيع الإرث قد نزلت فيه نصوص قطعيـة لاتحتمـل التأويل والاجتـهاد ٠ وكراهيـة هـذا التوزيـع والقـدح فيـه والمطالبـة بتغييره تغير لشرع الله ، وهذا يخرج بالمسلم من دائرة الإسلام ٠

فإن من نواقض الإسلام :

" من أبغض شيئاً مماجاء به الرسول ﷺ ؛ ولو عمل بـه ؛ فقـد كفر " ٠[2]

والله سبحانه وتعالى حينما شـرع ذلـك، جعـل هـذا الديـن خاتمـة الأديان ، وجعله صالح لكـل زمـان ومكـان ، وهـو أعلـم بماسـيكون عليه حالنا ٠ فتطور الحياة يتناسب مع تشريع العلي العظيم ٠ فحتى وإن خرجت المرأة وعملت ، وكسبت فهي لاتسـتحق المسـاواة معـه في الإرث ، ذلك أن المرأة التي تخرج للعمـل تنفق معظـم ماتكسبه على مستلزمات خروجها ، فهي لاتنتفع بمالها ، فضلاً عن جهدها ، ومايترتب عليه من انشغالها عـن زوجـها وأسـرتها ، ممـايؤدي إلـى

---

[1] في ظلال القرآن ، (١ : ٥٩٦) ٠

[2] عبد العزيز بن باز ، العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام ، دار طيبة ، مكة ــ الرياض ، ص٢٩

تفكك الأسرة ، وانهيار البنيان الاجتماعي ٠

ويرد الأستاذ / البهي الخولي على هذا الزعم بقوله :

" هذا قول باطن البطلان ، خدع به البعض ، ولمحوا به إلى المساواة المأمولة ٠٠ ونظروا إلى خروج المرأة للعمل ، ولم ينظروا إلى ماينطوي عليه ذلك من آفات تعارض الخصائص الروحية ٠٠

ومن هنا نرى فهمهم السطحي لأمور الحياة ولكلام الله ، وبطلان مارتبوه على هذا الفهم الخاطيء " [1]

وقد أعترف بحكمة هذا النظام بعض عقلاء الغرب ٠ أمثال غوستاف لوبون الذي يقول :

" وتعد مباديء المواريث التي نص عليها القرآن بالغة العدل والإنصاف ٠٠٠ ويظهر من مقابلتي بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنكليزية أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات ٠٠ حقوقاً في المواريث لاتجد مثلها في قوانينا" ٠[2]

وممن اعترف بها أيضاً آني بيزنت زعيمة التيوصوفية[*] العالمية في كتابها الأديان المنتشرة في الهند ٠ تقول :

" ولاتقف تعاليم النبي - ﷺ - عند حدود العموميات ، فقد وضع قانوناً لوراثة النساء ، وهو قانون أكثر عدلاً وأوسع حرية من ناحية الاستقلال ، الذي يمنحها إياه من القانون المسيحي الإنجليزي ، الذي كان معمولاً به ٠٠فما وضعه الإسلام للمرأة يعتبر قانوناً نموذجياً ، فقد تكفل بحمايتهن في كل مايملكنه ، وضمن لهن عدم العدوان

---

[1] الإسلام والمرأة المعاصرة ، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ ٠

[2] حضارة الغرب ، ص ٣٨٩ ٠

*تيوصوفيا تطلق على كل نظرية تخلط الفلسفة بالتصوف وترى أن معرفة الله والأشياء المقدسة تستمد من الحياة الروحية وقد قامت في القرن التاسع عشر دعوة إلى تيوصوفية أساسها التعويل على قوة الإنسان الروحية التي تصفو بالمعرفة وتناسخ الأرواح ولاشك أن هذه النظرية مخالفة للإسلام الذي ينكر هذه الأمور ٠ الموسوعة العربية الميسرة (١/٥٧٦) ٠

على أي حصة ممايرثه عن أقاربهن وإخوانهن وأزواجهن "[1] ٠

من كل ماسبق يظهر عدل المشرع وحكمته في فرض هذا النصيب للمرأة المسلمة ٠ ثم إن الاعتراض على أمر من عند الله ليس من صفات المسلمين والمسلمات ٠ قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً ﴾[2]

فموقف المسلم إذن هو التسليم والرضا ٠

ب - في العمل

وضح مما تقدم أن المرأة الأوروبية ولجت ميدان العمل مضطرة إليه ، فقد فرضت ظروف بيئتها عليها ذلك ، فلم تدع مجالا إلا طرقته تحت ضغط العيش والحاجة.ثم بتوالي الأوقات خرجت لتعمل في كل مجالات الحياة ، وبعد فترة غير قصيرة ظهرت الآثار السلبية لخروج المرأة من بيتها ، مما انعكس على الجانب الأخلاقي والاجتماعي ٠ هذا الوضع حدا بالمفكرين رجالا ونساء إلى رفع أصواتهم للمطالبة بعودة المرأة إلى بيتها ، ووضعها الطبيعي ٠

ومن هؤلاء أستاذة في ولاية إنديانا الأميريكية تقول : " يجب أن تتركن تلك الشعارات ، وتعدن لحياتكن الطبيعية ٠ فإن أجمل أوقات المرأة هي مناجاة طفل ، وأحلى سويعات عمرها بيت

[1] مشيخة الأزهر ــ مجلة الأزهر ــ مقالة محمد ﷺ في تقدير قادة الأفكار في أوروبا ترجمة من كتاب الأديان المنتشرة في الهند ،مطبعة الأزهر ، ١٣٥٦هــ ، (٨ : ٢٩١) ٠

[2] سورة الأحزاب ، آية : (٣٦) ٠

ترفرف عليه السعادة الزوجية ،وأشهى ثمرة تقطفها تربية أجيال "[١]

كما طالب برنارد شو بعودة المرأة إلى بيتها ، واعتبر عملها فيه عملا لايمكن الاستغناء عنه أو تعويضه • يقول: " أما العمل الذي تنهض به النساء ، العمل الذي لايمكن الاستغناء عنه ، العمل الذي لايمكن الاستعاضة عنه بشيء آخر ؛ هو حمل الأجنة ، وولادتهم ، وإرضاعهم ، وتدبير البيوت من أجلهم •• وكان عملها في البيت منذ الأزل عملا ضروريا ، وحيويا لبقاء المجتمع ووجوده "• [٢]

وتابعهم في ذلك جول سيمون بقوله :

" يجب أن تبقى المرأة امرأة ، فإنها بهذه الصفة تستطيع أن تجد سعادتها ، وأن تهبها لسواها • فلنصلح حال النساء ، ولكن لانغيرها، ولنحذر من قلبهن رجالا ، لأنهن بذلك يفقدن خيرا كثيرا ، ونفقد نحن كل شيء ، فإن الطبيعة قد أتقنت كل ماصنعته *• فلندرسها ولنسع في تحسينها ، ولنخش كل مايبعدها عن قوانينها وأمثلتها ".[٣]

ولأهمية هذا الموضوع في الغرب اجتمع أعضاء الكونغرس الأميريكي لمناقشة موضوع "منع الأم التي لديها أطفال من الاشتغال مهما كلفها ذلك •

قال عضو منهم : إن الله عندما منح المرأة ميزة إنجاب الأطفال، لم يطلب منها أن تتركهم لتعمل في الخارج ، بل جعل

---

[١] وظيفة المرأة ، ص ١٤٣ •

[٢] الإسلام والمرأة المعاصرة ، ص ٢٣٠ •

[٣] فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، (٨ : ٦١٦) •

* هذا المعنى مخالف لماعليه أهل الإسلام ، من أن الله سبحانه هو خالق كل شيء • وأنه أبدع هذا الخلق وأتقنه ، وأنه أكسب كل مخلوق صفات وامكانات تتناسب مع وظيفته التي خلق لها وصدق الله إذ يقول :" ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى " وماظهرت هذا المقولة في المجتمع الغربي الاهروبا من سلطان الكنيسة المفروض عليه • حيث آمنوا بما ليس له كنيسة ولاسلطة فارضوا بذلك نزعة التدين في النفوس مع تخلصهم من سلطان الكنيسة•

مهمتها في البقاء في المنزل لرعاية هؤلاء الأطفال ٠

وقال آخر : إن المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقا ، إذا بقيت في البيت ؛ الذي هو كيان الأسرة ٠

وقال ثالث : إنه لمن الواجب اتخاذ قرار سريع ، بمنع المرأة التي لديها أطفال دون الثامنة من العمل ٠

وقال رابع : إن الأم كالفيتامين إذا حرم الأولاد منها مرضوا وماتوا واتفقوا في النهاية على السماح للمرأة بالتعليم ، حتى تفيد أولادها مستقبلا ، أما العمل فلا "٠ [1]

ومنهم الكاتبة الأوربية أندريه مورد ، فقد كتبت مقالا بعنوان أية امرأة ذات الكمال ؟ جاء فيه : " إن المرأة ذات الكمال ليست تلك المرأة التي تستطيع أن تفوق الرجل بمجرد العلم والثقافة في ميدان الحياة الاجتماعية ، وإنما المرأة ذات الكمال هي التي استطاعت أن تكون امرأة مخلصة ٠ وفية لزوجها ، امرأة ذات ثقافة وحضارة ، وفي نفس الوقت سيدة المطبخ بالدرجة الأولى ٠ ومعنى هذا الرأي هو أن شروط الكمال في شخصية المرأة ؛ إنما هي الوفاء النسوي ، والتفوق العقلي ؛ مع الاستعداد لتحمل أعباء شؤون البيت " ٠[2]

وهكذا عاد الغربيون إلى نداء الفطرة بضرورة التزام المرأة بعملها وواجبها الأصلي ؛ الذي لاتعد الأمة مكتملة إلا به ٠ ولهذه النداءات وقع علمي وعملي ، فهي ممن سبق في ميدان التجربة خروجا بالمرأة عن بيتها ؛ وإدراكا لهذا الخروج من مضار على الأسرة والأمة بكاملها ٠

---

[1] أنظر المرأة بين الفقه والقانون ، ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ ٠

[2] المواجهة ، ص ١٠٠ ــ ١٠١ ٠

ومع ذلك فإن من متطلبات البحث العلمي أن نقف على مبررات هؤلاء في مطالبهم ، التي لوثوا بها مفاهيم النساء في الشرق ، لننظر عوارها وتفاهتها ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة .

فيكون تفنيد هذه الشبهة على النحو التالي :

أولا : الجدوى الاقتصادية .

لاشك أن المرأة إذا خرجت للعمل ، وساهمت بدخلها في الأسرة ، إنما تعطي فرصة لتنمية دخل الأسرة ظاهريا ، ولكن :

هل هذا الأمر واقع عملي تعيشه الأسرة أم لا ؟ .

وهل هذه الزيادة في الدخل ذات ربح للأسرة أم خسارة ؟

نحن نعلم أن مقياس الربح والخسارة إنما هو فائض المصروفات من الإيرادات .

فعلى افتراض أن كل امرأة عاملة ستساهم بدخلها في بيتها ، نجد أن عملها ألزمها بواجبات ؛ لم تكن فرضت عليها .

فالمرأة العاملة مثلا تحتاج إلى وسيلة مواصلات توصلها إلى مقر عملها . كذلك هي بحاجة إلى خادمة تقوم برعاية بيتها ، وما قصرت هي عن تأديته . كما تحتاج إلى الاستعانة بمربية تقوم على خدمة أبنائها ومباشرة شئونهم ، وكذلك ماتحتاجه من الملبوسات المتعددة لتكرار خروجها . فضلا عن أن معظم النساء العاملات - وفقا لمفاهيم مغلوطة ترسخت في أذهانهن - نراهن يهتممن بمظهرهن ،وينفقن الكثير على أدوات زينتهن أثناء خروجهن للعمل ، مع أن ذلك يتنافي مع متطلبات العمل . فالعمل جهد وعرق، يستلزم الجد والمثابرة ، وهذه أمور تتعارض مع التجمل

والتزين .

كل هذه المتطلبات ألزمت بها المرأة نتيجة خروجها من بيتها للعمل ، وهي بلغة الاقتصاد مصروفات تحسم من إيراداتها ٠

فمثلا : لو أن المرأة العاملة تتسلم كحد متوسط راتبا بمبلغ ٥٠٠٠ ريال وكان أجر السائق لديها ٨٠٠ ريال ، وأجر الخادمة ٦٠٠ ريال ، وأجر المربية ٦٠٠ ريال ، بالإضافة إلى ماينفق عليهم من أجر إقامة وملبس ومأكل ٠ عدا عماتحتاجه من ملبوسات وكماليات ، فقد يصل ماتنفق إلى ١٥٠٠ ريال كحد أدنى ، فإذا نظرنا إلى الغلاء الفاحش في الأسواق النسائية ومتابعة النساء لكل جديد ٠ نجد أن مجمل ماتنفقه المرأة خلال الشهر ٤٥٠٠ ريال على اعتبار أنها تشتري بأقل الأسعار ، وعلى هذا يكون العائد المادي للمرأة العاملة إما معدوما أو لايكاد يذكر ٠

فالقضية إذن بلغة الأرقام قضية خاسرة ، إذ إنها إضافة أعباء أخرى على الأسرة ٠

كذلك فإن الأجر الذي تأخذه المرأة لقاء عملها ، يدفعها إلى الإسراف والتبذير في أمور ثانوية لم تكن تفكر بها من قبل ولافائدة منها ٠ وقد تزيد الانفاق فوق راتبها لشراء كمالياتها ، ممايعني خسارة اقتصادية فادحة ٠

وقد تظن المرأة العاملة أن عملها سيعود عليها بالدخل فيفيض لديها المال ٠ ولكن الواقع ينافي ذلك ٠ فإن الأسرة التي يزيد دخلها تزيد متطلباتها ، فتصبح هذه المتطلبات من الضروريات ، بعد أن كانت تعتبر كماليات بالنسبة لهم ٠ وهكذا كلما زاد دخل الأسرة زاد الاستهلاك ، وترى الأسرة عندئذ تستنفذ مدخراتها أولا بأول ٠

وكثيرمن الأسر التي يعمل فيها الزوج والزوجة معا ، يشكون نفاذ الراتب قبل نفاذ الشهر ٠ فما الفائدة الاقتصادية من عمل المرأة إذن؟!

ولو أن المرأة عملت في بيتها لوفرت كثيرا ، ولكان ذلك مكسبا اقتصاديا واجتماعيا لأنها تباشر أعمالها بنفسها ، فتحرص على وجوه الإنفاق ، ولاتترك هذه الأعمال للخادمات اللاتي يسرفن ولايراعين الحرص على الإنفاق حين غياب الرقيب عليهن من ربة البيت وغيرها ٠

يقول الشيخ الشعراوي :

" فالمرأة التي تريد أن تؤدي مهمتها كربة بيت وزوجة وأم ومربية ، لاتجد من الوقت مايسمح لها أن تعمل ٠ فلتتعلم وتغنينا عن مدرس خصوصي ، أو تتعلم حياكة الملابس لأولادها وتطريزها ٠ فلو نظرت إليها في نشاطاتها في الحياة لوفرت أضعاف ماتأخذه من راتب ، وتوفر علينا تكاليف زينتها ؛ ومتطلباتها في الحياة " ٠ [1]

ويؤكد ذلك دراسة ميدانية للدكتور / حسين شحاتة أستاذ المحاسبة بكلية التجارة جامعة الأزهر : أثبتت أن المرأة العاملة خارج بيتها تنفق من دخلها ٤٠% على المظهر والمواصلات ٠

أما تلك التي تعمل في بيتها فهي توفر من تكلفة الطعام والشراب مالايقل عن ٣٠% ، وخلصت الدراسة إلى أن المرأة التي تمكث في البيت توفر مالايقل عن ٧٠% من الدخل ، بل يمكنها أن تحقق دخلا أكثر مماتحققه الموظفة ، إذ تستطيع أن تحول بيتها إلى ورشة

---

[1] المواجهة ، ص ١٦٠ ٠

انتاجية بأن تصنع في وقت فراغها مايحتاج إليه بيتها ومجتمعها ".[1]

ناهيك عن أن البدائل التي اختارتها الأم العاملة لترعى شئون بيتها في غيابها عنه ، لايمكن أن تسد فراغها.فلايمكن أن تكون المربية في كفاءة الأم ، ولاالخادمة في كفاءة الزوجة ، بل إنهما تتسببان في وجود آثار سلبية نفسية وخلقية على الأطفال .

ثم إن هذه الأعمال المنزلية التي تزهد فيها المرأة العاملة.هل هي أعمال كريمة محترمة أم لا ؟ .

الواقع يثبت وجود عدد كبير من نساء الشرق والغرب مقبلات على امتهان هذه الأعمال المنزلية ، وينظر المجتمع إلى عملهن هذا على أنه عمل شريف ومقبول عرفا وشرعا .

فلماذا يعد هذا العمل كريما وشريفا لهؤلاء النسوة العاملات في حين يعد هذا العمل نفسه تعطيلا لنصف المجتمع حين تقوم به المرأة بنفسها مع أنها الأفضل والأكفأ ؟!

أضف إلى ذلك أن المرأة تتخذ العمل وسيلة لتوفير مستلزمات حياتها .

فإذا توفرت للمرأة هذه المستلزمات الحياتية فما قيمة العمل ؟ فالمرأة المسلمة أمرها الله أن تقر في البيت ، والعمل على إنشاء جيل يعمر الأرض بمنهج الله ، وألزم وليها بتوفير متطلباتها ، ليمكنها من أداء وظيفتها هذه على أتم وجه .

فإذا كان الهدف أخذ عوض لإسعاد الأولاد ، وتوفير جيل صالح . فالأم أحق من يقوم بذلك، وأحق بهذا العوض من أي بديلة عنها .

---

[1] انظر مجلة البنات ، السنة الثانية ، العدد الرابع عشر ، المحرم ١٤٢٠هـ ، تصدرها الرئاسة العامة لتعليم البنات بالمملكة العربية السعودية ، ص٣١ .

فلا أجر يمكن أن يوازي سعادة المرأة بأبنائها ، إذا كانوا تحت بصرها وسمعها ترعاهم ، وتتفقد شئونهم ، هذه السعادة التي تفقدها المرأة العاملة ، حيث تفقد المقومات المعنوية في بيتها ، فلاراحة ؛ ولاسكن ؛ ولاطمأنينة : " فإن أية قيمة مادية بالغة مابلغت ؛ تغدو لغوا باطلا ، إذا وزنت بشيء مما يلتئم عليه شمل الأسرة.من ثمر الروح ،وماأعجب قول الكاتبة الأمريكية : وإذا قيل لنا على نحو تعسفي أن من واجبنا أن نعمل في أي مكان غير المنزل ، فهذا لغو زائف ، فإنه لايوجد عمل يستحق أن يمزق شمل الأسرة من أجله "![1]

ويذكر ذلك " ساموبل سمايلز " بقوله :

" إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في الفابريكا مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد ، فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية ، لأنه هاجم هيكل الأسرة ، وقوض أركان المنزل ، ومزق الروابط الاجتماعية ٠٠ إذ وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية ٠٠ ولكن المعامل سلبتها من كل هذه الواجبات ٠٠ وطفأت المحبة الزوجية ، وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة ؛ والقرينة المحبة للرجل ، وصارت زميلته في العمل والمشاق ، وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالبا التواضع الفكري والأخلاقي ، الذي عليه مدار حفظ الفضيلة " ٠[2]

وعلى هذا فإن العمل الأساسي للمرأة هو عملها في بيتها واهتمامها بأطفالها ، وتنشئتهم التنشئة السليمة ٠

وهذا ماأكدته نشرة مؤسسة الصحة العالمية ٠ تقول : " لاريب

---

[1] الإسلام والمرأة المعاصرة ، ص ٢٢٩ ٠

[2] دائرة معارف القرن العشرين ، (٨ : ٦٣٩) ٠

أن أجل أدوار المرأة في الحياة هو دور الأمومة وتربية النشء ، وهي في هذا الدور ، تمد المجتمع بكل عناصر البناء والتقدم ، وبقدر إخلاصها في هذه المهمة ، يكون المردود جيدا على الأمة بأسرها " . [1]

هذه هي الوظيفة الأصلية والطبيعية لها ؛ المتوافقة مع تكوينها الجسدي والنفسي . فإذا ماتخلت المرأة عنها ، وخالفت فطرتها ، قلت كفاءتها . حيث أثبتت الدراسات أن الأعمال التي لاتتلاءم مع تكوين المرأة ، لايمكن أن تؤديها بنفس كفاءتها وقدرتها على الإنتاج.

ففي دراسة للجهاز المركزي للتنظيم والإدارة ، تحت عنوان المرأة العاملة تدفع ثمن الوظيفة .

يقول د / حسن توفيق رئيس الجهاز المركزي :

" إن دخول المرأة بعض الأعمال ؛ التي لاتتلاءم مع طبيعتها واستعدادها وقدرتها ، جعل كفاءتها الإنتاجية في أداء العمل محدودة.

ويرى الخبراء أن طبيعة ومسؤوليات المرأة كزوجة وأم ، أثرت على كفاءتها وانتظامها في العمل ، وعلى درجة تفرغها ذهنيا ومعنويا لمتابعة عملها ، حتى أن وحدات العمل تشكو من تغيب المرأة ، وكثرة الإجازات الممنوحة لها ". [2]

إذن طبيعة المرأة ووظيفتها الأصلية تؤثر علىالعمل الذي تؤديه المرأة ، ولاشك أن لهذا أثره على اقتصاد الدولة .

فخير للدولة واقتصادها أن تدير وظائفها عمالة أفضل وأكفأ تلك

---

[1] محمد الغزالي ــ قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ، دار الشروق ، ط٦ ، ١٤١٦هـ ، ص١١٧ .
[2] وظيفة المرأة ، ص ١١٢ .

العمالـة التـي تتمثـل بالشـباب القـادرين علـى القيـام بـهذه الوظـائف والمتفرغين لها ٠ وبذلك يتم تنمية إنتـاج الدولـة ، وزيـادة ثروتـها ، وتشغيل شبابها العاطل ، لتحفظه من الانحراف عن الطريق السوي، وتقلـل مـن نسـبة البطالـة بيـن الشـباب ٠ وليتمكـن كـل مـن المـرأة والرجل من أداء وظيفته الأصلية من الموقـع المناسـب لـه ، حسـب إمكاناته وطاقته ، وبذلك تزيد قوة الدولة اقتصاديا ؛ وتستقيم مصلحة الأمة ٠

أثر عمل المرأة خارج البيت على أطفالها :

تعتمد الحياة العائلية على عـدد مـن المقومـات الأساسـية ، التـي تمكنـها مـن أداء دورهـا فـي المجتمـع ٠ لأنـها حجـر الأسـاس فـي المجتمعات ، واللبنة الأولى التي ينشأ منها الطفل ٠

والعائلة السوية ينشأ فيها الأبناء أسوياء أشداء ، حيث يتوفر فيها التوازن والسكن والرعاية والاهتمام من قبـل الأم ٠ فـالطفل خاصـة في سنواته الأولى بحاجة ماسة إلى وجود الأم ، ليشعر معها بالأمان والدفء والطمأنينة ، حيث تتكون لديه القاعدة التي يقوم عليها بنيانه السوي ، والتي تساهم في تكوينه ٠

نضـرب مثـلا علـى ذلـك فـي اهتمـام الدولـة بالجـانب التعليمـي لمواطنيها ، حيث تنفق أموالا طائلة في سبيل ذلك ٠

فلماذا تدفع الدولة كل هذه الأموال بدون مقابل ؟

لاشك أن إنفـاق الدولـة علـى التعليـم مـاهو الا لتنشـيء مسـتقبل الأمة ؛ بعلمائها ومفكريها وشبابها ومواطنيها ٠

ولايمكن أن يقول عاقل أن إنفاقها هذا خسارة لاربح فيـها.إذ إنـه مال مدخر ، حيث تجنيه غدا أضعافا مضاعفة ٠

كذلك المرأة لايمكن أن يقال أن تربيتها لأبنائها خسارة ، وإن لم تأخذ عليها أجرا ، لأنها مال مدخر تجنيه عند كبرها ، فطاعتهم وبرهم لها ، وسؤالهم عنها ، ماهو إلا عرفانا منهم بجميلها ، ولما قدمته لهم من تربية ورعاية ٠

لذا يمكن القول أن أي انحراف أو أثر سلبي في سلوكهم ، ينتج عن إغفال المرأة دورها نحوهم ،وإحضارها بدائل لا يمكن أن تسد فراغها وقد أثبتت التجارب العملية الأثر السيء الذي يمكن أن تحدثه هذه البدائل ٠

وقد أكد ذلك د / إبراهيم خليفة في بحث ميداني بعنوان المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي.يقول :

" إنه قد تبين من نتائج الدراسة الميدانية التي أجريت في دول الخليج أن المعتقدات الدينية للمربيات الأجنبيات ،يمكن ترتيبها على الوجه التالي : المسيحية ، فالبوذية ، والهندوسية ، ثم أخيرا الإسلامية ٠

مما يترتب عليه آثار سلبية بالنسبة للجانب الديني من التنشئة الاجتماعية للأطفال ، لكون عمل المربية وثيق الصلة بالطفل ، واحتكاكها به قوي ، وينعكس ذلك على التمسك بأداء الشعائر الدينية ، واحترام القيم الإسلامية " ٠ [1]

ويضيف قائلا :

" إن نتائج البحث الميداني تشير إلى أن العلاقة الحميمة ، التي تلاحظ بين المربيات والأطفال ، إنما ترجع إلى وجود بعض

---

[1] إبراهيم خليفة ـــ المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ص ٦٣ ـــ ٦٤ ٠

الأساليب التربوية الخاطئة لدى المربية ٠٠ ولاشك أن قيام المربية ببعض وظائف الأم ، وتلبيتها لاحتياجات الطفل من طعام ودفء ونظافة،يجعلها قريبة محببة ومألوفة إلى نفسه ، مما قد يولد لديه اتجاهات وأنماط سلوكية سلبية نحو الأبوين ، وقد يؤدي إلى فقدانه لتوازنه النفسي ، فيشعر بالاغتراب والضياع "٠ [1]

كما أكد البحث علىأثر الخادمات السيء على نمو اللغة والذكاء والقدرات والمهارات لدى هؤلاء الأطفال ، بسبب إهمال الآباء والأمهات ملاعبة أطفالهم ومحادثتهم والإشراف عليهم "٠[2]

مماتقدم تتبين الآثار السيئة التي تنتج عن خروج الأم للعمل وترك الأطفال في رعاية الخادمة ٠

ولعل انحراف الأطفال في الغرب ، وانتشار العنف والسرقة والمخدرات بينهم ؛ أكبر دليل على أثر خروج المرأة للعمل ٠

ففي جونسبورو الأميريكية أقدم تلميذان ، هما ميتشل جونسون (١٣ عاما) ،وابن عمه اندرو غولدن (١١عاما) على إطلاق النار ، الذي أسفر عن مقتل خمسة أشخاص ، وإصابة عشرة آخرين بجروح ٠

ويواجه الصبيان عقوبة قصوى ، تقضي بحبسهما في سجن للقاصرين ؛ إلى أن يفرج عنهمالدى بلوغهما سن الثامنة عشرة "٠[3]

ومن الجرائم التي هزت المجتمع الأمريكي مؤخرا ؛ ماقام به شابان أمريكيان ، هما (ديلان كليبولدا) و (أريك هارس) ١٨ عاما في ٢٠ إبريل ١٩٩٩ م ، حيث شنا هجوما على مدرسة

---

[1] المرجع السابق ، ص ٨٣ ــ ٨٤ ٠

[2] أنظر المرجع السابق ، ص ٦٧ ٠

[3] جريدة عكاظ ، ع ٠ ١١٥٤ ، الجمعة ٢٩/١١/ ١٤١٨هـ ،ص ١٤ ٠

كولومباين الثانوية في دنفر ٠ ونشرا أكثر من عشر قنابل موقوتة ، أدت إلى مقتل ٢٥ شخصا ، وإصابة ٢١ شخصا بجروح بالغة ٠

ويعد هذا الهجوم أسوأ هجوم مسلح خلال الثمانية عشر شهرا المنصرمة ، وهو واحد من أكثر الهجمات دموية في البلاد ٠ [١]

وقد أثارت هذه المذبحة التي أطلق عليها مذبحة معطف المافيا ، ردود فعل غاضبة من جانب المسؤولين الأمريكيين ٠ ودعت المشرعين في الكونغرس إلى المسارعة في وضع مشاريع وقوانين ؛ تجعل من المدارس الأمريكية مكانا آمنا ٠

ولقد لمست النائبة الجمهورية عن ولاية واشنطن جنيفر دان مكمن الداء ، لذا أشارت إلى أنه من الضروري أن يكون الآباء على دراية ، بمايقوم به الأبناء ، معتبرة أن الحل يكمن داخل أسرنا ، وداخل أولادنا أنفسهم ٠ وفي تحليل أسباب هذه المذبحة كتب د / وحيد حمزة هاشم : إن تكفل المؤسسات الاجتماعية بتربية وتنشئة الأجيال الصغيرة منذ عهودها الأولى ؛ ساهم في افتقاد أجيال المستقبل لمشاعر الحب والحنان ، وللزخم الذي يحققنه عامل العطف الأبوي في نفوس الأطفال ٠ فشبت الأجيال على مشاعر الفقدان والقسوة والحرمان النفسي من حب وحنان وعطف الأب والأم في السنوات الأولى " ٠ [٢]

هذه الجرائم ومثلهاكثير يدل على قلة الاهتمام بالأبناء ،وإهمالهم وتركهم في أيدي غير أمينة ،لاتحسن الرعاية والاهتمام لذلك يؤكد علم النفس على : " أن حرمان الحدث من الرعاية السليمة في أسرة

---

[١] جريدة عكاظ ، السنة ٤١ ، ع ١١٩٢٦ ، الخميس ١٤٢٠/١/٦هـ ، ٢٢ابريل ١٩٩٩م ،ص ١٠٠

[٢] جريدة عكاظ ، السنة ٤١ ، ع ١١٩٢٧ ، الجمعة ١٤٢٠/١/٧هـ ٢٣ ابريل ، ١٩٩٩م ، ص ١ ٠

يسودها الوئام والتفاهم ، وتتسم علاقات أفرادها ببعضها البعض بالثقة والمحبة ، قد يدفع به إلى مواطن الزلل ٠ وقد يكون التفكك الأسري ، وسوء العلاقة بين الوالدين ، وانعكاس ذلك على الأطفال والأحداث من أفراد الأسرة من العوامل المساعدة ؛ أو المؤدية إلى الجناح ٠ فالحدث الذي ينشأ أو يعيش في وسط أسري مفعم بالخلافات والمشاكل ، وتتسم العلاقات بين الوالدين وبين أفراد الأسرة بالتفكك وعدم الترابط نتيجة للخلافات الزوجية ٠٠ أو غير ذلك من عوامل التفكك ؛ وفي مقدمتها الاختلال في الحقوق والواجبات الزوجية ، لاشك أنه سينشأ قلقا مضطربا ، وقد يدفع به ذلك إلى الجناح " ٠ [1]

بهذا يتضح أثر الخلافات الأسرية على الأطفال و المجتمع ٠ والمرأة العاملة بخروجها من بيتهاتساهم في تفكك روابط الحياة ، وتكون سببا في كثير من المشاكل التي يمتليء بهابيتها ، فيتحول إلى بيت كئيب ، تكثر فيه الأمراض النفسية لدى الأطفال ٠

تقول أجانا بولي وهي من العلماء المعروفين بحماستهم للدعوة بضرورة تفرغ الأم العاملة لرعاية طفلها الرضيع : " من الأمور الجوهرية لصحة الطفل النفسية ؛ أن تتفرغ الأم لطفلها الرضيع ، وتمنحه معظم وقتها ٠٠ إن ترك الطفل لساعات طويلة ٠٠ لايضمن دائما تمتعه بالرعاية الدافئة الثابتة ؛ التي يحتاجها ، ليس هناك شك في أن ظروفا اقتصادية تضطر الأمهات أن يخرجن للعمل ، ولكن ينبغي أن تتلافى الأم بقدر الإمكان الخروج للعمل ٠٠ ففي خلال

---

[1] محمد سعيد أبو زعرور ــ جناح الأحداث ورعايتهم في دولة الخلافة ، دار البيارق ، ط ١ ، ١٤١٦هـ ، ص ٨٩/٩٠ ٠

عملي ؛ ومن خبرتي كنت أجد الأطفال ذوي المشاكل النفسية ، هم الذين عانوا حرمانا عاطفيا كبيرا في طفولتهم المبكرة ، بسبب غياب أمهاتهم الطويل في أعمالهن " . [1]

وقد أظهرت الدراسات فروقا واضحة بين أبناء العاملات وغير العاملات.إذ وجد أن الميول العدوانية والجناحية موجودة بنسبة أكبر بين أبناء العاملات ، وبدرجة أقل بين أبناء العاملات بعض الوقت ؛ وغير العاملات " . [2]

ويوضح البروفيسور دينيليت أثر عمل الأم على أطفالها بقوله :

" ولا أدل على أهمية الوالدين من الإحصاء ؛ الذي يفجعنا بإثبات أن ٧٥ % من الأحداث المجرمين ؛ لم ينشأوا تحت رعاية أبوية ، لأن أمهاتهم كنا موظفات أو عاملات" . [3]

ذلك أن الأم العاملة لاتجد الوقت الكافي لمراعاة ابنائها ، ومراقبة شؤونهم ،والسؤال عن أوضاعهم ، ممايجعلهم عرضة للزلل والانحراف . ولعل الواقع أكبر دليل على ذلك ، حيث تشهد المجتمعات الإسلامية الكثير من الجرائم ؛ التي يقع فيها الشباب ، وانحرافاتهم الموجودة بصورة ظاهرة .

يقول الأستاذ عدنان الدوري :

" إن الأم العاملة التي تغيب عن بيتها بسبب عملها في خارجه ، تشكل عاملا يسهم في نشوء جناح الأحداث بل إن بعض العلماء يضع عامل اشتغال المرأة خارج البيت بنفس الأهمية السببية لحالة

---

[1] محمد السيد الزعبلاوي ، الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ ، ص ١٨٤ .

[2] محمد سلامة غباري ـ الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ، ص ١٣٥ .

[3] أحمد محمد جمال ـ رفقا بالقوارير ـ مطابع دار الثقافة ، ١٣٨٥هـ ، ص٢٩ .

الأب العاطل عن العمل • وذلك لاعتقادهم بأن غياب الأم عن البيت ؛ هو غياب الرعاية المطلوبة ، واهمال واضح في شؤون إدارة البيت ، والإشراف على حاجات الأسرة ومتطلباتها المعاشية"[1]

من هنا يظهر خطر خروج المرأة للعمل ، وأثره على البيت والمجتمع • فخير للمرأة المسلمة أن تلزم بيتها ، وتراعي رعيتها ،وتقوم بمسؤوليتها • فإن بناء بيتها ومجتمعها أهم بكثير من المال الذي تجمعه ، فالمال لايمكن أن ينفعها في لم شمل أسرتها إذا انهارت ، وفي إعادة الأمن والسعادة والهدوء لبيتها ، وفي حماية مجتمعها المهدد بالأخطار. ففي بحث قامت به كل من مارين وبوني بعنوان " تأثير عمل الأم على الأسرة " تقولان : " في الأعوام الأخيرة مرت الأسرة في تغيرات عاصفة ، أثرت في وظائفها الأساسية • ذلك أن الوقت الذي يقضيه كل من الرجل والمرأة للعمل خارج البيت ؛ قد أنقص الزمن الذي يعيشانه سويا •• وهذا بدوره لم يجعل للنقود التي يحضرها الزوجان من العمل خارج البيت أثرا كبيرا من السعادة الأسرية ".[2]

كماساهم عمل المرأة في تخفيض عدد الأبناء ، حيث تقوم الأم العاملة بتحديد عدد أبنائها ، رغبة في تخفيف المسؤولية الملقاة على عاتقها ، ويظهر ذلك جليا " عند مقارنة الأمهات العاملات والأمهات غير العاملات ذوات الظروف الاجتماعية المتشابهة ، فإن النتيجة الظاهرة هي أن عدد أطفال الأمهات العاملات أقل من عدد

---

[1] عدنان الدوري ــ جناح الأحداث ، ذات السلاسل ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٥٧ •
[2] مها الأبراش ــ الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة ، رسالة ماجستير ، فرع الكتاب والسنة ، جامعة أم القرى ، ١٤١٣هـ ، (٢ : ٦٥٧) •

الأمهات غير العاملات " ٠ [1]

مماتقدم يظهر الأثر السيء الذي تحدثه المرأة بخروجها للعمل " فالأم المكدودة بالعمل للكسب ، المرهقة بمقتضيات العمل ، المقيدة بمواعيده ، المستفرغة الطاقة فيه ، لايمكن أن تهب للبيت جوه وعطره ،ولايمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها ٠٠٠ فحقيقة البيت لاتوجد إلا أن تخلقها امرأة ، وعطر البيت لايفوح إلا أن تطلقه زوجة ، وحنان البيت لا يشيع إلا أن تتولاه أم ٠ المرأة أو الزوجة أو الأم التي تقضي وقتها في العمل ، لن تطلق في جو البيت إلا الإرهاق والكلال والملال " ٠ [2]

فعليك أختي المسلمة المحافظة على بيتك ،وتوفير السكن والمودة والطمأنينة فيه ، ليكون من أعظم الروافد التي تغذي المجتمع بالشباب السوي ٠

ثانياً : التخلص من السيطرة الرجالية :

عندما أضطرت المرأة الغربية للخروج للعمل ، وبدأت تعمل وتكدح لتنفق على نفسها وأطفالها ، بدأ الرجل يتخلى عن مسئولياته تجاه بيته وأسرته ، فلم يعد ذلك الصدر الحاني ؛ والساعد القوي ، الذي يحميها ، ويدافع عنها ،وينفق عليها ٠

من هنا بدأت المرأة الغربية تطالب بالتخلص من السيطرة المفروضة عليها ٠ إذ ليس من العدل والمنطق أن تكدح ،وتتعب ،وتنفق على نفسها ، ثم تكون له الوصاية عليها بعد ذلك ٠ لذا فعلى قدر ماكانت معاناتها على قدرماكانت مندفعة للتخلص من وصاية

---

[1] إبراهيم الجوير ــ عمل المرأة في المنزل وخارجه ،مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، ص ٤٣ ٠

[2] الاخوات المسلمات ص ، ٢٩٠ / ٢٩١ ٠

الرجل . وقد كان لها العذر في ذلك ، لكن عذرها قد انقطع ، بعد أن ظهر لها فساد ماتطالب به .

أما المرأة المسلمة فلاعذر لها في المطالبة بإلغاء وصاية الرجل عليها . إذا قيس ذلك على المجتمع الإسلامي ، فهو قياس فاسد يرفضه الدين والواقع ، لأن واقع المجتمع الإسلامي لم تتوفر فيه الأسباب التي حدث بالمرأة الغربية للمطالبة بالتخلص من سيطرة الرجل عليها .

أما الدين الإسلامي فقد كفل للمرأة حقها في النفقة ، وألزم الرجل بها ، كما كلفه حمايتها ورعايتها ، ولم يحمل المرأة مسئولية الإنفاق على نفسها أو غيرها ، حتى لايضطرها للعمل ، ويفقد الرجل قوامته على الأسرة المسلمة .

فالله سبحانه وتعالى خلق الرجل والمرأة ووهبهما من الإمكانات مايتفق مع ماكلفهما من أعمال ، بحيث يكون كل منهما مكمل للآخر.

فجعل وظيفة المرأة رعاية النشء ؛ وإعداد الرجال . ومن المعلوم أن من الأولويات لدى الأمة الإسلامية إعداد شعب قادر على استعمار الأرض .

وفق المنهج الرباني ، فالإنسان إذا كان صالحا فهو أعظم إستثمار ؛ ومن أعظم الطاقات التي تستفيد منها الأمة .

ولتتمكن المرأة من إمداد الأمة بهذا الإنسان الصالح فقد كلف الدين الإسلامي الرجل بالقوامة عليها لحمايتها ورعايتها والإنفاق عليها .

قال تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ

بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [1]

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :

" أي الرجل قيم على المرأة : أي هو رئيسها وكبيرها ، والحاكم عليها ،ومؤدبها إذا اعوجت ٠ لأن الرجال أفضل من النساء ،والرجل خير من المرأة ٠ ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال ، وكذلك الملك الأعظم وكذا منصب القضاء وغير ذلك ٠ (وبماأنفقوا من أموالهم) ٠٠ أي من المهور والنفقات والكلف ، التي أوجبها الله عليهم لهن٠٠ فالرجل أفضل من المرأة في نفسه ، وله الفضل عليها والإفضال ، فناسب أن يكون قيما عليها " ٠ [2]

وفي التفسير الكبير يقول الفخر الرازي :

" القوام : اسم لمن يكون مبالغا في القيام بالأمر ، يقال هذا قيم المرأة وقوامها : للذي يقوم بأمرها ، ويهتم بحفظها ٠٠ (الرجال قوامون) : أي مسلطون على أدبهن ، والأخذ فوق أيديهن ٠

فكأنه تعالى جعله أميرا عليها ، ونافذ الحكم في حقها ٠٠ثم إنه تعالى لماأثبت للرجال سلطنة على النساء ، ونفاذ أمرهم عليهن ، بين أن ذلك معلل بأمرين : أحدهما قوله تعالى :﴿ بمافضل الله بعضهم على بعض ﴾ ، والمسلَّم أن فضل الرجال على النساء حاصل من وجوه كثيرة ، بعضها صفات حقيقية ، وبعضهاأحكام شرعية ٠ أما الصفات الحقيقية ، يرجع حاصلها إلى أمرين ،إلى العلم وإلى القدرة ٠ ولاشك أن عقول الرجال وعلومهم أكثر ، ولاشك أن قدرتهم على الأعمال الشاقة أكمل ٠ فلهذين السببين

---

[1] سورة النساء ،آية : (٣٤) ٠

[2] تفسير ابن كثير ، (١ : ٥٣٧) ٠

حصلت الفضيلة للرجال على النساء في العقل والحزم والقوة ، وفي الأنكحة ٠٠ وزيادة النصيب في الميراث ٠٠والولاية ٠

(والسبب الثاني) لحصول هذه الفضيلة : قوله تعالى : (وبماأنفقوا من أموالهم) ، يعني الرجل أفضل من المرأة ، لأنه يعطيها المهر ، وينفق عليها " ٠ [1]

وجاء في تفسير أبي السعود قوله :

" الرجال قوامون على النساء : أي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهن ،أو ملتبسين بتفضيله تعالى ٠ ومن صفات كماله ٠٠ كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأي ومزيد القوة في الأعمال و الطاعات ٠ ولذلك خصوا بالنبوة ، والإمامة ،والولاية ، وإقامة الشعائر ، والشهادة في جميع القضايا ، ووجوب الجهاد ، والجمعة ، وغير ذلك ٠ (وبما أنفقوا من أموالهم) ٠٠ أي وبسبب إنفاقهم من أموالهم ، أو كائنا من أموالهم ، وهو ماأنفقوه من المهر والنفقة " ٠ [2]

من خلال تفسير هذه الآية يظهر أن للقوامة سببين :

أولا : تفضيل الله سبحانه وتعالى الرجال على النساء ٠

خلق الله سبحانه وتعالى الرجل والمرأة ، وجعلهما متكاملين ، ولم يجعلهما متماثلين ، لتسير دفة الحياة وفق نظام مستقر ٠ فالمرأة جزء من الرجل ، تكمله ويكملها ،ولكن مهمة كل واحد منهما تختلف عن مهمة الآخر ٠

---

[1] الفخر الرازي محمد بن عمر بن حسين القرشي الشافعي ، التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، طهران ، ط٢ ،(١٠: ٨٧ ـ ٨٨) ٠

[2] محمد محمد العمادي ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار المصحف ، (٢ : ١٧٣ ـ ١٧٤) ٠

وجعل العلاقة بينهما قائمة على المودة والرحمة :

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]

هذا التصوير العظيم لهذه العلاقة يجعل من المرأة والرجل وحدة متكاملة ، ولكن كل في مجاله .

أما محاولة تصوير هذه العلاقة على أنها صراع لاينتهي بين المرأة والرجل ، ففيه تجن على الحقيقة ، وهو ضد مصلحة الرجل والمرأة ، بل والمجتمع الإسلامي كله ، فالمسألة مسألة تنويع اختصاصات فحسب .

يقول سيد قطب :

" خلق - الله - كلا من الجنسين على نحو يجعله موافقا للآخر ملبيا لحاجته الفطرية نفسية وعقلية وجسدية بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار ، ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء والمودة والرحمة ، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر ، وائتلافهما ، وامتزاجهما في النهاية ، لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد "[2]

ويقول في موضع آخر :

" والحق أنه لاصراع بينهما ، فالمرأة إنسان خلقت لإنسان ، ونفس خلقت لنفس ، شطر مكمل لشطر ، وإنهما ليسا فردين متماثلين ، إنما هما زوجان متكاملان " .[3]

---

[1] سورة الروم ، آية : (٢١) .

[2] في ظلال القرآن ، (٥: ٢٧٦٣) .

[3] المرجع السابق ، (١ : ٥٧٤) .

ومع هذا التكامل بينهما إلا أن الله سبحانه وتعالى جعل الأفضلية للرجال ٠

قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1]

وتفضيل الله لهم نابع من الإمكانات المتوفرة فيهم ، وليست لمكتسبات يكتسبها الرجل ٠

يقول د / مصطفى عبدالواحد :

" مماتقتضيه الفطرة أن يكون الزوج قائدا للبيت ، وراعيا ومسئولا عن القيام بحاجاته.فهو يعد لذلك بأصل الخلقة ، إذ إنه أقوى بدنا ، وأشد عزما ؛ وأقدر على الكفاح والتحمل من المرأة ٠ فإن المرأة لاتحس بالأمن إلا في ظل رجل ، سواء كان أباها أو أخاها أو زوجها ، ولاتهدأ مشاعرها ولايستقيم كيانها إلافي حماه.ومهما حازت من ذخائر ، وحققت من رغبات فإن حاجتها إلى حماية رجل وقوامته أمر فطري ، لايغالب ٠ وليس الأمر مفاخرة بين كائنين ، ولا مفاضلة بين مخلوقين ، فلكل منهما مزاياه وخصائصه ؛ التي لايستغنى عنها الآخر ٠ ولكن الأمر تحديد للمسئولية ، وتكليف للقادر ، وإعفاء للضعيف من تحمل الجهد "٠ [2]

إذن فالتفضيل جاء نتيجة إمكانات وهبية وليست كسبية ، وهبها الله للرجال دون النساء ، لأن ماكلف به الرجل يستلزم هذه الإمكانات ، أما وظيفة المرأة فتتناسب معها إمكانات أخرى مختلفة تماما ٠

---

[1] سورة البقرة،آية : (٢٢٨) ٠

[2] مصطفى عبد الواحد ــ الأسرة في الإسلام ، دار البيان العربي بجده ، ط٤ ، ١٤٠٤هـ ، ٦٨ ــ ٧٠ ٠

فقد : " أعدت المرأة لدورها ، كما أعد الرجل لدوره • فالمرأة مزودة بالرأفة والعطف وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة ، وهذه المطالب ليست سطحية ، بل غائرة في التكوين العضوي والعصبي والعقلي والنفسي للمرأة • ودور الرجل الخشونة والصلابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة ، وهو بطيء الانفعال ،وذلك لأن وظائفه كلها تحتاج إلى قدر من التروي وإعمال الفكر • وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة ؛ وأفضل في مجالها " • [1] من خلال هذه الإمكانات كلف الله سبحانه وتعالى الرجل بالسعي والعمل والكدح لإعالة من تجب عليه إعالتهم ،ومن هنا كان التفضيل •

وقد اعترفت بذلك كاتبة إنجليزية تقول :

"من السخافة وقلة العقل أن تحاول الزوجة سلب قوامة الزوج وسلطته الطبيعية ، لأن المرأة منذ أن جاءت إلى هذه الدنيا ، أصبحت بطبيعتها تطيع زوجها ،وتخضع له • وأضافت : ومع أن هناك بعض الرجال الأنذال ؛ يريدون أن يستعملوا القوامة للإساءة بالمرأة وشقائها ، فإن هناك ملايين من الرجال يحافظون على حقوق النساء واحترامهن ؛ مع المحافظة على قوامتهم وسلطتهم الطبيعية ". [2]

ثانيا : الإنفاق :

أعطى الله الرجل حق القوامة لسبب آخر وهو الإنفاق •فإذا أنفق الرجل على بيته وأهله ، ورعى شؤونهم ، كان له حق الطاعة

---

[1] وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني ،ص ١٧٢ •

[2] المواجهة ، ص ١٠٢ •

والقوامة في البيت • فليس من العدل أن ينفق الرجل على المرأة ، سواء في إعطاء المهر أو الكلفات أثناء الحياة الزوجية ، ثم لاتأتمر بأمره ، و لا تنتهي بنهيه ،ولاترضى بقوامته •

فللمنفق إذن حق القوامة • وعلى هذا نجد أن الرجل هو المكلف شرعا بالإنفاق على أهله ، ليستحق درجة القوامة ؛ التي جعلها الله له .

يقول الجوهري :

" إن تكليفه بالإنفاق •• يجعله أولى بهذه القوامة ، فإن تدبير المعاش للأسرة ومن فيها ، داخل في هذه القوامة ، والإشراف على تصريف المال فيها ؛ أقرب إلى طبيعة وظيفته فيها • إنها قوامة لها أسبابها من التكوين والإستعداد ، ولها أسبابها من توزيع الوظائف والاختصاصات ،ولها أسبابها من العدالة في التوزيع من ناحية ، وتكليف كل شطر في هذا التوزيع بالجانب الميسر له ، والذي هو معان عليه من الفطرة " •[1]

نخلص من هذا أن الله سبحانه وتعالى جعل القوامة للرجل بناء على فضله في الرجولة ، وعلى إنفاقه • ولاشك أن نظام القوامة نظام له أهميته ، إذ يعد قاعدة تنظيمية ، يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي ، فالقوامة مسئولية وتكليف ، تضاف إلى الأعباء التي يقوم بها الرجل •

ولكن دعاة المساواة صوروا هذه القوامة بالقهر والسيادة والاستعباد ، لإهدار كرامة المرأة وإلغاء شخصيتها •

وقد انخدع بذلك كثير من المسلمات فحسبن أن هذه الصورة هي

[1] الأخوات المسلمات ، ص ٢٩٧ •

الحقيقة ،وقد ساعد على تأصيل هذه الفكرة لديهن ، وجود بعض السلبيات من رجال أهملوا نساءهم ، وتخلوا عن القوامة ، ولكن ليس لهذه النماذج الشاذة تأثير في تغيير حكم الدين ، وتشويه صورته٠ حيث لايمكن أن يوجد مجتمع مستقيم خال من العيوب والأخطاء ، وعلى هذا فلاتعتبر هذه النماذج قاعدة ، يعتمد عليها دعاة المساواة

وقد كان لهذا التصور الفاسد أثره على المجتمع الإسلامي ، وعلى المرأة المسلمة خاصة ، فحرم المجتمع منبع الرحمة والدفء، وحرم الأولاد حنوها ورأفتها ، وحرم الزوج السكينة النفسية والمودة والرحمة التي جعلها الله بينهما ٠ بل تعدى ذلك الأثر إلى المرأة نفسها ، حيث إنها لم تكسب بالخروج إلى العمل حقا لها ، بل أضافت إليها عبئا كانت في غنى عنه :" فإن تحمل المرأة مسؤولية نفقتها على نفسها ، وتحميلها تأمين دخل لها ، تلبي به حاجاتها المستمرة ، يشكل قيدا قاسيا ، يأخذ من طاقتها وجهدها وعافيتها ، ويأخذ من وقتها وعمرها ٠ كما أن حرمانها من الحماية ، يحرمها الأمن ٠ وحرمانها من الأمن ، ينشيء عليها قيودا من الخوف والقلق وعدم الاستقرار ٠ وبالتالي يؤدي إلى خلل كبير ٠ وجسيم في بنية الأسرة ، ولاعلاج إلا بالرجوع إلى منهج الله "٠ [1]

وقد أثبت العلم فساد مايدعون إليه من المساواة المطلقة ، بناء على عدم الاختلاف بين الرجل والمرأة ٠

يقول د / الكسيس كاريل في كتابه الإنسان ذلك المجهول :

" إن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لاتأتي من

---

[1] مجلة الدعوة ــ العدد ١٤٥١ ــ ٢٠ / صفر / ١٤١٥هـ ، ص ٣٩ ٠

الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ٠٠ ، إذ إنها ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك ، إنها تنشأ من تكوين الأنسجة ذاتها ، ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محددة يفرزها المبيض ٠

ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا ، وأن يمنحا قوى واحدة ومسئوليات متشابهة ٠ والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل ، فكل خلية من خلايا جسمها ، تحمل طابع جنسها ، والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها ، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي ٠٠ فليس من الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها ، ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كماهي ٠

فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن ، دون أن يحاولن تقليد الذكور ، فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال ، فيجب عليهن أن لايتخلين عن وظائفهن المحددة " ٠ [1]

ولكن لابد أن نقرر أن هذا الاختلاف لاينقص من قدر المرأة ومكانتها ، إذ إن وظيفة المرأة التي تقوم بها من أهم الوظائف ولايستطيع ، أي رجل مهما كانت كفاءته من القيام بها على وجهها الأتم ٠

وقد أجمع المربون على أهمية المرأة في المجتمع .

" يقول سيملس : للمرأة في تهذيب النوع الإنساني أكثر مما لأي أستاذ فيه ، وعندي أن منزلة الرجل في النوع منزلة المخ من البدن ٠ ومنزلة المرأة فيه منزلة القلب ٠٠٠

ويقول روسو : يكون الرجال كما تريد النساء ، فإذا أردت أن

[1] الكسيس كاريل ــ الإنسان ذلك المجهول ، ص ١٠٨ ــ ١٠٩ ٠

تجعل الرجال من ذوي الهمة والفضيلة ، فعلم النساء الهمة والفضيلة " .[1]

إذن أهمية المرأة في أدائها لدورها ، وأهمية الرجل في أدائه لدوره . وأي اختلال في أداء الأدوار بينهما ، ستختل الموازين ، ويضطرب المجتمع ،ويسير إلى الإنهيار .

ولإقامة مجتمع سليم يسير وفق منهج الله ، لابد وأن ترضى المرأة بماوهبها الله ، وألا تحاول التطلع إلى مركز الرجل وقوامته أو تحاول تبني دوره والقيام به .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[2]

"وهكذا يقطع الإسلام التفكير في هذا النوع المدمر من المساواة ، ويمنع الاشتغال به إلى حد التمني ، لماقد يحمل بعضهن إلى التمرد على وظائف الأنوثة .

ويفسدن مقاصد الفطرة ،ويعارضن إرادة الله .. فمن كانت تريد الأجر ، فسبيله مايسرها الله له .. ومن كانت تريد مجرد التشبه بالرجال ، فهو محاولة لتغير خلق الله ، وسعي لمسخ وإبطال سنة من سنن الله في خلقه . لذا يجب أن تظل المرأة قائمة على وظائف الأنوثة ، وأن يظل الرجل رجلاً قائما بمايسره الله له ، فذلك هو منطق السنن ؛ وسبيل عمارة الكون ".[3]

---

[1] عمر كحالة ، المرأة في عالمي العرب والإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ، (٢ : ١١٧) .

[2] سورة النساء ، آية : (٣٢) .

[3] الأخوات المسلمات ، ص ٢٩٥

ثالثا : مظهر من مظاهر التقليد

تبين لنا من الخلفية التاريخية لخروج المـرأة الغربيـة مـن بيتـها للعمل ؛ أنه كان ضرورة ، اقتضاها الظرف الذي عاشت فيه • فقـد خرجت مرغمة كارهة ، لتنقذ نفسها وأطفالـها مـن بواثـن المـوت ، ولم يكن خروجها تقليدا لأحد •

فهل يحق للمـرأة المسـلمة التـي لـم تتعـرض لـهذه الظـروف أن تقلدها في ذلك ؟ !!

إذا نظرنا إلى مفهوم التقليد شرعا نجد :

أنـه هـو " ماسـلكه المسـلمون مـــن غـير إدراك ولا وعـي ولا تمحيص من اتباع الكفار ، والأخذ منهم ، والتشبه بهم " [1]•

فالتقليد على هذا قائم بدون إدراك ؛ أو تفنيد الوضع ؛ أو معرفـة إيجابياته وسلبياته.إنما هو تقليد من أجل التقليد والمحاكاة فحسب •

ولا شك أن ذلك ناتج عن عقدة النقـص لـدى النسـاء المقلـدات ، فشعورهن بالنقص وبأن المرأة الغربيـة هـي المتحضـرة المتمدنـة ، دفعهن إلى تقليدها دون النظر إلى ماجنته المرأة الغربية على نفسـها بذلك الخروج •

أما بالنسبة لحكم التقليد :

فقد فصل القول فيه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فجعله علـى ثلاثة أقسام :

أولا : التحريم . وفرعه إلى ثلاثة فروع :

أ- الإعراض عما أنـزل الله ، وعـدم الالتفـات إليـه ، اكتفـاء بتقليد الآباء •

---

[1] ناصر عبد الكريم العقل – التقليد والتبعية وأثرها في كيان الأمة الإسلامية ، ص ٥٦ .

ب- تقليد من لايعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله ٠

جـ – التقليد بعد قيام الحجة ، وظهور الدليل على خلاف قول المقلد٠

ويعقب على ذلك بقوله :

فإذا بطل التقليد بكل ماذكرنا ، وجب التسليم للأصول ؛ التي يجب التسليم لها ، وهي الكتاب والسنة ، وما كان في معناهما بدليل جامع ٠

ثانيا : تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله ، وخفي عليه بعضه

فقلد فيه من هو أعلم منه.فهذا محمود غير مذموم ، ومأجور غير مأزور ٠

ثالثا : أما التقليد الواجب.فهو تقليد من هو أعلم ، إذا لم يظفر المرء بنص عن الله ورسوله.فإن التقليد إنما يباح للمضطر ٠ أما من عدل عن الكتاب والسنه وأقوال الصحابة ، وعن معرفة الحق بالدليل ؛ مع تمكنه منه إلى التقليد ، فهو كمن عدل إلى الميتة مع قدرته على المذكى ، فإن الأصل أن لايقبل قول الغير ؛ إلا بدليل عند الضرورة "[1] ٠

إذا نظرنا إلى واقع المرأةالمسلمة في تقليدها للمرأة الغربية قياسا على حكم التقليد عند ابن القيم ، نجد أن المرأة المسلمة لم تبذل جهدها في اتباع ما أنزل الله ، إذ أنها لو اتبعت ما أمرها الله به في كتابه وسنة نبيه ﷺ لأغناها ذلك عن اتباع المرأة الغربية وتقليدها ٠

ولكنها بذلت جهدها في تقليد المرأة الغربية ، سواء فيما يتوافق

[1] إعلام الموقعين عن رب العالمين ، (٢: ١٦٨-١٦٩ ، ٢٤١) ٠

مع دينها أو ما يخالفه ٠ كذلك لا تعد المرأة الغربية أهلا لأن تقلد ، لأنها إذا كانت قد أقدمت على أمر أو قامت بسلوك ؛ فإن ذلك ينبع من البيئة التي تعيش فيها، والدين الذي تعتقده ٠

ولا شك أن ذلك لايتفق مع ديننا ؛ الذي نعتقده كمسلمين ، ولا البيئة التي نعيشها ، ولا الأعراف التي نأخذ بها ٠

أضف إلى هذا أن الدليل قد قام على فساد حال المرأة الغربية ، وقد علت أصوات العقلاء منهم ؛ تطالب بعودة المرأة إلى بيتها ، لما جناه خروجها على الأسرة والمجتمع ٠

ثم ماهو وضع المرأة الغربية في العمل حتى تسعى المرأة المسلمة لتقليدها ؟ ٠

لاشك أن واقع المرأة الغربية في العمل واقع مزري ، ويعد وصمة عار في جبين الحضارة الغربية ٠ فأي كرامة لها حين تعمل كانسة شوارع ، أوفي تنظيف البيارات ؟ وأي احترام لها حين تعمل مع الرجال في مصانع الصلب والحديد ومناجم الفحم وغيرها من الأعمال الشاقة ، التي لاتليق بمكانتها ، ولا تتلاءم مع طبيعتها ٠

أما المرأة المسلمة فقد أكرمها الله سبحانه وتعالى ، وأعلى قدرها ، وأعفاها من الكدح والسعي ، وألزم بها الرجل ، سواء كانت بنتا أو زوجة أو أما ، وإن فقدت المنفق والمعيل ؛ فقد ألزم الإسلام بيت المال بإعطاء المحتاجين ما يحقق لهم حد الاكتفاء على الأقل ٠

ومع هذا فإن الإسلام لم يمنع المرأة حق العمل ، فحقها ثابت في الدين الإسلامي ٠ فهذه سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد ﷺ كانت في خدمة بيتها وزوجها وبنيها حتى شكت من أثر

الرحى ٠

روى البخاري في صحيحة : أن عليا رضي الله عنه قال : " إن فاطمة عليها السلام شكت ماتلقى من أثر الرحى ، فأتى النبي ﷺ سبي ، فانطلقت ، فلم تجده ، فوجدت عائشة ، فأخبرتها ٠

فلما جاء النبي ﷺ ، أخبرته عائشة بمجيء فاطمة ٠ فجاء النبي ﷺ إلينا وقال : ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني ، إذا أخذتما مضاجعكما،تكبرا أربعا وثلاثين ، وتسبحا ثلاثا وثلاثين ، وتحمدا ثلاثة وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم " [1]٠

وكذلك كانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، تعمل في خدمة بيتها وزوجها الزبير* ٠

تقول رضي الله عنها : " تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ، ولا مملوك ، ولاشيء غير ناضح وغير فرسه.فكنت أعلف فرسه ، وأستقي الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن ٠٠ وكنت أنقل النوى من أرض الزبير ٠٠ على رأسي "٠ [2]

هذه بعض الصور من عمل الصحابيات رضي الله عنهن ، تثبت أن الإسلام أباح للمرأة العمل ، وفي ذلك مراعاة لحالها ٠

إذ قد ترغب المرأة بقضاء وقت فراغها بالعمل النافع لها ولمجتمعها ، أو قد تكون في حاجة لمساعدة من يعولها ، أو قد تعول نفسها ، إذا لم يكن لها عائل ٠ ولكن حماية للمرأة ورحمة بها ،

---

[1] صحيح البخاري ، (٤ : ٢٠٨)، باب فضائل الصحابة ، مناقب علي بن أبي طالب ٠

[2] صحيح البخاري (٦: ١٥٦- ١٥٧) كتاب النكاح ، باب الغيرة ٠

* الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي ، حواري الرسول ﷺ ، وابن عمته ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ٠ أسلم وله أثنتا عشرة سنة ، هاجر الهجرتين ٠ قتل يوم الجمل ، بعد أن انصرف سنة ست وثلاثين ، وله ست أو سبع وستون سنه ٠
الإصابة ، (١: ٥٤٥- ٥٤٦)٠

وضع الإسلام لعملها ضوابط، لابد وأن تراعيها :

أولا : أن يكون العمل في حاجة ماسة للنساء ٠ كالتوليد والطبابة للأمراض النسائية، والتعليم في مدارس البنات وغيرها من الأعمال التي تحتاج لوجود المرأة ٠ فمثل هذه المرافق ينبغي أن تقوم بها طائفة من النساء لسد حاجة المجتمع الإسلامي.وهذا يعد من الواجبات الكفائية ، التي إذا قام بها البعض سقطت عن الآخرين ٠

ثانيا : أن يكون العمل مراعيا لطبيعة المرأة،فلا يخرج بهاعن فطرتها وإمكانياتها ٠ حيث أن التركيب التشريحي والوظيفي للمرأة قد بني لتبقى المرأة في المنزل ، تؤدي وظيفتها العظيمة ، التي أناطها الله بها وهي الحمل والولادة ؛ وتهيئة البيت ؛ وتربية الأطفال٠ فإذا ما خرجت من بيتها ، فلا بد من توافق العمل مع الطبيعة ، لتتمكن من أداء العمل بكفاءة وجدية ٠

يقول د / **إبراهيم الجوير** " مدنية الإسلام وحضارته العريقة لاترضى للمرأة غير الانسجام الكامل مع قوانين الفطرة ، هذه القوانين التي لا تكره المرأة على ما لايتفق مع كرامتها كإنسان ، ومع تركيبها اللطيف كأنثى ، فهو بذلك يفتح لها الباب للتخصص الملائم على مصراعيه ، لتكون الطبيبة النسوية مثلا والخبيرة الاجتماعية ، والمربية المدرسية ، وما إلى ذلك من مثل هذه الأعمال،التي لايكون نجاحها على حساب البيت والأمومة ، بل ربما كان البيت والأمومة ينبوعا يتدفق بالإلهام الخير للسمو بهذه الأعمال " [1] ٠

ثالثا : لابد من رضا الزوج عن عمل المرأة ، لأن طبيعة العمل

---

[1] عمل المرأة في المنزل وخارجه ، ص ١٠١ ٠

قد تخل بحقوق الزوج ، فيحدث بعض التقصير ، فيكون ذلك الرضا أدعى في أن يتغاضى الزوج عن ذلك ، مع إلتماس العذر لها ، مما يساهم في دفع مسيرة الحياة بينهما بكل هدوء وسكينة .

رابعا : أن تلتزم المرأة المسلمة في عملها بالضوابط الأخلاقية ، التي فرضها عليها الإسلام ، صيانة لها من الانحراف ، وحفظا لسمعتها وكرامتها ، فتبتعد من الأعمال التي يتخللها التبرج والاختلاط بالرجال والخلوة معهم ، لمالها من آثار سيئة ، ومفسدة للمجتمع والأعراض .

بهذه الضوابط حافظ الإسلام على المجتمع من أسباب التصدع والانهيار ، بحيث يبقى مجتمعا نقيا يقوم على الطهر والعفاف .

وبعد هذا

فأيهما أحق بالتقليد المرأة المسلمة أم المرأة الغربية ؟!

حينئذ نقول : إنه لا حق للمرأة المسلمة أبدا في التقليد الأعوج المذموم .

وكان الأحرى بها أن تقلد ما يتفق مع فطرتها ، ويتوافق مع دينها ، فتقلد المطالبين بالعودة إلى البيت .

فخير لها أن تختار ما اختاره لها ربها : ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[1] وتعتبر بما تجره المرأة الغربية على نفسها من ويلات الدمار ، وتحافظ على قدرها وكرامتها التي حفظها لها دينها

رابعا : التخلص من ربقة القيود :

كانت المرأة الغربية تعاني من شدة القيود المفروضة عليها في المجتمع الغربي ؛ حيث حرمت من أبسط حقوقها فليس لها حق

---

[1] سورة الملك ، آية : (١٤) .

التصرف بمالها إلا بإذن زوجها وحتى وقتنا الحاضر فهي محرومة من هذا الحق ٠

فالقانون المدني الفرنسي " يلزم المرأة المتزوجة الحصول على موافقة الزوج الكتابية ؛ عند قيامها ببيع شيئ من أموالها أو شراء شيئ بأموالها (م ٢١٧) ، بل لاتستطيع أن ترفع دعوى أمام القضاء إلا بموافقته (م٢١٥) " [1] ٠

كما حرمت المرأة الغربية من استقلالها الذاتي ، فما أن تتزوج حتى تصير تابعة لزوجها ، وتميع شخصيتها في شخصيته فلا يكون لها شخصية مستقلة ، فتفقد اسم عائلتها ، وتتبع عائلة زوجها٠ لهذا حق للمرأة الغربية أن تطالب بكسر هذه القيود ٠

يقول أبو الأعلى المودودي :

" إنما أراد أولئك أن يتخذوا هذا التصور المتطرف أداة لمنع تلك الشدائد الظالمة ، ولفك تلك القيود الثقيلة غير العادلة ،التي كانت توجد في مجتمعهم ٠ ولكن تأصل هذا التصور آخر الأمر في الذهن الغربي ، وأصبح ينمو ويزكو ويؤتي أكله " [2] ٠

إذن المرأة الغربية لم تنادي بالتخلص من القيود إلا نتيجة الضغوط الواقعة عليها ، والأزمات التي عاشتها ، وكان لها الحق في بداية أمرها ٠

أما بعد أن ظهرت لها السلبيات والمغالطات الفطرية ، تحتم عليها الاستجابة لنداء الفطرة ونداء المصلحات الاجتماعيات ، اللاتي يطالبن بترك العمل وعودة المرأة إلى البيت ٠

---

[1] سالم البهنساوي ، مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية ، دار القلم ، الكويت ، ص ٢٢٩ ٠
[2] أبو الأعلى المو دودي ، الحجاب ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٨هـ ، من ٥١- ٥٢ ٠

أما المرأة المسلمة فلا يحق لها أبدا أن تطالب بالتخلص من القيود ، إذ إنها لم تعش واقع المرأة الغربية ، فقد أكرمها الإسلام وحفظ لها حقها في البيع والشراء والرهن والتصرف بأملاكها من غير أن يحق لزوجها الاعتراض عليها ٠

كما أن الإسلام جعل لها حق الاحتفاظ باسمها واسم عائلتها ، ولو ارتضت المرأة أن تفقد شخصيتها ، وأن تنتسب إلى زوجها ، لايبيح لها الإسلام ذلك ، قال تعالى :

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ٠[1]

ومن تكريم الإسلام لها أنه لم يترك لها الحرية المطلقة ، التي تجعلها تتخبط في دياجير الفوضى والتحلل والفساد ، بل حافظ عليها بقيود تحميها ، وتحقق لها حياة كريمة ، تحافظ فيها على كرامتها وسمعتها ٠

وهذه القيود إنما هي سنة من سنن الله الكونية ، فالحياة لاتستقيم بدون نظام ، وهذه الضوابط الأخلاقية ؛ هي من الفطرة السليمة التي جاء الإسلام ليؤكدها ، ويؤصل قواعد الأدب والمروءة ٠

أما المرأة التي تطالب بالتفكك من هذه الضوابط الأخلاقية ، إنما هي امرأة متحللة ، لايسمع لقولها ٠ لأن هدفها منه إفساد المجتمع المسلم ، وإشاعة الفاحشة فيه ٠ فللحرية المطلقة أثرها السيء على المرأة والمجتمع ٠

ولعل أول من اصطلى بنارها المرأة الغربية نفسها والمجتمع الغربي ٠

هذه النار دفعت العقلاء منهم للمطالبة بالضوابط التي تحد من

---

[1] سورة الأحزاب ، آية : (٥) ٠

الحرية ، والإشادة بالمجتمع الإسلامي الذي يحافظ عليها ٠

تقول الكاتبة الأمريكية [هيللين ستانستيري] :

" إن المجتمع العربي – الإسلامي – كامل وسليم ، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده ؛ التي تقيد الفتاة والشباب في حدود المعقول ٠ وإن هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي ، فعندهم تقاليد موروثة تحتم تقيد المرأة ، لهذا أنصحكم أن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم ، قيدوا حرية الفتاة ، فهذا خير من إباحية وإنطلاق أوروبا وأمريكا ٠ لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعا معقدا مليئا بكل صور الإباحية والخلاعة ، وإن ضحايا الحرية قبل سن العشرين يملؤون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية ٠

إن الإباحية والحرية في المجتمع الأمريكي والأوروبي هدد الأسرة ، وزلزل القيم الأخلاقية " [1] ٠

وتابعتها في ذلك الكاتبة الشهيرة (مس أني رود) في مقالة لها ، إذ تقول " لإن يشتغل بناتنا في البيوت خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل ، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد ٠ ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهر ٠ تنعم المرأة بأرغد عيش ، ولا تمس الأعراض بسوء ٠

نعم إنه لعار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل ، فما بالنا لانسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها

---

[1] وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني ، ص ١٤٩،١٥٠ ٠

الطبيعية " [1].

هذه الصرخات وأمثالها كثير تنبيء عن وضع المرأة الغربية ، عندما تخلت عن القيود ؛ التي تحميها وتحافظ عليها ، فأصبحت فريسة سهلة للذئاب البشرية ؛ التي لم ترحمها .

ثم لو أننا نظرنا إلى العمل النسائي في العالم الإسلامي وتساءلنا هل حققت به النساء التحرر الشخصي الذي يسعين إليه ؟

الواقع يثبت أن عمل النساء في العالم الإسلامي لايخرج عن كونه عملا استهلاكيا أو اجتماعيا ، لايخدم وضع الأمة الإسلامية ، ولا يحقق لها الحرية التي تنشدها .

فأين الحرية في أن تعمل النساء في العلاقات العامة أو الإعلام أو المطاعم أو البيع والشراء ؟

أهذا ما أردن تحقيقه من خلال عملهن خارج البيت ؟ وهل هذه هي الحرية التي ينشدنها ؟

لقد اخطأت المرأة المسلمة التي ظنت أن في العمل حرية وتكسير للقيود ، لأن ما أمر به الشرع من ضوابط ، لم يكن ليشرعها إلا رحمة بها وصيانة لها من عبث العابثين .

مما تقدم يظهر أن هذه المبررات إنما هي مبررات واهية ، لاتقوم على أساس مقنع ، وإنما كان التبرير بها ناشئ من تأثر بعض نساء المسلمين بشبهات التغريب ، حيث رأت في العمل محققا للحرية ، التي اعتبرتها حقا من حقوقها ، ومخلصا من القيود التي فرضت عليها ، لذا طالبت به . وكذلك كان لشبهة تقليد المرأة الغربية أثر عليها ، بعد أن صور لها دعاة التغريب أن المرأة

---

[1] المرأة بين الفقه والقانون ، ص ١٧٨ باختصار . وانظر حقوق النساء في الإسلام ، ص ٥٦ .

الغربيـة المثـل الأعلـى ، الـذي يجـب اتباعـه ، وأنـها أعلــى مدنيــة وتطورا ٠

إن الذي جعل هذه المبررات واقعا ملموسـا هـو التـأثير النفسـي العميق لدى هؤلاء النسوة بشبهات التغريب ٠

وكانت خسارة الأمــة والمجتمـع بخـروج المـرأة للعمـل خسـارة عظيمة ، يظـهر أثرهـا الآن فـي المجتمعـات الإسـلامية فـي هـؤلاء الشباب الذين انحرفوا عـن جـادة الطريـق ، واسـتهوتهم المحرمـات بكل ألوانها . وانهدم الدين في قلوبـهم وأصبـح الحـال يدمـي العيـن والفؤاد ٠

هؤلاء الشباب الذين خسرتهم الأمة وضاع فيهم الأمل هل يمكن أن تعوض خسارتهم ؟ !

هل يمكن أن يغني بعض ما تكسبه المـرأة مـن عـائد مـادي عـن عماد الأمة ومستقبلها ؟ !

لابد إذن من عودة صحيحة للإلـتزام بمنـهج الله ، وتطبيـق أمـر الله، فيلتزم كل رجل بابعـاد القوامـة ، بمـا يغنـي المـرأة عـن العمـل خارج المنزل فتلـتزم كـل امـرأة بوظيفتـها الطبيعيـة ، وتعـد الأبنـاء ليكونوا مكسبا لهذه الأمة ، وتكون ثمرتها جيلا ينشأ في طاعة الله ٠

ج : الحياة السياسية

سبق القول بأن المرأة الغربية خرجت مضطرة إلـى العمـل بعـد أن تخلى الرجل عن مسؤولياته تجاهـها ، فبحثـت عـن العمـل ، ثـم عملت وصارت تكدح وتتعب ٠ ولم يكتف الرجـل بـهذا ، بـل وظـل مستمسك بالوصاية عليها ٠ ولما لم توفر لها هـذه الوصايـة أي حـق من حقوقها ، حيث أنه لم يكن يحميها ، ولا يحنو عليها ، ولا يرعاها

، ولاينفق عليها ، طالبت بالتخلص من هذه الوصاية ، ولكنه رفض أن يوفر لها ماتريد ٠

من هنا وجدت المرأة الغربية أن من الأفضل لها الدخول مع الرجل إلى عالم السياسة الذي استأثربه ، لعله يتم لها عن طريقها إصدار التشريعات والقوانين ، وأرادت أن يكون لها صوت في تقرير التشريع ، عسى أن ترفع عن نفسها هذه الوصاية ٠

يقول مجيد أبو حجير في ذلك :

" وأما المرأة – الغربية – فقد عانت من ظلم وجور تشريعات، أممها واستغلتها أبشع استغلال ، وسخرتها كالأمة فلا إنسانية ، ولا كرامة آدمية ، فضلا عن كونها عديمة الأهلية ٠

فلزم من ذلك أن تسع المرأة بكفاح دؤوب لتحوير قوانين تلك الشرائع المتعسفة بحقها ، وتعديلها ما أمكن ، لتنال أي حق من حقوقها المسلوبة ٠ فاقتضى ذلك منها كل السبل والوسائل ،ولو بطريق تبوئها للمناصب السياسية "٠ [1]

وقد دفعها إلى هذا المجال أيضا التحدي المغلوط،أو الفكرة الناشئة لديهم من وجود صراع بين الذكر والأنثى لإثبات الذات ٠

وقد أرادت المرأة إثبات ذاتها عن طريق الدخول في مجالات تبتعد عن فطرتها وتكوينها ٠ ومنها المجال السياسي ، فقد ولجته المرأة الغربية باعتباره مجالا يسيطر عليه الرجال ، لتثبت أنها لا تقل عنهم ، وأنها قادرة على العطاء في جميع المجالات ٠

ولكن الواقع أثبت خطأ الطريق الذي سلكته المرأة الغربية ،

---

[1] مجيد أبو حجير ، المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام – مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، ط ١ – ١٤١٧هـ ، ص ٧٦ ٠

إذإنها كانت أكبر خاسر في معركة التحدي هذه ٠

حيث أنها لم تحقق شيئا مما كانت تصبو إليه ٠

فمثلا من أعظم السياسيات في العصر الحديث " مارجرت ثاتشر " رئيسة وزراء بريطانيا سابقا ، ولكن مع عظمتها هذه

هل أحدثت تغييرات في قوانين المرأة خلال السنوات التي تولتها؟

هل حققت شيئا لبنات جنسها ؟ وهل كان نجاحها نجاحا فرديا أم أنه نجاح لبنات جنسها جميعهن ؟

الواقع يثبت أن السياسيات الغربيات لم يغيرن من واقع المرأة الغربية شيئا ٠

فلم تزل المرأة الغربية مهدورة الحقوق ، ليست لها ذمة مستقلة، بل هي تابعة لزوجها ، تحمل اسمه ، وتفقد شخصيتها وتذوب في شخصيته.وحتى التي نجحت منهن في المجال السياسي ؛ كان نجاحها على حساب بيتها وأسرتها ، وكان نجاحها نجاحا ذاتيا لها ، وليس لبنات جنسها فهي قضية فردية ٠

ومما يدل على فشل السياسيات الغربيات في هذا المجال ٠ تناقص عددهن من عام لآخر ، إضافة إلى أنه نادرا مَنْ تصل من النساء إلى هذه المناصب العليا في البلاد ٠

ولو أن هؤلاء النساء قمن بدورهن الطبيعي في بناء أمتهن ، وإنشاء جيل يرفع أمته ، ويزهر حضارتها ، ويساهم في تقدمها ، لكان خيرا لهن ولبنات جنسهن ، ذلك أن الأمة إذا أزدهرت عرفت وقررت حقوق نسائها ٠

وهكذا يمكنها من هذا الطريق الوصول إلى ما تصبوإليه ،

ولكان دورها خارج المجال السياسي أقوى من داخله ، ونتائجه أفضل .

وإذا كان للمرأة الغربية الحق في الدخول إلى عالم السياسة ، قبل أن تتضح لها خسارتها ، فأي حق للمرأة المسلمة أن تتبعها في ذلك ؟

لأن ما حدث في الواقع الغربي لم يحدث هنا في بلاد المسلمين ، فلا يمكن أن نتخذ وسائلهم وسائل لنا ، فاختلاف الواقع يلزم اختلاف الوسائل .

فالإسلام حفظ للمرأة حقوقها ، وأعطاها مالم تحصل عليه أي أمة من الأمم قديما وحديثا . فبماذا تريد أن تطالب المرأة المسلمة بعد هذا التكريم ؟ !

أما فكرة التحدي مع الرجل . فهذه فكرة مغلوطة ، نفاها الإسلام ، وقرر أن المرأة والرجل إنما هما جنسان متكاملان ، لكل منهما خصائصه ووظائفه.فلا صراع بينهما ، إنما هو تكامل.خلق الرجل للمرأة ، وخلقت المرأة للرجل ، وجعل بينهما مودة ورحمة.
فالرجل أب وأخ وزوج وابن . والمرأة أم وأخت وزوجة وابنة .

بهذه النظرة الرفيعة ينظر الإسلام للرجل والمرأة،فلا تحدي ولا صراع بينهما .

إذن المرأة المسلمة ليست بحاجة إلى هذا المجال ، الذي يبتعد عن فطرتها وامكاناتها ، التي راعاها الإسلام .

فالمرأة خلال حياتها تمر بعدة أدوار ، تؤثر على كيانها الجسدي والنفسي منها :-

أولا : الحيض

الحيض هو : دم تفرزه بويضة المرأة مرة كل شهر ، منذ بلوغها حتى سن اليأس – ما عدا وقت الحمل –

ويختلف وقت الحيض بين النساء ، فمنهن من يبدأ الحيض لديها في التاسعة ، ومنهن في الإحدى عشر ، ومنهن في الثالثة عشر من عمرها ٠٠ وهكذا ٠

جاء في هداية الراغب : " ولاحيض قبل تسع سنين هلالية،فمتى رأت دما قبل بلوغ التسع، لم يكن حيضا ، لأنه لم يوجد في النساء من تحيض قبلها " [1]

ويصاحب الحيض الكثير من التغيرات الجسدية والنفسية للحائض ٠

يقول د / محمد البار في كتابه دورة الأرحام :

" يصاحب الحيض آلام تختلف في شدتها من امرأة إلى أخرى ، وأكثر النساء :

١- يصبن بآلام وأوجاع في أسفل الظهر وأسفل البطن ، وبعض النساء تكون آلامهن فوق الاحتمال ٠

٢- تصاب كثير من النساء بحالة من الكآبة والضيق وتكون المرأة عادة متقلبة المزاج سريعة الاهتياج ، قليلة الاحتمال ، كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون في أدنى مستوى لها ٠

٣- تصاب بعض النساء بالصداع النصفي قرب بداية الحيض ، وتكون الآلام مبرحة ، وتصحبها زغللة في الرؤية

---

[1] عثمان أحمد الحنبلي – هداية الراغب لشرح عمدة الطالب ، ت / حسنين مخلوف ، دار البشير للنشر والتوزيع ، جدة ط ٢ ، ١٤١٠هـ ، ص ٩١، وانظر شرف الدين الحجاوي ، الروض المربع شرح زاد المستقنع – مختصر المقنع ٠ بشرح منصور البهوتي ،دار الفكر ، ط ٦ ، (١: ٣٤).

وقيء ٠

٤- تنخفض درجة حرارة المرأة أثناء الحيض ، ويبطيء النبض ، وينخفض ضغط الدم ، وتطالب كثير من النساء بالشعور بالدوخة والكسل والفتور ٠

٥- **تقل الرغبة الجنسية لدى المرأة ٠٠ وتميل كثير من** النساء إلى العزلة والسكينة ، وهذا أمر طبيعي وفسيولوجي ، إذ تكون الأجهزة التناسلية في حالة شبه مرضية ٠

٦- فقر الدم (الأنيميا) الذي ينتج عن النزيف الشهري ٠

٧- تصاب الغدد الصماء بالتغير ، فتقل إفرازاتها الحيوية الهامة للجسم إلى آدنى مستوى لها " [1] ٠

جميع هذه التغيرات تجعل من المرأة كائنا مريضا بالفعل ، ولا تشمل هذه التغيرات النواحي الجسدية فقط ، بل والنواحي النفسية ، إذ تكون المرأة في حالة نفسية سيئة ٠

لذا نجد د/ كرانت ايبنج يقول :

" إن النساء اللاتي يكن لينات العريكة دمثات الأخلاق ٠٠ تتغير طباعهن بغتة فور دخولهن في أيام الحيض ٠ وكأن هذه الأيام تمر بهن مر العاصف الزعزع ، يصبحن فيها متفجرات ، سليطات اللسان ، شديدات الخصام "٠ [2]

هذا الدور يمر بالمرأة كل شهر ، ولا تكاد توجد امرأة تعفى من هذه التغيرات الجسدية والنفسية ٠

فكيف تتمكن المرأة وهي على هذه الحال من القيام بالأعمال

---

[1] محمد علي البار – دورة الأرحام – الدار السعودية ، ط ٣ ، ١٤٠٣هـ ، ص ٦٧-٦٨ ٠

[2] وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني ، ص ٣٠ ٠

المجهدة ، التي تحتاج إلى أعلى قدر من القوة البدنية والعقلية ٠ مثل الأعمال السياسية ٠

ونرى رحمة الله سبحانه وتعالى بالمرأة الحائض ، إذ أعفاها من بعض التكاليف الشرعية كالصلاة والصيام ، مما يؤكد أن هذه الحالة تستلزم التخفيف وتقليل الجهد عنها ٠

ثانيا : الحمل

يعد هذا الدور من الأدوار المهمة في حياة المرأة المتزوجة إذ أنه يستمر معها قرابة التسعة شهور ينقلب فيها كيان المرأة ، وتتغير لديها جميع الوظائف الجسدية :

" حيث يبدأ الحمل بالغثيان والقيء ٠٠ وتعطي الأم جنينها كل ما يحتاج من مواد غذائية ٠٠ بل إن الأمر أبعد من ذلك ، فإن الجنين يحصل على حاجاته من دم الأم ، ولو اضطرت أن تعطيه ما يحتاج إليه من عظامها ، حتى لتصاب بلين العظام وتسوس الأسنان ٠

كما أن معظم الأمهات يصبن بفقر الدم أثناء الحمل وفقر الدم ينهك الأم ، وإذا زادت درجته ، فإنه يؤدي إلى هبوط القلب ٠

وفي الحمل يتحمل القلب أضعاف ما يتحمله قبيل الحمل ،فتزداد سرعته ، ويكبر حجمه ، وبنمو الجنين يضغط الحجاب الحاجز على القلب والرئتين ، فيصبح التنفس أكثر صعوبة " [1] ٠

وعن هذا الدور يتحدث د / الكسيس بقوله :

" في خلال هذه الفترة يغذى الجنين بمواد ٠٠ ترشح من دم الأم من خلال أغشية الخلاص ٠ وبينما تمد الأم جنينها بالعناصر ؛ التي

---

[1] عمل المرأة في الميزان ، ص ٩٣- ٩٥ ٠

تتكون منها أنسجته ، فإنها تتسلم مواد معينة تفرزها أعضاء الجنين، وهذه المواد قد تكون نافعة ، وقد تكون خطرة ٠

إن الجنين مخلوق من أصل غريب جزئيا ، قد أتخذ له مأوى في جسم المرأة،فتتعرض المرأة لتأثيره خلال فترة الحمل ، وقد تسمم المرأة في بعض الأحيان بواسطة جنينها " [1] ٠

وتبعا لهذه التغيرات الجسدية تتغير الحالة النفسية للحامل ، حيث تكون سريعة الانفعال ، عصبية المزاج ، تضطرب نفسيتها ، وتصاب بالقلق والكآبة ٠

يقول د/ ريبريف عن المرأة الحامل : " لاتسطيع قواها في هذا الزمان أن تتحمل من مشقة الجهد البدني والعقلي ما تتحمله في عامة الأحوال ، وإن عوارض الحامل إن عرضت لرجل أو امرأة غير حامل ؛ لحكم عليه أو عليها بالمرض بدون شك ٠ ففي هذه المدة يبقى مجموعها العصبي مختلا وعلى أشهر متعددة ، ويضطرب فيها الاتزان الذهني ، وتعود جميع عناصرها في حالة فوضى دائمة ، وهي في أثناء ذلك بين الصحة والمرض ٠

ويقول د/ فشر تصاب في مزاجها بالتلون ، وفي أفكارها بالتشوش ، وفي عقلها بالشرود ، وتتخلف فيها ملكات الشعور والتفكير والتأمل والفهم والتعقل " ٠[2]

هذه التغيرات التي تطرأ على الأم الحامل حملت الأطباء على تأكيد الاهتمام بالحامل ، ومراعاة هذه الحالة ٠

يقول الأطباء: " تحتاج الحامل إلى عناية شديدة من المحيطين

---

[1] الإنسان ذلك المجهول ، ص ١١٠ ٠

[2] الحجاب ، ص ١٩٠ ٠

بها في هذه الفترة بالذات ، إذ تكون أكثر حساسية ٠٠ سريعة التأثر والانفعال والميل إلى الهموم والحزن ٠٠ وذلك بسبب التغير الفسيولوجي في كل أجزاء الجسم ، لذا يجب أن تحاط بجو من الحنان ، والبعد عن الأسباب التي تؤدي إلى تأثرها وانفعالها " [1] ٠

كل هذه الأمور تحدث للمرأة الحامل وتستمر طيلة تسعة شهور ، تشعر فيها المرأة بالآلام ، وتكون عاجزة فيها عن القيام بأدنى مجهود جسدي وفكري ٠

وبعد ذلك يأتيها وقت الولادة ، الذي تشعر فيه الأم بالقلق والخوف على نفسها وعلى جنينها ، وتشعر فيه الأم :" بآلام شديدة تفوق أي ألم آخر ، قد يكون فيها فقد حياتها ، وقد ينتج عنها أمراض مزمنة ، وأهمها أمراض الكلى ، وضغط الدم ، وأمراض القلب ، وأمراض الجهاز التناسلي ، وأمراض الكبد ٠

ثم تبقى الأم بعد الولادة في فترة نفاس ؛ تكون فيها أشبه بالمريضة ، تعاني من الإرهاق بعد المجهود الشاق ، الذي بذلته أثناء الحمل والولادة " [2] ٠

وقد أجمع الفقهاء على أن النفاس يستمر غالبا مدة أربعين يوما ، وقد يصل إلى ستين يوما ، كما جاء في قول مالك والشافعي [3] ٠

وقد رفع الله عنها أثناء النفاس بعض التكاليف الشرعية رحمة بها ، وتخفيفا عنها لعدم قدرتها على المجهود البدني ، ولتأخذ كفايتها من الراحة ٠ ومع كل هذه الآلام فإن لهذه الوظيفة أهميتها للمرأة ٠

يقول د/ الكسيس في كتابه الإنسان ذلك المجهول :

---

[1] عمل المرأة في الميزان،ص ٩٧ ٠

[2] عمل المرأة في الميزان ، ص ٩٩ ٠

[3] أنظر المغنى ، (١: ٣٤٥) ٠

" إن أهمية وظيفة الحمل والوضع بالنسبة للأم ؛ لم تفهم حتى الآن مع أن هذه الوظيفة لازمة لاكتمال نمو المرأة ومن ثم فمن سخف الرأي أن نجعل المرأة تتنكر للأمومة ، ولذا يجب أن لاتلقن الفتيات التدريب العقلي والمادي ، ولا أن تبث في نفسها المطامع ، التي يتلقنها الفتيان وتبث فيهم " [1].

ثالثا : الإرضاع

من إهتمام الشرع بالطفل تقريره لحقه في الإرضاع قال تعالى ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [2]. وقال تعالى :﴿ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴾ [3]. وقد كفل له الإسلام هذا الحق لما للرضاع من فوائد جمة تعود على الطفل .

يقول د / جوزيف وارسو :

" إن لبن الأم يحتوى على كل العناصر والمواد التي يحتاجها الطفل في الشهور الستة الأولى من عمره ، مما يغنيه عن تناول أي فيتامينات أو معادن أو عصائر في هذه الفترة . كما يحتوي لبن الأم على كثير من المواد الغذائية .. ويحتوى على مواد أمينية تحمي الطفل من الإصابة بالعدوى والتلوث ، كما أن لبن الأم يكون دائما نظيفا " [4].

ويعد لبن الأم أفضل غذاء بالنسبة ، للطفل لتوافقه مع مايحتاجه من مواد . كما أنه ثابت في درجة حرارته ، وجاهز للإرضاع في

---

[1] الإنسان ذلك المجهول ، ص ١١٠- ١١١ .

[2] سورة البقرة ، آية:(٢٣٣) .

[3] سورة الطلاق ، آية:(٦) .

[4] وظيفة المرأة ، ص ٤٩ .

في أي وقت ، وكذلك هو معقم تعقيما ذاتيا ٠

يقول د / وصفي مبينا فوائد الرضاعة :

" والطفل محتاج للبن أمه في الأيام الأولى من ولادته لا حتواء هذا اللبن على الكلوسترول ، الذي ينبه أمعاء الطفل ، وينظفها مما يجب التخلص منه في الأمعاء ، ويكون للجهاز الهضمي خير مطهر طبيعي وأصلح منشط عام " [1]٠

ويتحدث الكسيس كاريل عن فوائد الرضاعة للطفل بقوله :

" إن الرضاعة الطبيعية علاوة على أنها تقلل من يموت من الأطفال ، فإنها تجعل الطفل أقل عرضة للمرض ، كماأنها تمنحه قدرة على الصبر ، وتضفي عليه سكينة في النفس ٠ بينما تسبب الرضاعة الصناعية علاوة على أمراض الجهاز الهضمي بروز الفك ، وتشوه الأنف ، وتفلطح قبوة الفم ، مما يؤثر على نبت الأسنان ، ويعرض الرضيع لتلوث اللوزتين والبلعوم والأذنين والجيوب الأنفية " [2] ٠

جميع هذه الفوائد تجعل الأم تحرص كل الحرص على رضاعة إبنها الرضاعة الطبيعية ، إذا كانت حريصة على سلامته الجسدية والنفسية ، ولا شك أن عمل الأم خارج البيت يؤدي إلى تقصيرها في هذا الجانب الهام من حياة الطفل ٠

فوائد الإرضاع بالنسبة للأم : -

لاتعود فوائد الإرضاع الطبيعي على الطفل وحده٠بل إن له عدة فوائد تعود على الأم أيضا ٠ فالرضاعة الطبيعية تساعد على تقلص

---

[1] محمد وصفي ، الرجل والمرأة في الإسلام ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، ص ٢٦٣ ٠

[2] وظيفة المرأة ، ص ٥٤ ٠

الرحم وعودته إلى وضعه الطبيعي ، فالمرضع عادة ينقطع عنها الحيض فترة الرضاع خاصة إذا كانت الرضاعة جيدة مما" يترك المجال لراحة الأعضاء التناسلية الراحة التامة ، ويدع الرحم المتمدد ليأخذ شكله الطبيعي • أما إذا امتنعت الأم عن الرضاعة يرجع الحيض بعد ستة أسابيع من الوضع ، وأحيانا بعد خمسة عشر يوما أو ثلاثة أسابيع ، ويحتقن الرحم تبعا لذلك ، فلا يرجع لشكله الأصلي ، ولا ينكمش إلى الحجم الطبيعي • ولقد ثبت أن ثلاثة أرباع الإصابات التي تحدث ضخامة الرحم تنجم عن عدم الإرضاع" [1] • كما تساهم الرضاعة الطبيعية في تخفيف وزن المرأة وعودته إلى ما كان عليه قبل الحمل والولادة : " فالأم التي لا تغذي طفلها بالثدي ؛ ستحمل هذا الرصيد من المخزون على جسمها.ما لم تلجأ لنظام غذائي ؛ يخفف وزنها.وعموما تكون الأم المرضعة أقدر على استعادة شكلها عن الأم التي لاترضع ابنها "[2].

كذلك تقلل الرضاعة الإصابة بمرض سرطان الثدي • يقول د/ علي إبراهيم أستاذ أمراض النساء والولادة :

" إن الأم المرضعة لابنها مدة سنتين نسبة إصابتها بسرطان الثدي صفر % "[3] •

أضف إلى ما سبق فإن سعادة المرأة تكون غامرة وتشعر بالراحة وهي تضم إليها طفلها لترضعه.لأن الرضاع عملية جسمية ونفسية للأم والطفل •

---

[1] الرجل والمرأة في الإسلام ، ص ٢٦٤•

[2] إدارة التأليف و الترجمة – الرضاعة الطبيعية ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ط ١ ، ١٩٨٣م، ص٨٥ •

[3] وظيفة المرأة ، ص ٧٦

تقول مجلة الأمة : " إن للإرضاع الطبيعي فوائد نفسية وأسرية واجتماعية كثيرة ويصر علماء النفس على أهمية هذه الأشياء في بناء شخصية الطفل السوية السليمة ، وعلى حسن تطوره ، وعلى تجنيبه الانحرافات السلوكية المختلفة .. فالطفل الذي يرضع من ثدي أمه أكثر اطمئنانا وثقة وسعادة ، وعند كبره يكون أكثر عطاء وموالفة وائتلافا . وأما الذي يرضع بالزجاجة فهو أكثر قلقا واضطرابا وأكثر تعرضا للانحراف ..

والإرضاع الطبيعي يعطي الأم الشعور بالراحة والإطمئنان ، أنها أدت واجبها ، ولم تحرم ابنها من غذائه الذي خلق له ".[1]

ولقد ثبت لدى العلماء :

" أن الأم عندما ترضع طفلها لاطفل غيرها ، فإن الحنان يتدفق منها إليه ، والحب الذي تغمره به إنما ينعكس على حالته ، فتولد فيه كل عواطف الحب والحنان والشفقة ".[2]

وهكذا تظهر أهمية الرضاع للطفل والأم على حد سواء * . من هنا كان على المرأة المسلمة أن تحرص عليه . ولايغيب عن الذهن أن الأم خلال هاتين السنتين ، تكون مشغولة بمولودها . وملاعبته ومناغاته وبث الحنان إليه .

فمتى بعد كل هذا تتفرغ لحياتها السياسية ؟! .

إن هذه الأدوار تظهر وبجلاء عجز المرأة التي تقوم بواجباتها كاملة تجاه أسرتها وطفلها عند الولوج إلى عالم السياسة ، ولاشك

---

[1] د / نبيه غبره ـ الفوائد المكتشفة حديثا في الإرضاع الطبيعي ـ مقال في مجلة الأمة الصادرة من قطر ، العدد الثالث ، ربيع الأول ، ١٤٠١هـ ، ص٥٩ .

[2] وظيفة المرأة ، ص ٥٥ .

* للاستزادة انظر د / جلال المخللاتي ـ تغذية الطفل من الولادة حتى الفطام ، الرياض ، ١٩٩٠م ، (مميزات الرضاعة الطبيعية ، ص ٤٢) .

أنه إذا حصل ذلك ، فسيكون على حساب هذه الأسرة وعلى حساب الأطفال **وقد أدرك ذلك العالم الغربي لذا نجد د/ كاريل يقول :**

" يجب أن تعاد للمرأة وظيفتها الطبيعية التي لاتشمل على الحمل فقط ، بل أيضا على رعاية صغارها " [1] .

وهذا يظهر أثر ترك المرأة لعملها الطبيعي ، حيث لا تجد المرأة العاملة عموما ؛ والسياسية خصوصا الوقت الكافي لرعاية أبنائها ، كما أن التعب والإرهاق يحرمانها من رحابة الصدر، التي تساعدها على تربية أبنائها والاهتمام بهم .

وإذا خرجت الأم لعملها فمن يستطيع أن يسد فراغها في البيت ؟

قد تلجأ الأم العاملة لإحضار خادمة أو مربية ،أو تودع طفلها في حضانة،لتتفرغ هي لعملها ، ولا شك أن في ذلك كارثة على المجتمع.

يقول سيد قطب :

" إن أول ما أثبتته تجربة المحاضن أن الطفل في العامين الأولين من عمره ؛ يحتاج حاجة نفسية فطرية إلى الاستقلال بوالدين له خاصة ، وبخاصة الاستقلال بأم لايشاركه فيها طفل آخر. وفيما بعد هذه السن يحتاج حاجة فطرية إلى الشعور بأن له أبا وأما مميزين ينسب إليهما.والأمر الأول متعذر في المحاضن ،

والأمر الثاني متعذر في غير نظام الأسرة . وأي طفل يفقد أيهما ينشأ منحرفا شاذا مريضا مرضا نفسيا على نحو من الأنحاء"[2].

---

[1] الإنسان ذلك المجهول ، ص ٣٥٣.

[2] في ظلال القرآن ، (١: ٢٣٦) ، هـ ١ .

وتقول آنا فرويد في كتابها أطفال بلا أسر :

" إن تربية الأطفال في الملاجئ والمحاضن يولد الإضطرابات العاطفية والخلل النفسي والانحرافات الشاذة ، ممالايستطيع أن يعوضه علم النفس " [1] لذا نجد د/ الكسيس يحمل المرأة اختفاء وحدة الأسرة في المجتمع الغربي ، بسبب اعتمادها على المحاضن يقول : " لقد أرتكب المجتمع العصري غلطة جسيمة باستبداله تدريب الأسرة بالمدرسة استبدالا تاما ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة ، حتى يستطعن الانصراف إلى أعمالهن ٠٠ وهكذا يضيعن أوقاتهن في الكسل ، إنهن مسئولات عن اختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها ، التي يتصل فيها الطفل بالكبار، فيتعلم منهم أمورا كثيرة " [2] ٠

وهذا عائد ولا شك إلى أن الأم عندما تقوم بعملها من رعاية واهتمام ، تقوم به بدافع الأمومة والعطف والحنان ، حيث أن: " العلاقة بين الأم وطفلها علاقة عضوية بكل معنى الكلمة ، لأنه قطعة منها ،ولأن دافع الأمومة العضوي لديها يدفعها للحنان عليه ورعايته ، ولأن الأم تعتني بطفلها بدافع الحب لابدافع الواجب، كما تفعل المربية أو الحاضنة ٠ وشتان بين الحب والواجب ، فبينما تجد الأم لذة وسعادة في الجهد الذي تقدمه لطفلها ، تشعر المربية والخادمة بالتعب والإعياء " [3] ٠

---

[1] مكانة المرأة ، ص ١١٤ ٠

[2] الإنسان ذلك المجهول ، ص ٣٠٥- ٣٠٦ ٠

[3] خالد الشنتوت – دور البيت في تربية الطفل المسلم ، مكتبة دار المطبوعات الحديثة ، ط ٤ ، ١٩٩٠م ،ص ٣٠ .

ولا يقتصر التأثير السيئ لعمل السياسية على أطفالها ، بل يتعدى ذلك إلى صحتها ونفسيتها وبالتالي جهدها ، فقد :" أظهرت إحدى الدراسات الأمريكية أن دخول المرأة إلى ميدان العمل ، كان له تأثير كبير على توازنها النفسي ، فالملاحظ أن نسبة كبيرة من النساء العاملات يعانين من التوتر والقلق الناتج عن المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقهن ، والموزعة ما بين المنزل والزوج والأولاد والعمل ، فقد سجلت الإحصاءات ٠٠ أن ٧٦% من نسبة الأدوية المهدئة تصرف للنساء العاملات " [1] ٠

وتبرز مجلة المجتمع أضرار العمل السياسي على النائبات البريطانيات في مقال لها ، تقول فيه :

" قال محللان نفسيان أمريكيان أن النائبات البريطانيات يعانين من أزمات نفسية ، تتراوح بين العلاقات الفاشلة ، والحرمان العاطفي ، والوحدة ، وعدم السعادة ٠

وقال المحلل النفسي واين ستويل : إن الجهد المبذول من قبل النائبة في نقاشات البرلمان التي تستغرق معظم الليل تؤثر على العلاقة بين الرجل وزوجته وعلى تربية الأطفال ٠

وأضاف المقال : إن النائبات يعانين من القلق والضغط والكآبة والإجهاد ودرجة عالية من فقدان الثقة ٠

وفي دراسة مسحية أجراها محللون نفسيون في جامعة مانشستر الإنجليزية ، تبين أن النائبات اللواتي ينتخبن للعمل في البرلمان البريطاني لأول مرة ، يعانين من وضع عقلي أسوأ من الحالة العقلية لمجموعة من المرشحين قبل الانتخابات العامة ٠

---

[1] وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني ، ص ١١١ ٠

ويبين المقال أفضلية الرجل في هذا المجال.يقول المحلل ستويل:
إن النساء اللواتي دخلن مجال العمل الحكومي والبرلماني ، لم يكن مهيئات لذلك ، مقارنة مع الذكور ، الذين يعتبرون في مأمن من الوقوع في هذه الأعراض ، لاسيما إذا كانت زوجاتهم لا يمارسن عملا كاملا .

كما يذكر المقال أن النائبات قد سجلن أعلى النسب من ناحية عدم المقدرة على منافسة الرجال ، لأن العديدات منهن لم يكن يتوقعن الانتخابات للمنصب ، وحينما انتخبن ، فإنهن لم يكن مهيئات للتعارض ؛ الذي نشأ بين مهام البيت والعمل العام " [1] .

أضف إلى هذه الآثار الناجمة عن عمل المرأة السياسي ، نجد أنها مطالبة برعاية الزوج ، وتوفير السكن والراحة له ، قال تعالى: «وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا » [2] ولا شك أن توفير الجو الهادئ والمودة والرحمة ، يحتاج من المرأة راحة البال وسعة الصدر ، التي لا تتوفر مع العمل " فهل يمكن أن يتحقق هذا الأنس الروحي ، وذاك السكن وتلك المودة والرحمة في بيت قعيدته أبدا إلى العمل متطلعة ، وبه منهكة ، وبمسؤولياته مرهقة ، وبروتينيته مملة ، وبالتزاماته سجينة ؟

إنها نقطة تأمل وروية ، أليست ثمة بيوتات تتكهرب أجواؤها من لمسة تعامل خالية من الود والسكن بسبب غياب الحس الأنثوي، بعد أن ضاع ذاك الحس في زحمة العمل " [3] .

---

[1] مجلة المجتمع / عدد ١٣١٤ / ٣ جماد الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨/٨/٢٥م، ص ٦١ .
[2] سورة الأعراف ، آية : (١٨٩) .
[3] عبد الرب نواب - عمل المرأة وموقف الإسلام منه ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ ، ص ٩٦- ٩٧ .

كذلك للمرأة المسلمة واجبات كثيرة ، لو قامت بها لما كفاها الوقت ، فعمل المرأة في بيتها من أسمى الأعمال ومن المفاهيم المغلوطة أن يقال عن ربة البيت : لاتعمل ، أو لاعمل لها ، ولاشك أن هذه مغالطة مقصودة أريد بها التوهين من عمل المرأة في بيتها ، وإخراجها من الحصن الحصين ، لتزاحم الرجال بالمناكب والأقدام .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن .

ماهو موقف الإسلام من عمل المرأة في المجال السياسي ؟

لمعرفة رأي الإسلام في ذلك لابد من استقراء الأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال العلماء :

أ - أدلة الكتاب :

١-قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[1] .

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية :

" في هذه الآية الأمر بلزوم البيت ، وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ ، فتدخل غيرهن فيه بالمعنى ، هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء ، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن ، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة "[2] .

ويقول الآلوسي :

" والمراد على جميع القراءات أمرهن رضي الله عنهن بملازمة البيوت ، وهذا أمر مطلوب من سائر النساء "[3] .

---

[1] سورة الأحزاب ، آية:(٣٣) .

[2] الجامع لأحكام القرآن ، (١٤ : ١٧٩) .

[3] محمود الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٤، ١٤٠٥هـ . (٢٢: ٦) .

في هذه الآية العظيمة يقرر الإسلام القاعدة العامة ، التي تسير عليها نساء المسلمين ، وهي القرار في البيت ٠

ويؤكد هذا الأصل نسبة البيوت إليهن في الآية ، مع أن البيوت للرجال عادة ٠

ومع ذلك فقد أذن الإسلام للنساء في الخروج لضرورة أو لحوائج شرعية ٠ كاالخروج للمسجد وغيره ٠

وعلى هذا فمطالبة المرأة بالمشاركة في الأمور السياسية مخالفة لهذا الأصل الواجب على المرأة ، ولا تعد مشاركتها في ذلك من الأمور الضرورية ، التي تجيز للمرأة التعدي على هذا الأصل ومخالفته ، لوجود من يسد عنها من الرجال الأكفاء ٠

٢-قال تعالى ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[١] ٠

يقول الإمام الشوكاني في فتح القدير :

" إنما استحقوا هذه المزية لتفضيل الله للرجال على النساء ، بما فضلهم به من كون فيهم الخلفاء والسلاطين والحكام والأمراء والغزاة وغير ذلك من الأمور "[٢] ٠

في هذا النص يذكر الإمام الشوكاني أن من تفضيل الله للرجال إختصاصهم بشؤون الحكم والخلافة ، وهذا يلزم خروج المرأة عن هذا المجال ٠ إذ لو اشتركت المرأة مع الرجل في هذا الأمر ، لما ذكر ذلك في مجال التفضيل وقوامة الرجل ٠

---

[١] سورة النساء ، آية : (٣٤) ٠

[٢] محمد الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (١: ٤٦٠) ٠

يقول مجيد أبو حجير :

" إن هذه الآية تضمنت أمرا جاء على صورة الخبر ، وإنها تفيد عموم قوامة الرجال على النساء ، وبدهي أنه لايصح في الطبع والوضع والعقل أن يقوم الرجل على أمر زوجته في بيته ، ثم يتاح للمرأة أن تقوم على أمره ، فيما هوأعظم شأنا وأوسع دائرة في باب الرعاية والتدبير " [1] .

فتفضيل الرجال على النساء وقيامهم بحمايتهن وتأديبهن ورعايتهن ؛ يلزم منه تقديمهم عليهن في رعاية شئون الدولة .

ومنها استنبط الزمخشري تقديم الرجال واستحقاقهم للولاية يقول : " وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر ، وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد"[2] .

٣-قال تعالى ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [3] .

يقول الإمام الشوكاني :-

" درجة : أي منزلة ليست لهن وهو كونه من أهل الجهاد والعقل والقوة .

وعن زيد بن مسلم قال : الإمارة

وعن مجاهد : فضل ما فضله الله به عليها من الجهاد ، وفضل ميراثه على ميراثها ، وكل ما فضل به عليها " [4] .

---

[1] المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام ، ص ١٦٧

[2] محمود الزمخشري – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار المعرفة ، بيروت ، (١: ٢٦٦) .

[3] سورة البقرة ، آية : (٢٢٨) .

[4] فتح القدير ، (١: ٢٣٦- ٢٣٧) .

في هذه الآية تصريح بتفضيل الرجال على النساء ، وزيادتهم عليهن بدرجة : " وهذه الدرجة وإن كانت مجملة غير مبينة ما المراد بها .. إلا أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا ٠ ومعنى **الدرجة على هذا الاعتبار أنها محمولة على عموم ماورد من قوامة الرجال على المرأة ، وما فضله الله به عليها ، فاختصه دونها** برئاسته عليها في البيت ، ورئاسته على الأمة والدولة وغيرها من مناصب ولايات الدولة ٠٠ لأهلية قيامه عليها دون النساء ، كما هو شأن قيام الرجال على النساء في البيوت " [1] ٠

فتفضيل الرجال في هذه الآية يتبعه تفضيلهم في شئوون الدولة ، إذ لايصح تقديم المفضول على الفاضل ، خاصة فيما يختص بصالح الأمة ورعايتها ٠

ب – أدلة السنة :

١-ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه " عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى ٠ قال : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " [2]٠

" قال الخطابي : في الحديث أن المرأة لاتلي الإمارة ولا القضاء ، وفيه أنها لا تزوج نفسها ، ولاتلي العقد على غيرها " [3]٠

" قال إبن التين :احتج بحديث أبي بكرة من قال : لايجوز أن تول المرأة القضاء وهو قول الجمهور " [4] ٠

[1] المرأة وحقوقها السياسية ، ص ١٧٦ ٠
[2] صحيح البخاري ، (٥: ١٣٦) ،كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر ٠
[3] علي بن أحمد بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، (٨: ١٢٨) ٠
[4] فتح الباري ، (١٣: ٥٦) ٠

فيثبت ظاهر الحديث عدم جواز تولية المرأة شؤون الدولة وسياستها ، إذ في توليتها نفي الفلاح ٠

وتعلق لجنة الفتوى بالأزهر على هذا الحديث ، بقولها :

" وظاهر أن الرسول ﷺ لايقصد بهذا الحديث مجرد الإخبار عن عدم فلاح القوم ؛ الذين يولون المرأة أمرهم ٠٠ وإنما يقصد نهي أمته عن مجاراة الفرس ؛ في إسناد شيء من الأمور العامة إلى المرأة ٠

وقد ساق ذلك بأسلوب من شأنه أن يبعث القوم الحريصين على فلاحهم ؛ وانتظام شملهم على الامتثال ٠ وهو أسلوب القطع ؛ بأن عدم الفلاح ملازم لتولية المرأة أمرا من أمورهم ٠

وهذا ما فهمه أصحاب الرسول ﷺ وجميع أئمة السلف ٠٠فهم جميعا يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولي المرأة الإمامة الكبرى، والقضاء ، وقيادة الجيوش ، وما إليها من سائر الولايات العامة " ٠[1]

٢-مارواه الإمام مسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : يامعشر النساء ، تصدقن وأكثرن الاستغفار... وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن ٠

قالت : يا رسول الله ، وما نقصان العقل والدين قال : أما نقصان العقل ، فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا نقصان العقل٠وتمكث الليالي ما تصلي ، وتفطرفي رمضان ، فهذا نقصان

[1] محمد عطية ، الحركات النسائية وصلتها بالإستعمار ، دار الأنصار ، القاهرة ، ص ١١٠٠

الدين[1]" في هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن النساء ناقصات في عقلهن ودينهن ٠

وقد فسر نقصان العقل بأن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد ، وذلك عائد لبعض خصائص المرأة ، فالمرأة سريعة الاستجابة للمؤثرات الخارجية وهذا يمنع المرأة من تركيز الذهن ، وتدقيق النظر في الواقعة ؛ التي تحدث ٠ لذا عزز الله سبحانه وتعالى شهادتها بشهادة امرأة أخرى ، تعينها وتذكرها بما غفلت عنه ٠

قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [2] ٠يقول محمد الخشت : -

" المرأة بطبيعتها قد تخضع للمؤثرات والإيحاءات المحيطة بملابسات أداء الشهادة ، فيؤدي هذا إلى ضلالها عن الوقائع شعوريا أو لا شعوريا ٠ ووجود امرأة أخرى كفيل بالقضاء على أي لون من ألوان الخضوع لأي انفعال أو تأثر أو إيحاء ٠٠ فالأمر لايعدو مجرد ضمان للحيدة الكاملة ، التي لا تأتي إلا بالوقوف ضد نوازع العاطفة" [3] ٠ ثم فسر نقصان الدين : بأن المرأة تمكث الليالي ما تصلي ، وتفطر في رمضان ٠ وهذا ما أشير إليه سابقا ، فالمرأة في وقت الحيض لاتصلي ، ولاتصوم ، وكذا في النفاس رحمة من الله وتخفيفا ٠

---

[1] مسلم النيسابوري ، الجامع الصحيح ، دار العربية للطباعة ، بيروت ، (١: ٦١) ، كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق ٠

[2] سورة البقرة ، آية : (٢٨٢) ٠

[3] من إعجاز القرآن وليس الذكر كالأنثى ، ص ١١٠ ٠

فهل تصلح المرأة وهي على هذه الحال من نقصان العقل والدين لتولي شؤون الدولة السياسية ؟

يقول القنوجي :" من كان كذلك لايصلح لتدبير أمر الأمة ، ولتولي الحكم بين عباد الله ، وفصل خصوماتهم بما تقتضيه الشريعة المطهرة ، ويوجبه العدل-فليس بعد نقصان العقل والدين شيئ ٠٠ وأما الإمامة ٠٠ تحتاج إلى اجتهاد الرأي ، وكمال الإدراك، والتبصر في الأمور ، والتفهم لحقائقها ٠ وليست المرأة في ورد ولا صدر من ذلك ، ولا تقوى على تدبير أمر العباد والبلاد ، بل هي أضعف من ذلك وأعجز "[1]٠

وفي ذلك تقول لجنة الفتوى بالأزهر :

" فالحق أن المرأة بأنوثتها عرضة للانحراف عن مقتضى الحكمة والاعتدال في الحكم ، وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بنقصان العقل ، ورتب عليه أن شهادة المرأة على النصف من الرجل "[2] ٠

فطبيعة المرأة إذن هي العائق أمام توليها الشؤون السياسية ، فللمرأة مايشغلها عن التركيز وتقليب الأمور وإبداء الآراء ٠

حتى أن الدول المتقدمة التي تدعي المساواة ؛ نجدها تحجم عن تعيين النساء في المراكز المتقدمة والمهمة في الدولة ٠ حيث ثبت فشل المرأة في هذه الميادين؛ومجاراتها للرجل بجدية ٠

تقول الليدي اسكوت ، وهي من أعضاء مجلس العموم البريطاني :

---

[1] سيد صديق حسن خان القنوجي – إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة ، ت مجموعة من الأساتذة ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، ص ١٠٨- ١٠٩٠

[2] الحركات النسائية ، ص ١١٤ ٠

" لقد دخلت المرأة البرلمان ، ونزلت إلى الحياة العامة ، ولكن صدقوني أنها لم تنجح ، وثبت أن مكانها الذي تصلح له البيت " [1] .

وهذا الواقع الذي يجب أن نصدقه ونتأكد منه ،لأنه يوافق ما أخبر عنه النبي ﷺ في حديثه السابق ؛ بعدم فلاح قوم تولت أمرهم امرأة.

٣ ـ مارواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال ﷺ :" إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . قال : كيف إضاعتها يارسول الله ؟ قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله ، فانتظر الساعة " [2] . في هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن من علامات قرب يوم القيامة إسناد الأمر إلى غير أهله . والأمر كما فسره ابن حجر: " جنس الأمور التي تتعلق بالدين . كالخلافة والإمارة والقضاء والإفتاء وغير ذلك .

قال ابن بطال : معنى أسند الأمر إلى غير أهله ، أن الأئمة قد ائتمنهم الله على عباده ، وفرض عليهم النصيحة لهم ، فينبغي لهم تولية أهل الدين . فإذا قلدوا غير أهل الدين ، فقد ضيعوا الأمانة ، التي قلدهم الله تعالى إياها " [3] .

والمرأة كما ذكرنا غير أهل لهذا الأمر لنقصانها بأنوثتها في العقل والدين .

فالأولى تقليد هذه الأمور لأهل الدين من الرجال ، لا لناقصات الدين والعقل ، فالمرأة غير أهل لهذه المناصب القيادية .

---

[1] أحمد محمد جمال ، مكانك تحمدي ، ط ٤، ١٤٠١هـ ، ص ٤٧ .

[2] فتح الباري ، (١١: ٣٣٣) كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة ـ تجدر الإشارة إلى أنه توجد بعض الأحاديث في الشرح لم تذكر في متن الصحيح المتداول بين الأيدي ويرجع ذلك إلى أن الحافظ رحمه الله اعتمد في شرحه على نسخة مفقودة الآن ـ وهي فائدة مستفادة من د/ سعدي الهاشمي في السنة المنهجية .

[3] فتح الباري ، (١١ : ٣٣٤) .

٤ ـ عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال " إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء "[١]

وجه الدلالة من الحديث :

" دل الحديث بمنطوقة على أن الخلافة منوطة بالرجال ابتداء ، فتكون مخصوصة بهم دون النساء ٠ وهذا مستفاد من قوله ﷺ :" إن الله مستخلفكم ٠٠ ثم أعقبه بقوله : فاتقوا النساء ٠٠٠ " ٠

ودل الحديث بمنطوقة أيضاً على تحذير الرجال في السلطة العامة في الدولة من فتنة النساء ، وأمروا باتقائهن ، واتقاؤهن لايكون إلا بإقصائهن عن تولي هذه السلطة عملاً بنص الحديث"[٢]٠

وعلى هذا سار السلف الصالح ، حيث لم يشرك أي منهم المرأة في أي شأن من الشئوون السياسية ، فلم يكن لأي منهن على فضلهن رأي في إختيار الخليفة أو مبايعته ٠

فمثلاً في " سقيفة بني ساعده في اختيار الخليفة الأول ٠٠ قد بلغ فيها الخلاف أشده ، ثم أستقر الأمر لأبي بكر ، وبويع بعد ذلك البيعة العامة في المسجد ، ولم تشترك امرأة مع الرجال في مداولة الرأي في السقيفة ،ولم تدع لذلك ٠ كما أنها لم تدع ،ولم تشترك في تلك البيعة العامة ٠

وكم من اجتماعات شورية من النبي ﷺ وأصحابه ، ومن الخلفاء وإخوانهم من شؤون عامة ،لم تدع إليها المرأة ، ولم تشترك فيها"[٣]٠

---

[١] صحيح مسلم ، (٨ : ٨٩) ، كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ٠

[٢] المراة وحقوقها السياسية في الإسلام ، ص ٢٤٢ ٠

[٣] الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار ، ص ١٠٩ ٠

أما مايتذرع به بعض هؤلاء من قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في موقعة الجمل ،وحملهم ذلك الموقف على أنه تدخل في الشؤون السياسية فمردود من وجوه :

أولاً : إن خروج السيدة عائشة رضي الله عنها ؛ إنما كان خروجاً للإصلاح ، وليس للحرب أو الاشتراك في السياسة .

جاء في تفسير القرطبي :

"وأما خروجها إلى حرب الجمل ؛ فماخرجت لحرب ، لكن تعلق الناس بها ، وشكوا إليها ماصاروا إليه من عظيم الفتنة ، وتهارج ا لناس ، ورجوا بركتها ، وطمعوا في الاستحياء منها ، إذا وقفت إلى الخلق . وظنت هي ذلك ، فخرجت مقتدية بالله في قوله : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[2] [3]

لذا نجد ابن حزم يقول :

" وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة * رضي الله عنهم ومن كان معهم ، فما أبطلوا قط إمامة علي ، ولاطعنوا فيها ، ولاذكروا فيه

---

[1] سورة النساء، آية : (١١٤) .

[2] سورة الحجرات ، آية : (٩) .

[3] الجامع لأحكام القرآن ، (١٤ : ١٨١) .

* طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي أحد العشرة ، وأحد الثمانية الذي سبقوا إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، قتل بيد مروان بن الحكم يوم الجمل ، سنة ست وثلاثين من الهجرة . الإصابة ، (٢ : ٢٢٩ ــ ٢٣٠) .

جرحة تحطه عن الإمامة ، ولا أحدثوا إمامة أخرى ،ولا جددوا بيعة لغيره ٠ وهذا مالايقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه ٠٠ فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها ؛ أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي ، ولاخلافاً عليه ،ولانقضاً لبيعته ٠٠ إنما نهضوا لسد الفتق الحادث من قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ظلماً" [١] ٠ وترد لجنة الفتوى بالأزهر على ذلك بقولها : " وإيراد هذه الواقعة على هذا الوجه ليس فيه إنصاف للحقيقة والتاريخ ٠ فإن السيدة عائشة لم تخرج محاربة ؛ ولا قائدة لجيش محارب ٠ وإنما خرجت داعية للمطالبة بدم عثمان رضي الله عنه ،وقد دفعها إلى ذلك أنها كانت ساخطة على خطة التريث والتمهل ؛ وعدم المبادرة بالبحث قبل كل شيء عن قتلة عثمان ٠ والاقتصاص منهم ٠ وهذا أمر ليس من الولاية العامة في شيء "٠ [٢]

ثانياً : إن خروجها كان باجتهاد منها، وكانت مخطئة فيه ، ولم يوافقها في ذلك كثير من الصحابة ٠ أمثال عبدالله بن عمر * وسعيد بن العاص **

---

[١] علي بن أحمد المعروف بابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ت محمد نصر ، شركة مكتبات عكاظ للنشر ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ ، (٤ : ٢٣٨) ٠

[٢] الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار ، ص ١١٦ ٠

* عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي ، هاجر وهو ابن عشر سنين ، وكان يتحفظ ماسمع ، ويسأل من حضر ، إذا غاب عن قوله وفعله ٠ وكان يتبع آثاره في كل مسجد صلى فيه ٠ وتوفى سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين ، وقد بلغ سبعاً وثمانين ٠ انظر الإصابة ، (٢ : ٣٤٧ ــ ٣٤٨) ٠

** سعيد بن العاص بن سعيد القرشي ، ولد عام الهجرة ٠ من أشراف قريش وأجودهم وفصحائهم ، أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان ، واستعمله عثمان على الكوفة ، لماقتل عثمان لزم بيته ، واعتزل الفتنة ٠ فلما أستقر الأمر لمعاوية ، ولاة المدينة ، توفي سنة تسع وخمسين ٠
انظر عز الدين بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، كتاب الشعب ، ت محمد البنا ، محمد عاشور ، محمود وفايد ، (٢ : ٣٩١) ٠

والمغيرة بن شعبة * وعمران بن الحصين** وبعض أزواج النبي ﷺ كأم سلمة *** وقد بعثت إليها قائلة :

" إني أحمد الله إليك الذي لاإله إلا هو أما بعد . إنك سدة بين رسول الله وأمته ؛ حجاب مضروب على حرمته .. لو علم رسول الله ﷺ أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك . أما علمت أنه قد نهاك عن الفراطة في البلاد ، فإن عمود الدين لايثبت بالنساء إن مال ، ولايرأب بهن إن انصدع " [1]

وكتب لها زيد بن صوحان ****

" سلام عليك أما بعد . فإنك أمرت بأمر ، وأمرنا بغيره ، أمرت أن تقري في بيتك ، وأمرنا أن نقاتل الناس ، حتى لاتكون فتنة ، فتركت ماأمرت به ، وكتبت تنهينا عما أمرنا به والسلام "[2].

وقد اعترفت السيدة عائشة رضي الله عنها بخطئها ، وندمت عليه كماروى القرطبي . " إن عماراً ***** قال لعائشة : إن الله

---

[1] ابن عبدربه الأندلسي ، العقد الفريد ، دار الكتاب العربي ، شرح وضبط أحمد أمين وآخران ، (٤ :٢٩١).
[2] المرجع السابق، (٤ : ٢٩٢).

* المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي ، أسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها وبيعة الرضوان ، كان من دهاة العرب ، ولاه عمر البصرة ، لما قتل عثمان اعتزل القتال إلى أن حضر الحكمين ، ثم بايع معاوية ، ثم ولاة الكوفة ، حتى مات سنة خمسين . انظر الإصابة ، (٣ : ٤٥٢) .

** عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي ، أسلم عام خيبر ، وغزا عدة غزوات ، وكان صاحب رأيه خزاعة يوم الفتح ، بعثه عمر إلى البصرة ليفقه أهلها ، من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، مات سنة اثنين وخمسين . انظر الإصابة ، (٣ : ٢٦) .

*** أم سلمة هند بنت أبي أمية بن مخزوم أم المؤمنين رضي الله عنها ، كانت زوجة لأبي سلمة ، ولما انقضت عدتها منه خطبها النبي ﷺ ، ماتت سنة تسع وخمسين وكان لها أربع وثمانون سنة ، صلى عليها أبو هريرة بالبقيع . انظر محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، (٨ : ٨٦) .

**** زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي ، شهد الجمل مع علي ، كان فاضلاً ديناً خيراً ، لم يرد عن النبي ﷺ شيئاً ، إنما روى عن عمر وعلي . انظر أسد الغابة ، (٢ : ٢٩١) .

***** عمار بن ياسر بن عامر العنسي أبو اليقظان ، حليف بني مخزوم ، وأمه سمية مولاة لهم من السابقين الأولين هو وأبوه ، وكانوا ممن يعذب في الله ، هاجر إلى المدينة وشهد كل المشاهد ، استعمله عمر على الكوفة ، قتل مع علي بصفين سنة سبع وثمانين وله ثلاث وتسعون سنة . انظر الإصابة ، (٢ : ٥١٢) .

قد أمرك أن تقري في منزلك ، فقالت : ياأبا اليقظان مازلت قوالاً بالحق ، فقال : الحمد لله الذي جعلني كذلك على لسانك " [1]

وقد أجاب عن هذه الواقعة التاريخية د : مصطفى السباعي بقوله :

"لايمكن أن يتخذ عملها هذا دليلاً على اشتغال المرأة المسلمة بالسياسة في تلك العصور ، كمايزعم بعض المتهورين ، لأنها حادثة فردية ، أدركت فيها عائشة خطأها " [2].

يذكر د / فؤاد عبدالمنعم أحمد :

" أن موقف عائشة كصحابية في موقعة الجمل هو اجتهاد منها، ولايعد مصدراً لاستخلاص الأحكام الدستورية الشرعية في العصر الحديث "[3].

مماتقدم يظهر أن فعل السيدة عائشة رضي الله عنها لايسوغ للمرأة المسلمة المطالبة بالمشاركة في الأمور السياسية للدولة ، وليس حجة لها بعد أن اعترفت السيدة عائشة بخطأ ذلك .

وقد يحتج هؤلاء بمبايعة النبي ﷺ للنساء ، التي ذكرها الله تعالى بقوله : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [4]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ، (١٤ : ١٧٩) .

[2] المرأة بين الفقه والقانون ، ص ١٥٢ .

[3] فؤاد عبدالمنعم أحمد ـ مبدأ المساواة في الإسلام ،مؤسسة الثقافة الجامعية ، ص ٢٣١ .

[4] سورة الممتحنة ، آية : (١٢).

ولا شك أن هذه الآية لاتدل على مايطالب به هؤلاء فمبايعة النبي ﷺ للنساء تعهد منهن للقيام بما فرضه الله عليهن ، ولم يقصد منها توجيه سياسة الدولة ، أو إبداء رأي في اختيار الحاكم ، أو وضع قانون أو تغييره . وما إلى ذلك من شئون سياسية .

أما الاحتجاج بأن بعض الدول الإسلامية قد حكمت نساء في دولتها ، فليس حجة علينا لمخالفتها الأصل الشرعي ، كذلك فإن العصور التي أمرنا باتباعها كعصر النبي ﷺ ؛ أو عصر الخلفاء الراشدين لم تتول امرأة منهن أمرا سياسيا ، مع أن نساء تلك العصور خير نساء هذه الأمة .

يقول د / مصطفى السباعي : " ونعلم أنه في بعض أدوار التاريخ الإسلامي تولت النساء الملك والحكم ، كما فعلت شجرة الدر * فإن منهن من كن ذات تأثير كبير على أزواجهن . كزبيدة** زوجة هارون الرشيد*** . ولكن هذه الحوادث فردية، وتدخلهن إنما كان من قبيل السيطرة والنفوذ على أزواجهن ، لا على أنه إسهام منهن في سياسة الدولة بالمعنى المفهوم اليوم " [1] .

ويذكر مجيد أبو حجير " إن تولى شجرة الدر أو الحرة

---

[1] المرأة بين الفقه والقانون ، ص ١٥٣

* شجرة الدر الصالحية ، أم خليل ، من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ولدت له ابنه خليل فأعتقها ، وتزوجها ، كانت ذات عقل وحزم ، كاتبة قارئة ، تقدمت للملك بعد وفاة زوجها ، وخطب لها على المنابر ، وضربت السكه باسمها ، ولم يستقر أمرها غير ثمانين يوما ، ماتت سنة ٦٥٥هـ. أنظر الأعلام ، (٣: ١٥٨) .

* * زبيدة بنت جعفر المنصور الهاشمية ، زوجة هارون الرشيد ، وبنت عمه ، من فضليات النساء وشهيراتهن،وإليها تنسب عين زبيدة في مكة ، جلبت إليها الماء من أقصى وادي نعمان ، وخلفت آثارا نافعة ، توفيت ببغداد عام ٢١٦هـ . أنظر الأعلام (٣: ٤٢) .

*** هارون بن المهدي محمد بن المنصور الهاشمي ، استخلف بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي في سنة سبعين ومئه ، كان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ، ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي ، توفي سنة ١٩٣هـ . أنظر سير أعلام النبلاء ، (٩: ٢٨٦) .

الصليحية* "

أو غيرهما الملك ، ليس فيه دلالة شرعية على جواز تولي المرأة لرئاسة الدولة ابتداء عند الاختيار ، ولا يصح القياس على هذه الوقائع الماضية ، لأنه لاسنداً شرعيا لها للاستدلال على حق المرأة تولي الولايات العامة الأخرى • من نحو الوزارة أو القضاء•• لأن هذه السوابق التاريخية استثنائية ، قامت لظروف خاصة ، وليست مطردة على مر العصور الإسلامية وكر الدهور •

ومع ذلك فإن الواقع التاريخي ليس معبرا أمينا عن الواقع الشرعي • إذ إن التاريخ نقل إلينا أخبارا لاتحصى عن انحرافات حكم الحكام ، والسماح لزوجاتهم بالتدخل السياسي ، ومخالفتهم لأحكام الشرع ، وتولي المرأة للملك واحدة منها " [1] •

وقد ثبت تاريخيا أن " تولية شجرة الدر سلطانة على مصر ، لم يلق تأييدا من الأمراء الأيوبيين بالشام •• كما أنه لم يلق قبولا من الخليفة العباسي المستعصم بالله **•؟!

الذي عبر عن ذلك بكتاب أرسله من بغداد إلى مصر ، قائلا لأمراء المماليك : إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلموا حتى نسير إليكم رجلا •

---

[1] المرأة والحقوق السياسية في الإسلام ، ص ١٥٤ •

* أروى بنت أحمد بن جعفر الصليحي ، ملكة حازمة مدبرة باليمن ، ولدت في حراز باليمن ، تزوجها المكرم وفلج ، ففوض إليها الأمر ، ثم استمرت في الحكم بعد وفاته ، ترفع إليها الرقاع ، وتحكم من وراء حجاب ، توفيت عام ٥٣٢هـ ، ولها مآثر وسبل وأرقاق ، وهي من أواخر ملوك الصليحيين • أنظر الأعلام ١ : ٢٨٩ •

** المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله بن منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد الهاشمي العباسي البغدادي ، ولد سنة تسع وست مائة ، كان فاضلا تاليا لكتاب الله ، مليح الكتابة ن كريما ، حليما ، دينا ، حسن الهيئة ، سليم الباطن • قتل يوم الأربعاء رابع عشرصفر ، سنة خمس وخمسين وست مائة وقد بلغ ستا وأربعين سنة وأربعة أشهر •
أنظر سير أعلام النبلاء ، (٢٣: ١٧٤) •

بل إن الشعب المصري نفسه لم يرض بأن تتولى أمره امرأة، وأنف من قيام امرأة سلطانة على مصر ، فقام بمظاهرات واضطرابات عديدة في القاهرة ٠٠ وكان الحل لذلك هو زواج شجرة الدر من الأتابك أيبك* ٠٠ وتنازلها لزوجها عز الدين أيبك عن سلطنة مصر ٠ وقد كانت رغم تنازلها عن السلطان لأيبك- إرضاء للشعور الإسلامي – مصممة على الإحتفاظ بسلطانها "٠ [1]

وكذلك القول بالنسبة للقضاء ، فمطالبة المرأة بتولي منصب القضاء منافاة لطبيعتها وأنوثتها ، ذلك أن القضاء من العمليات العقلية ، التي تنشأ عن مواجهة مشكلة من المشكلات ، تستدعي الاستعانة بالمعلومات والتجارب السابقة ، ويحتاج القاضي كذلك إلى البحث والمناقشة والتعليل والتحليل لأبعاد القضايا ٠ وقد تستدعي بعض القضايا اللجوء إلى الاستنباط ، وهو الوصول إلى قانون جديد بناء على حقائق أخرى معلومة.ولا شك أن هذه الأمور أبعد ما تكون عن المرأة ذات الفطرة العاطفية ، فقد تتغلب عليها العاطفة في أفعالها ومناقشاتها ، فتنقاد لها أكثر من انقيادها إلى التفكير ، فتصغي إلى وجدانها أكثر من إصغائها إلى عقلها ٠ ولذلك اشترطت جميع المذاهب الذكورة في القضاء.ففي كتاب الفقه الإسلامي وأدلته : " وأما الذكورة فهي شرط أيضا عند المالكية والشافعية والحنابلة ، فلا تولى امرأة القضاء ، لأن القضاء ولاية ، والله تعالى يقول :

---

[1] المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام ، ص ٢٥٠- ٢٥١٠

*السلطان الملك المعز عز الدنيا والدين أيبك التركماني الصالحي الجاشنكير صاحب مصر ، كان المعز أكبر الصالحية ، وكان دينا ، عاقلا ، كريما ، تاركا للشراب ٠ ملكوه في أواخر ربيع الآخر سنة ثمان ، وتزوج بأم خليل ، وكان في المعز تؤدة ومداراة ، بنى مدرسة كبيرة ، قتلته أم خليل ؛ حينما علمت بخطبته لابنه بدر الدين صاحب الموصل ، عاش نيفا وخمسين سنة ، قتل في ربيع الأول سنة خمس وخمسين وست مائة ٠
أنظر سير أعلام النبلاء ، (٢٣: ١٩٨) .

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [1]. وهو يحتاج إلى تكوين رأي سديد ناضج ، والمرأة قد يفوتها شئ من الوقائع والأدلة بسبب نسيانها ، فيكون حكمها جورا " [2] . وعلى هذا أجمع الأئمة والعلماء .

يقول ابن قدامة :

" ولا تصلح – المرأة – للإمامة العظمى ، ولا تولية البلدان . ولهذا لم يول النبي ﷺ ؛ ولا أحد من خلفائه ؛ ولا من بعدهم امرأة قضاء ولا ولاية بلد ، فيما بلغنا.ولو جاز ذلك ؛ لم يخل منه جميع الزمان غالبا " [3] .

وتابع في هذا الحكم الشيرازي الشافعي. يقول :

" ولا يجوز أن يكون – القاضي – امرأة ، لقول النبي ﷺ لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.ولأنه لابد للقاضي من مجالسة الرجال من الفقهاء والشهود والخصوم ، والمرأة ممنوعة من مجالسة الرجال ، لما يخاف عليهم من الفتنة بها " [4] .

كما ذكر الماوردي في الأحكام أنه لايجوز تقليد القضاء إلا بسبعة شروط.منها الذكورية ، معللا ذلك بقوله :

" أما المرأة فلنقص النساء عن رتب الولايات ، وأن تعلن

---

[1] سورة النساء ، آية:(٣٤) .

[2] وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، (٦: ٧٤٥) .

[3] المغني ، (٩: ٣٩- ٤٠) .

[4] أبو زكريا النووي_ المجموع شرح المهذب – دار الفكر ، (٢٠: ١٢٧) .

بقولهن أحكام . وقال أبو حنيفة : يجوز أن تقضي المرأة فيما تصح فيه شهادتها . وشذ ابن جرير الطبري ، فجوز قضاءها في جميع الأحكام .

ولا اعتبار بقول يرده الإجماع مع قول الله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[1] .يعني في العقل والرأي ، فلم يجز أن يقمن على الرجال"[2]

ويؤكد ذلك مارواه أبو داود عن ابن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: " القضاة ثلاثة : واحد في الجنة وأثنان في النار،فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ، فقضى به ورجل عرف الحق فجار في الحكم ،فهو في النار . ورجل قضى للناس على جهل،فهو في النار"[3]. فهذا الحديث أثبت ثلاثة قضاة كلهم رجال بمنطوق النبي ﷺ ، ولم يذكر فيه امرأة.فدل ذلك على عدم جواز تولية المرأة للقضاء .

وعلى هذا ثبت عدم جواز تولية المرأة أي شأن من شؤون الدولة والسياسة .

فالقول بأن الإسلام قد فتح باب النشاط السياسي للمرأة قول

---

[1] سورة النساء، آية:(٣٤) .

[2] على محمد الماوردي – الأحكام السطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ ، ص ٦٥.

[3] سليمان بن الأشعث السجستاني ،سنن أبي داود ، ت / محمد محي الدين ، المكتبة العصرية ، ط ١٤١٦هـ (٣: ٢٩٩) كتاب الأقضية ، باب في القاضي يخطئ ، ح ٣٥٧٣- سنن ابن ماجه (٢: ٣٩) أبواب الأحكام ، الحاكم يجتهد فيصيب الحق ، ح ٢٣٣٦- محمد بن عيسى الترمذي ، الجامع الصحيح دار الفكر ، ط ٢، ١٤٠٣هـ ، (٣: ٦١٣) كتاب الأحكام ، باب ماجاء عن رسول الله في القاضي ، ح ١٣٢٢- أبو بكر البيهقي ، السنن الكبرى ، دار المعرفة ،بيروت ، (١٠- ١١٦- ١١٧) كتاب آداب القاضي ، باب أثم من أفتى وقضى بالجهل . صححه الحاكم ، وقال : حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وله شاهد بإسناد صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . أنظر المستدرك (٤: ٩٠) كتاب الأحكام.وصححه الألباني انظر : محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المكتبة الإسلامي ، ط ٣ ، ١٤٠٢هـ ، (٣: ١٥١) رقم ٤٣٢٢ .

يصلح رأي لزمن ولا يصلح لآخر " [1] .

وأما ما قيل من أن رسول الله ﷺ لو بعث حيا الآن ، فإنه ولا شك سيغير من أفكاره ويطورها .

فهذه كلمة عظيمة في حقه ﷺ ، وتطاول لايصدر من مؤمن بالله . ففي هذاالنص نسبة الدين للرسول ﷺ وأنه من أفكاره . وفيه أيضا أن الإسلام قابل للتطور .

أما بالنسبة للأمر الأول :

فقد قرر القرآن الكريم بما يقطع الشك أن ما جاء به النبي ﷺ إنما هو وحي يوحى إليه من الله سبحانه وتعالى . قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [2].

ومن ذلك مارد به الله سبحانه وتعالى على المشركين حينما طلبوا تبديل القرآن وتغيره . **قال تعالى :** ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرآنٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآيءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [3].

وقد تعددت الآيات القرآنية التي تؤصل ذلك المعنى قال تعالى " وَقَالُوٓا۟ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً " [4]. **وقال تعالى :** ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَنْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابُ إِلَّا

---

[1] أنظر الخصائص العامة للإسلام ، ص ٢٠٤ - ٢٤٥ .

[2] سورة النجم ،آيتا : (٣- ٤٩) .

[3] سورة يونس ، آية : (١٥) .

[4] سورة الفرقان ، آيتا : (٥- ٦) .

رَحْمَةً مِنْ رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ »[1].

هذه الآيات وغيرها كثير تؤكد أن ما جاء به النبي ﷺ إنما هو من عند ربه .

وما وظيفة النبي ﷺ إلا التبليغ . وقد أكد القرآن على ذلك في آيات عدة . **قال تعالى: « يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ »[2].**

وقال جلا وعلا أيضا: « وَإِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ »[3].

ويؤكد الله سبحانه وتعالى هذا المعنى بقوله :

« وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ »[4] .

بهذا يتضح أن محمدا ﷺ إنما هو مبلغ عن ربه ، وليس له من الأمر شئ ، فليس له تغيير الوحي ، أو تبديله ، أو كتمه ، أو التقول عليه .

قال تعالى : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ »[5]

بهذا يتبين أن النبي ﷺ إنما هو مبلغ عن ربه ، ولا يملك من الأمر شئ .

---

[1] سورة القصص، آية: (٨٦) .
[2] سورة المائدة ، آية: (٦٧) .
[3] سورة الرعد ، آية: (٤٠) .
[4] سورة التغابن ، آية: (١٢) .
[5] سورة الحاقة ، الآيات : (٤٤- ٤٧) .

أما بالنسبة للأمر الثاني وهو أن الإسلام قابل للتطور ، فقد سبق أن تبين أن هناك نصوص قطعية نصية ؛ لايمكن الخروج عليها إلا بالخروج من الدين . وهناك نصوص محتملة تتفق مع المستجدات العصرية .

يقول محمد رشيد رضا في تفسير المنار :

" فالعمدة في معرفته – أي الدين – حق المعرفة القرآن والسنة العملية ..ولا سعة لمسلم أن يخرج عن هذين الأمرين باجتهاده ورأيه ، أما مالم يجر عليه العمل ، ولم يرد في القرآن من أخبار الآحاد القولية أو العملية ؛ التي لم تكن سنة متبعة .. فهي التي يجوز أن تكون محلا لاجتهاد المجتهدين ، من حيث صحة روايتها وتحقيق المراد منها.ولا يصح أن يكون شئ من ذلك عقيدة ؛ ولا أمرا كليا من أمور الدين . إذ لو صح هذا لكان منافيا لمنة الله على المؤمنين كافة ، بأنه أكمل لهم الدين وأتم عليهم النعمة .

ولا يعقل أن يكون هذا الإكمال والإتمام متوقفا على مالم يطلع عليه إلا الآحاد من الناس ، بل يكون هذا النوع في الفروع والمسائل الجزئية ؛ التي ينفع العلم بها ولا يضر أحدا في دينه أن يجهلها " .[1]

وعلى هذا فما ثبت بقرآن وسنة ؛ فلا يسع الخروج عليه ، إنما التطوير والاجتهاد ومواكبة العصر ؛ تكون فيما لم يجر عليه العمل ، ولم يرد في القرآن والسنة .

يقول سيد قطب في معرض حديثه عن رسالة الإسلام :

" رسالة تخاطب الإنسان من وراء الظروف والبيئات والأزمنة ، لأنها تخاطب فطرة الإنسان التي لاتتبدل ولا تتحور ولا ينالها

---

[1] محمد رشيد رضا – تفسير المنار – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م ، (٦: ١٣٩) .

التغيير ... فأعلن لهم إكمال العقيدة وإكمال الشريعة معا ، فهذا هو الدين ، ولم يعد للمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين نقصا ، يستدعي الإكمال ، ولا قصورا يستدعي الإضافة ، ولا محلية ولا زمانية تستدعي التطوير أو التحوير ، وإلا فما هو بمؤمن ، وما هو بمقر بصدق الله ...

الأحكام التفصيلية جاءت لتبقى كما هي ، والمبادئ الكلية جاءت لتكون هي الإطار ؛ الذي تنمو في داخله الحياة البشرية إلى آخر الزمان ، دون أن تخرج عليه ، إلا أن تخرج من إطار الإيمان". [1]

وعلى هذا فالقول بتطوير ما جاء به محمد ﷺ قول مردود ، إذ ما جاء به النبي ﷺ إما قرآن أو سنة ، لايسع المسلم الخروج عنهما ، إلا إذا خرج من الإيمان .

لذلك فإن من نواقض الإسلام :

" الناقض التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر ". [2] فهذا القول لايصدر إلا من خارج عن الإيمان ، أو جاهل بما يقول . إذ إن معنى التطور الذي تنادي به هذه القائلة،هو الارتقاء من خطأ إلى صواب ، أو من صواب إلى أصوب ، أو من نقص إلى كمال . وذلك لأن العقول البشرية ناقصة أو عاجزة ، وعلى قدر التفاوت بين البشر نجد الحياة المدنية مضطرة إلى إعادة النظر في تشريعاتها وقوانينها ونظمها ، بناء على احتكاك هذه النظم والقوانين بواقع الحياة . فما كان صوابا أقر، وما كان خطأ صوب وهكذا ، فكل عيب تتم معالجته .

---

[1] في ظلال القرآن ، (٢: ٨٤٢- ٨٤٣) .
[2] العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام ، ص ٣٠ .

وإذا فهمت هذه القائلة أن الدين الذي جاء به محمد ﷺ وحي يوحى من الله سبحانه وتعالى ، الذي لايغيب عن علمه شئ ، يعلم ما كان وما سيكون سبحانه فإن النقص والخطأ والقصور غير وارد على تشريعه . فما حكم الله به لايوصف بنقص ؛ يحتاج إلى إكمال أو خطأ يحتاج إلى تصويب . أو صواب فيه قصور ، إنما هو الحق .

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا (١) قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾[1] .

وعلى هذا فلا يسمى الاجتهاد الفقهي تطورا بحال من الأحوال إنما هو ملاءمة الشريعة مع مستجدات الحياة ، حتى يرتفع الحرج عن المسلمين .

قال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2] .

---

[1] سورة الكهف ، آيتا (١- ٢)

[2] سورة الحج ، آية : (٧٨) .

الخلاصة : -

نخلص من هذا الفصل أن الله سبحانه وتعالى خلق الذكر والأنثى وسن لهم قوانين يسيرون عليها ولم ينحاز فيها إلى جنس دون آخر • وجعل المرأة قسيمة الرجل ، لها حقوق وعليها واجبات • وللرجل حقوق ، وعليه واجبات.كل بما يتفق مع طبيعته وتكوينه • وقد ساوى بينهما الله سبحانه وتعالى في عدة مواطن ، في حين خالف بينهما في مواطن أخرى ، وكانت هذه المخالفة نابعة من خصائصهم وتكوينهم •

***مواطن المساواة بينهما :**

١. المساواة في الإنسانية :

جعل الله سبحانه وتعالى الرجال والنساء سواء في إنسانيتهم قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1] •

ويخبر الله تعالى أن المرأة خلقت من الرجل قال سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2] •

فكلمة الناس هنا لفظة تعبر عن الرجال والنساء ، وأنهما خلقوا من نفس واحدة التي هي آدم ، وهذه النفس الواحدة ، خلق الله منها

---

[1] سورة الحجرات ، آية : (١٣) •

[2] سورة النساء ، آية : (١) •

زوجها حواء . وذلك يقتضي المساواة بينهما في الإنسانية .

٢ . المساواة في التكاليف الشرعية والجزاء .

ساوى الله سبحانه وتعالى بين الرجال والنساء في التكاليف الشرعية ، بناء على مساواتهما في الإنسانية .

قال تعالى : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]

ولما فرض الله عليهما جميع التكاليف الشرعية ، كان من العدل الإلهي المساواة بينهما في الجزاء ، فلهما الثواب إن أحسنا . ولهما العقاب إن أساءا .

قال تعالى ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[2] .

وقال أيضا : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3] .

وقال تعالى مساويا بينهما في حد الزنى :

---

[1] سورة التوبة ، آية : (٧١) .

[2] سورة آل عمران ، آية : (١٩٥) .

[3] سورة النحل ، آية : (٩٧) .

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾[1]٠

وفي حد السرقة يقول تعالى : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]٠

وهاتان الآيتان تدلان بجلاء عن مساواة الله سبحانه وتعالى بينهما في الجزاء ، وقد قدم المرأة في حد الزنى باعتبارها الأصل في الفعل ،حيث إنها المطاوعة للزنى ،الممكنة منه ٠ وقدم الرجل في حد السرقة باعتباره من يقوم بذلك غالبا ، وكذلك تحتاج السرقة إلى تخطيط محكم ؛ وتنفيذ يعتمد على القوة البدنية ، وهذا مالا يتوفر في المرأة غالبا ٠ فالتقديم هنا ليس باعتبار تقديم جنس على آخر ، بل يعتمد على من يقوم بالفعل منهما ٠

ومن هنا تظهر حكمة الشارع سبحانه وتعالى ٠

٣ـ المساواة بينهما في الحقوق المدنية :

فرض الله سبحانه وتعالى للمرأة حقا في الميراث بعد أن كانت محرومة منه ٠

قال تعالى : ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[3] ٠

كما أباح لها الإسلام أن " تملك الضياع والدور وسائر أصناف المال ٠٠ ولها أن تمارس التجارة وسائر تصرفات الكسب المباح ، ولها أن تضمن غيرها ، وأن تهب الهبات،وأن توصي لمن تشاء وأن

---

[1] سورة النور ، آية : (٢) ٠
[2] سورة المائدة ، آية :(٣٨) ٠
[3] سورة النساء ، آية:(٧) ٠

تخاصم غيرها إلى القضاء " [1].

في هذا الوقت الذي رفع فيه الإسلام المرأة إلى درجة لم يرفعها إليها دين سابق ، نجد أن المرأة الغربية لم تنل شيئا من هذه الحقوق حتى الآن ، حيث لم يعترف الغرب باستقلالها في الذمة ٠ وإنما يتم لها ذلك بموافقة زوجها عليه ٠

كذلك ضمن الإسلام للمرأة حقها من التربية والتعليم وكسب الثقافات والمعارف ، ولها حق العمل بضوابطه الشرعية ٠

كما ضمن لها الإسلام الاحتفاظ بشخصيتها وانتمائها إلى عائلتها ، حتى بعد زواجها ٠ وهذا ما حرمت منه المرأة الغربية ، حيث أنها تفقد اسم عائلتها فور زواجها ، وذلك منتهى التبعية للزوج ؛ واضمحلال شخصيتها ٠

الحمدالله الذي أعزنا بالإسلام ، ومهما طلبنا العزة في غيره أذلنا الله.ومع أن الإسلام ساوى بينهما في هذه المواطن ، إلا أن هناك مواطن لم يساو الله سبحانه وتعالى بينهما فيها ، بناء على اختلافهما في التكوين والطبيعة ٠

حيث جعل للرجل مجالهم ؛ وللنساء مجالهن ٠ وليس في ذلك تحقير للرجل ؛ فيما لاعلاقة له به ، ولا تحقير للمرأة ؛ فيما لاعلاقة لها به ٠ بل كل منهما يقدم عند الله سبحانه وتعالى بعمله وتقواه ٠ قال تعالى : « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَاهَا » [2]. وقال أيضا : « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » [3].

فميزان الكفاءة بينهما هو قيام كل منهما بواجبه وفق طبيعته

---

[1] الإسلام والمرأة المعاصرة ، ص ٢٥.

[2] سورة الطلاق ، آية : (٧) ٠

[3] سورة البقرة،آية :(٢٨٦) .

وتكوينه ، هذه النظرة للرجل والمرأة تنسجم مع واقع الحياة ،و تحقق مصالح البشرية وتكاملها لأجل صلاح الكون ،

أما ما تنادي به المرأة الغربية من المساواة المطلقة فمناداة مغلوطة أفرزتها البيئة الخاطئة ، ولما كان المجتمع الغربي محروم من الدين والوحي ، فقد أجتهد فيه كل على حسب قدراته ،

فظننت – المرأة الغربية – أنها بهذه المطالبة قد يرد لها شئ من حقوقها المسلوبة ،

وقد تمكن الغرب من أن يكون له كوادر وألسنة تنتسب إلى الإسلام ، فغذوهم بمفاهيمهم المغلوطة ، ثم أوكلوا إليهم زرع هذه المفاهيم في عقول المسلمين فنادوا بأشياء لا مبرر لوجودها في ديننا ، فالإسلام يرفض انحراف الغرب وأفكاره ومعتقداته.ولكن للأسف كان هناك من لبى نداءاته ، فصارت تحدث بعض التجاوزات من الرجال ، بحيث يتخلى الرجل عن مسؤولياته وواجباته ،

وتجاوزات من النساء اللاتي لم يلتزمن بشرع الله ، وضقن بتكاليفه ، حيث أنهن حرصن على الإباحية والتحلل ، فاعتنق كل من هؤلاء الرجال والنساء مفاهيم الغرب وخرجوا ينادون بمالم يأذن به الله ، متمسحين بالدين تحت دعوى شمولية الإسلام ، وأنه ديناميكي ومتجدد ، وقد تكرر في البحث الرد على هؤلاء ، فقضيتنا قطيعة الدلالة قطع فيها الدين نصا ، والرسول ﷺ نصا وواقعا ، ولن يسلم مجتمع من التفكك ويسعد وتستقيم به الحياة إلا إذا طبق شرع الله ، فليلتزم كل من الرجال والنساء بما كلفوا به ، لأن قيمة كل امرئ بما يحسنه ، فإن أحسن فله الأجر والمثوبة ، وإن قصر فلا تزر وازرة وزر أخرى ،

قال تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[1].

وقال سبحانه ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[3].

---

[1] سورة الإسراء ، آية : (٧) .

[2] سورة الأنعام ، آية : (١٦٤) .

[3] سورة طه ، الأيات : (١٢٤- ١٢٦) .